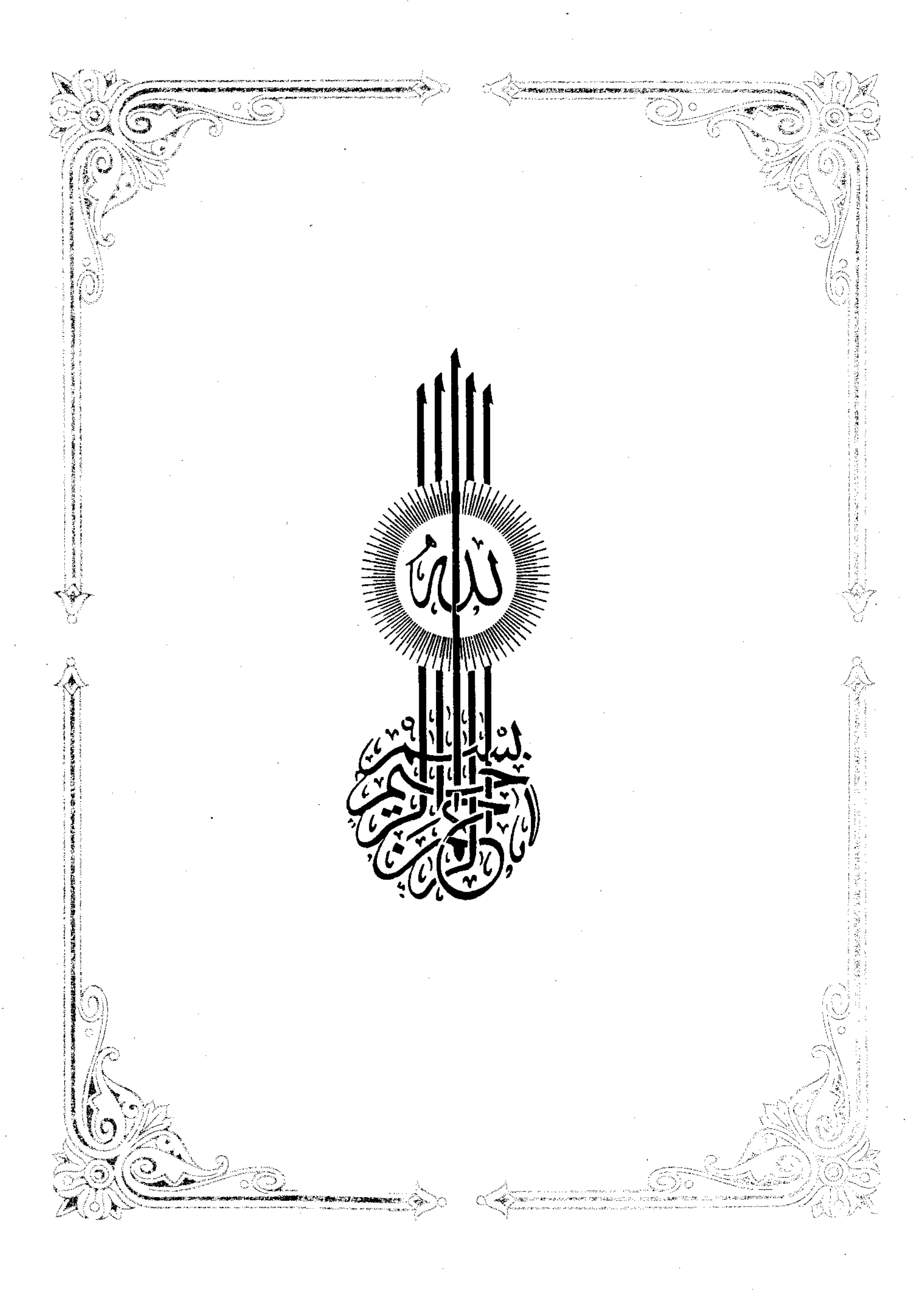
تفاصيل في خارطة الطقس

شعر

الدكتور محمد العيد الخطراوي

من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي


الله
بسم الله الرحمن الرحيم



الإهــداء

إلى كل حبة رمل غافية على صدر هذه الأرض العربية المتوهجة بالعطاء.! وكل ذرة سابحة في أجوائها المعطرة بالقداسات ..

وإلى كل العيون الساهرة على راحتها ، والطاقات الكامنة في روحها المتوثبة للمستقبل المبهج ... أُهدي نبضات هذه الأجنحة المتكسرة .. المغذّة إلى آفاق الربيع المزهر ، برغم زمهرير الشتاء وعواصف الخريف ..

م. ع. خ.



أنا في طيبة

أنا في طيبةٍ أتيـــه على الدهـــ

ـر .. وأمشي على رؤوس الليالـــي

حاملا مشعـل الفخـــار أغنـــي

بشمـــوخ في موكـــب الآمـــال

هامتي في العلى تباهـــي الثريـــا

ويـــدي تستبيـــح دنيـــا المحـــال

عن يميني الشمـوس تمضي نشاوَى

والبـــدورُ الـــوِضاء حذْوَ شمالـــي

وهرقلٌ يسير من خلف كسرى

عجبا من مهابتي وجلالي

يسألان الأعراب عن سر فخري

وطموحي وروعتي في المقال

فترد الأيام .. هذا فخور

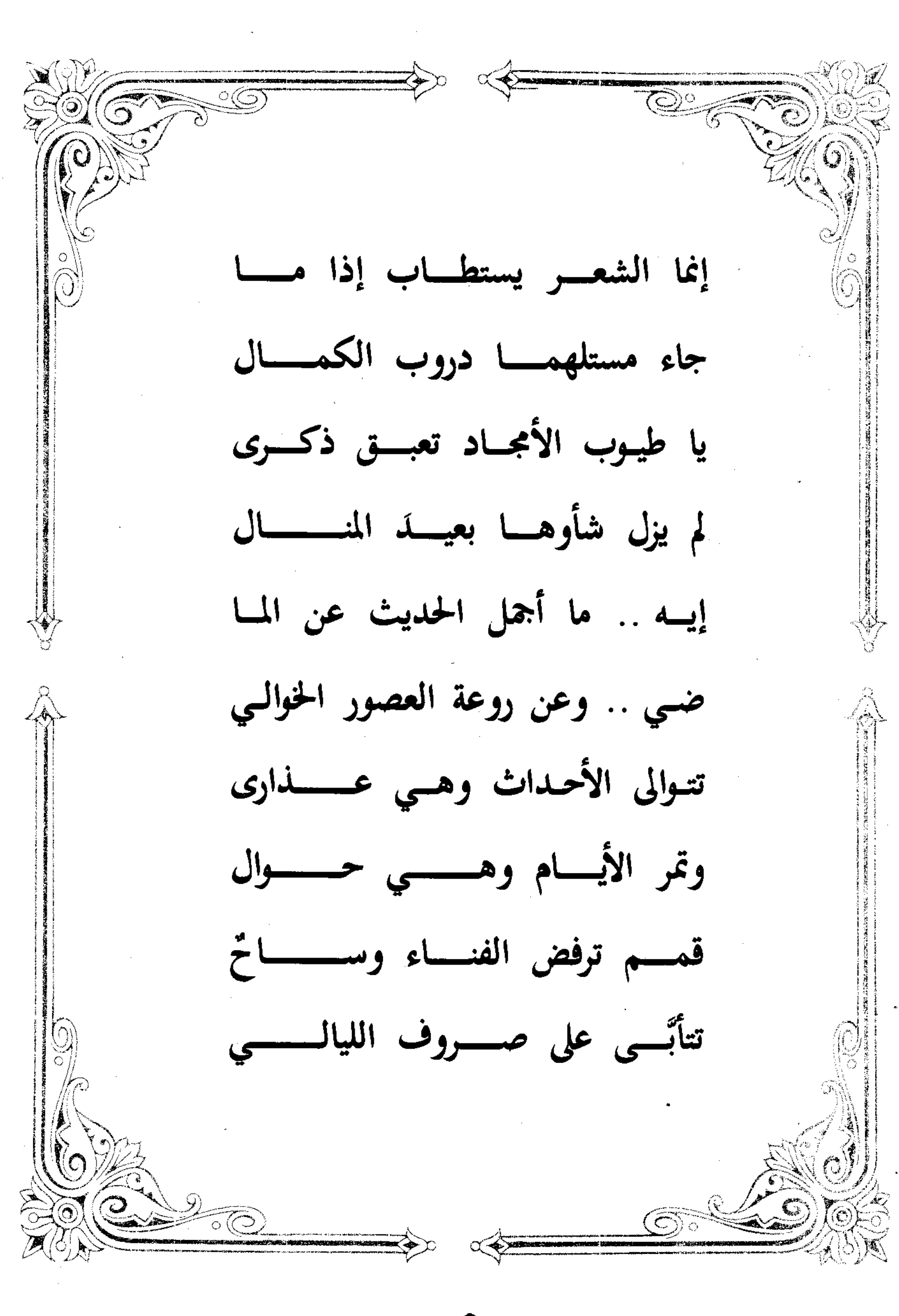
بتراث الرجال إثر الرجال

إنه شاعر بأحمد يشدو

وبأصحابه بُناةِ المعالي

لا تلوماه إن تباهى وغنَّى

في حمى طيبة لحون الجمال



إنما الشعــر يستطــاب إذا مــا

جاء مستلهمـــا دروب الكمـــال

يا طيـوب الأمجـاد تعبـــق ذكــرى

لم يزل شأوهـــا بعيـــدَ المنـــــال

إيــه .. ما أجمل الحديث عن المـا

ضي .. وعن روعة العصور الخوالـي

تتوالى الأحـداث وهــي عـــــذارى

وتمر الأيـــام وهـــــي حـــــوال

قمـــم ترفض الفنـــاء وســــاحٌ

تتأبَّـــى على صــــروف الليالــــي

أنا في طيبة .. وزهوي مزيج

من طموح، ومَحْمَلٌ للأماني

أتملَّى الآطامَ تَفْهَق بالأو

س .. وقلبي يضجّ بالعنفوان

ويناجي الأحلام عبر رحاب

طوقتها بسرِّها اللابتان

فكأني من فَرْط زهْوِي مقيم

في بني (جَحْجَبَا) على (الضَّحْيَان)[1]

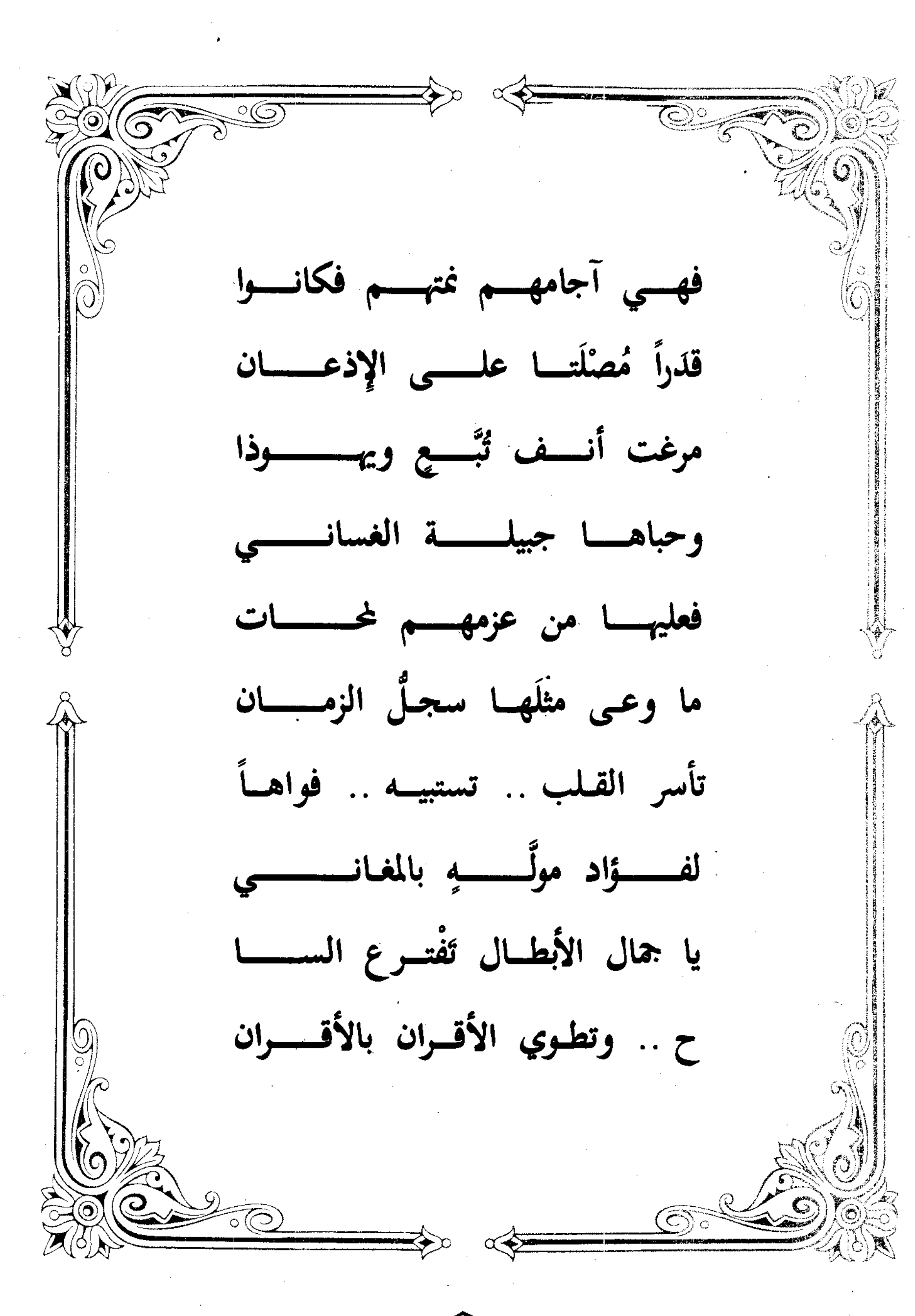
وكأني بالخزرج الصِّيد هبوا

من ذرى (فارع) ومن (زيدان)[2]

---

(١) الضحيان : أطم الشاعر أحَيْحة بن الجُلاح، وهو من بني جحجبا.

(٢) فارع، وزيدان : أطمان من آطام الخزرج.



فهـي آجامهـم نمتهـم فكانـوا
قدَراً مُصْلَتا علـى الإذعـان
مرغت أنـف تُبَّـعٍ ويهـوذا
وحباهـا جبيلـة الغسانـي
فعليهـا من عزمهـم لمحـات
ما وعـى مثلَهـا سجلُّ الزمـان
تأسر القلـب .. تستبيـه .. فواهـاً
لفـؤاد مولَّـهٍ بالمغانـي
يا جمال الأبطـال تَفْتـرع السـا
ح .. وتطـوي الأقـران بالأقـران

والقنـا تقـرع القنـــا .. فصريـــع

ووجيـــع .. وطـــالبٌ للأمـــــان

والمواضي نواهـــل مـــن جـــراح

ثائـــراتٍ على مســـوح الهـــوان

حبـذا الجرحُ إن تعطـــر بالعـــز

وألـــوى بأضـــلع الطغيـــــان

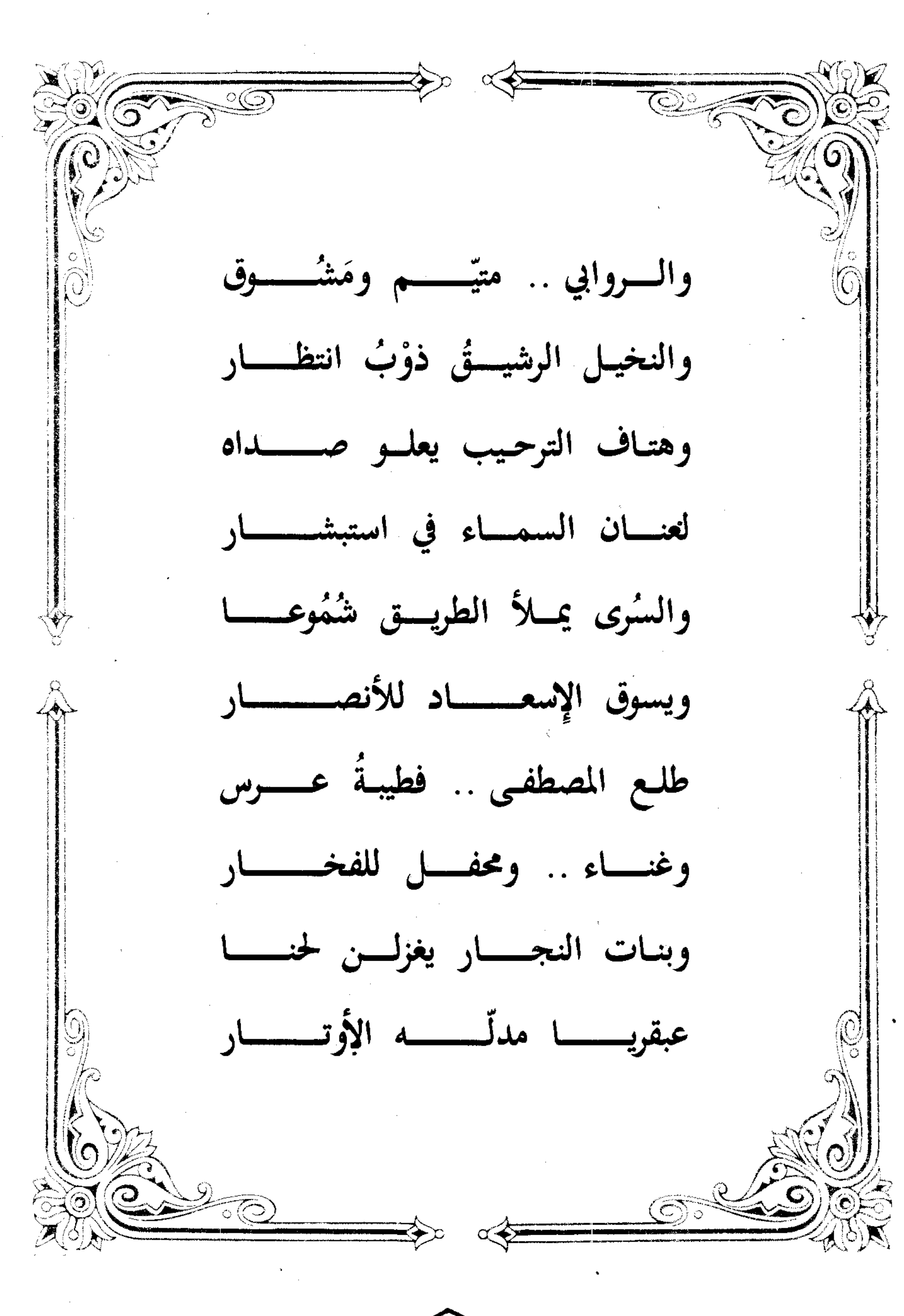
خيرُ درب إلى الخلود .. وقرْبَـــى

في الكفـــاح المضمّـــخ الأردان .

●●●

أنـا في طيبـة .. وقلبـــيَ شـــوق

وحـــنين لطلعـــة المختـــار



والــروابي .. متيّــــم ومَشُـــوق

والنخيـل الرشيــقُ ذوْبُ انتظــــار

وهتـاف الترحيب يعلـو صـــداه

لعنـــان السمـــاء في استبشــــار

والسُرى يمـلأ الطريـق شُمُوعــــا

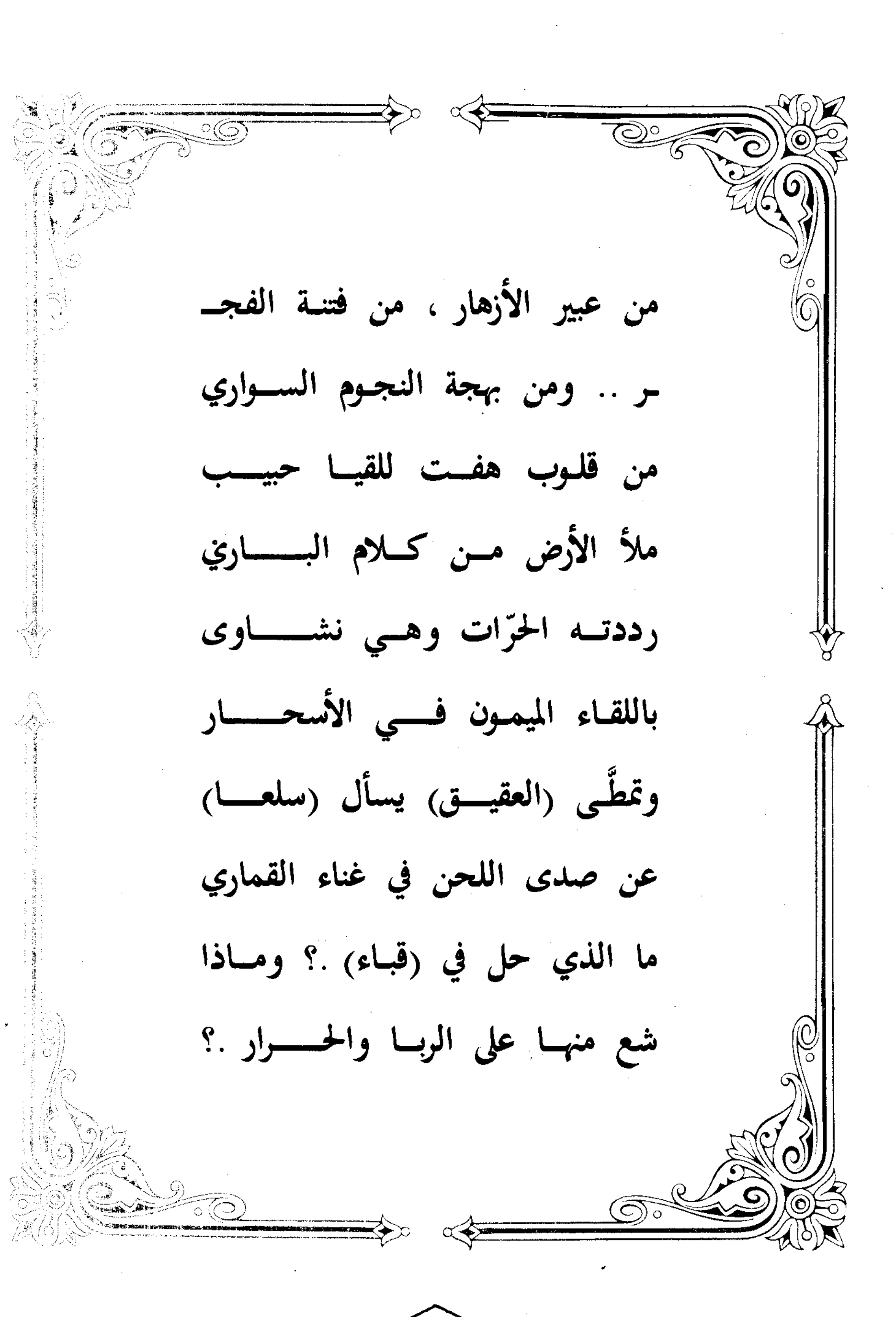
ويسوق الإسعـــــاد للأنصـــــار

طلـع المصطفى .. فطيبةُ عـــرس

وغنـــاء .. ومحفـــل للفخــــار

وبنـات النجـــار يغزلــن لحنـــا

عبقريـــا مدلّـــه الأوتـــــار



من عبير الأزهار ، من فتنة الفجـ
ـر .. ومن بهجة النجوم السواري
من قلوب هفت للقيا حبيب
ملأ الأرض من كلام الباري
رددته الحرّات وهي نشاوى
باللقاء الميمون في الأسحار
وتمطّى (العقيق) يسأل (سلعا)
عن صدى اللحن في غناء القماري
ما الذي حل في (قباء) .؟ وماذا
شع منها على الربا والحرار .؟

.. إنـــه أحمد يحل رباهــــا

فتفــيض الـــدروب بالسمّـــار

يا بنـي قَيْلـةٍ أنيخـــوا المطايــا

.. إنـه يومكــم على الأعصـــار

وأطِلُّـــوا على الدنـــا زمـــراتٍ

تنقـذ الكـــون من عذاب النـــار

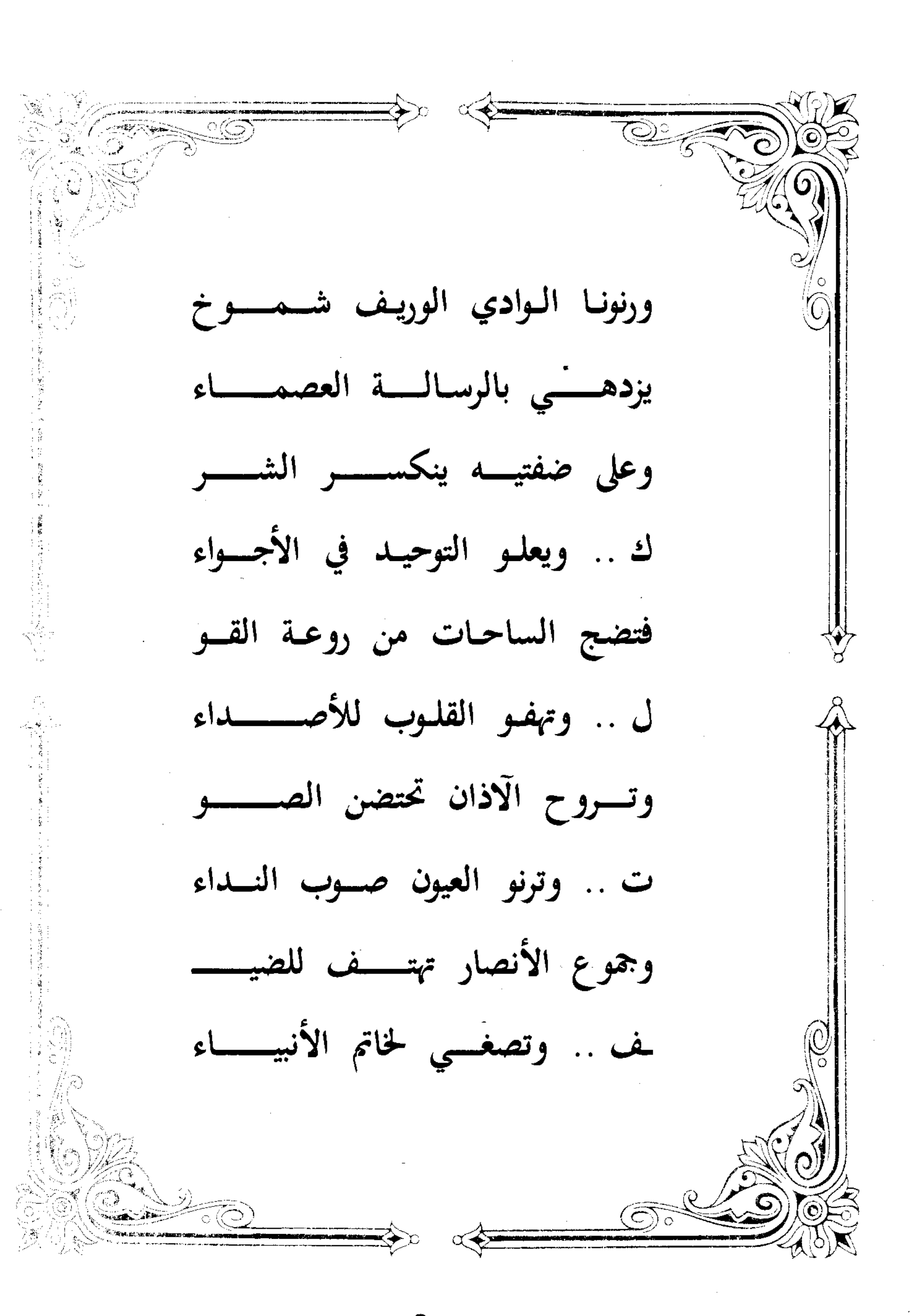
●●●

أنـا في طيبـة .. وعينـــيَ تسعـــى

خلـف ركب الـرسول في استهـــداء

تتملى الأضـواء .. تقتحـم الــدر

ب .. وتمضي على خطـا (القصـواء)



ورنونا الـوادي الوريـف شـمـــوخ

يزدهـــي بالرسالـــة العصمـــاء

وعلى ضفتيـــه ينكســـر الشـــر

ك .. ويعلـو التوحيـد في الأجـواء

فتضج الساحـات من روعـة القـو

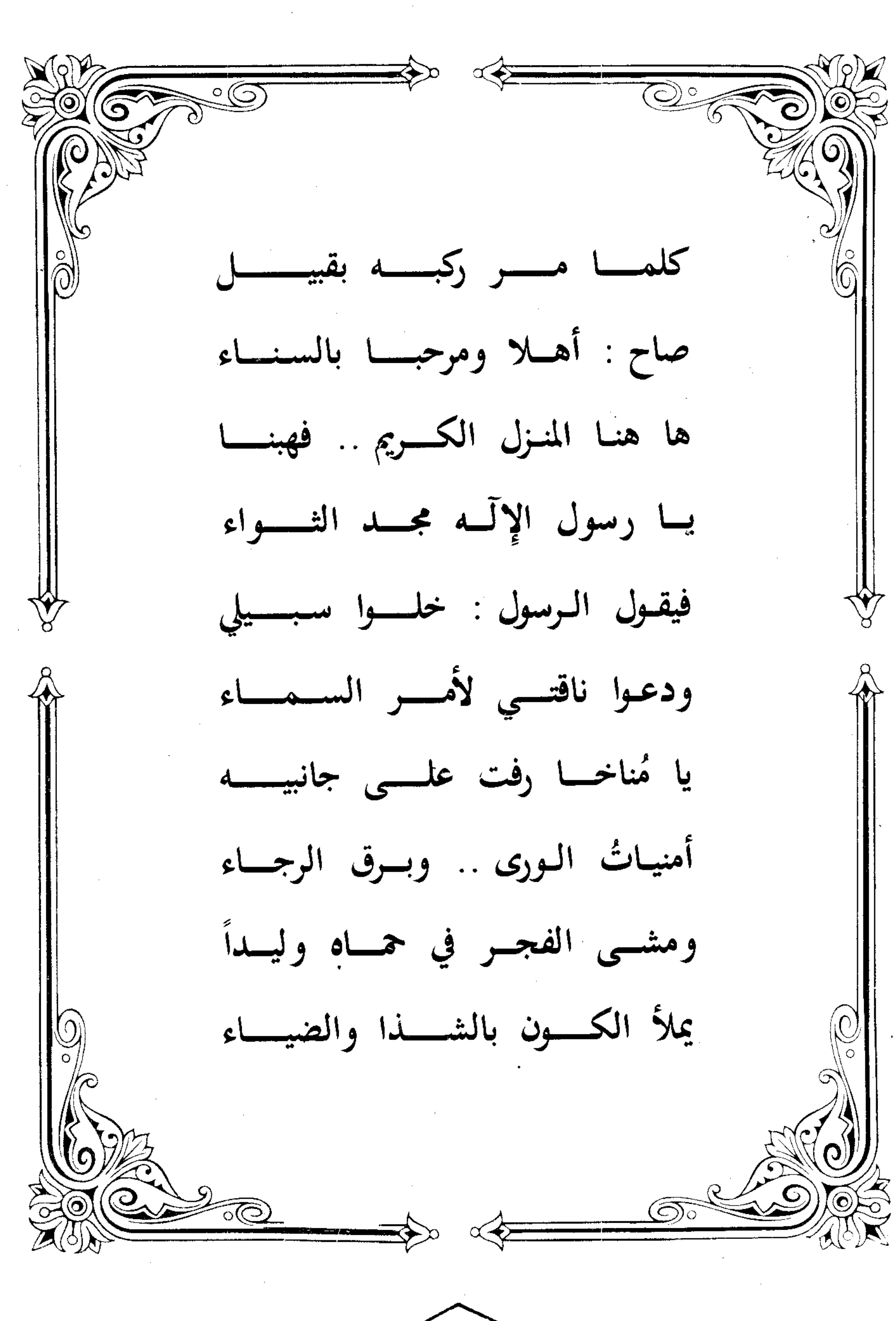
ل .. وتهفـو القلـوب للأصـــداء

وتـــروح الآذان تحتضن الصـــو

ت .. وترنو العيون صـوب النـداء

وجموع الأنصار تهتـــف للضيـــ

ـف .. وتصغـي لخاتم الأنبيـــاء



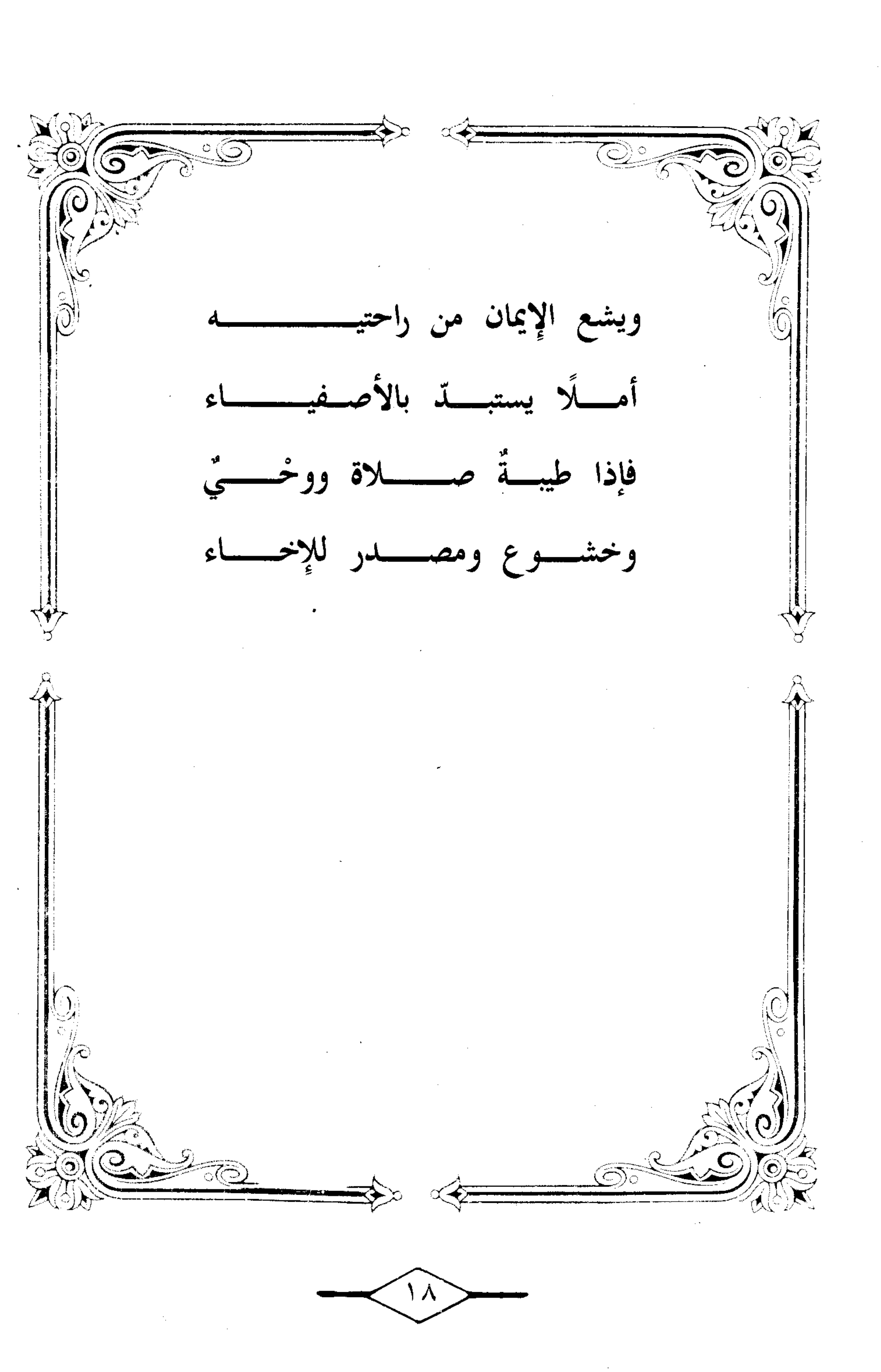
كلما مر ركبه بقبيل
صاح : أهلا ومرحبا بالسناء

ها هنا المنزل الكريم .. فهبنا
يا رسول الإلٓه مجد الثواء

فيقول الرسول : خلوا سبيلي
ودعوا ناقتي لأمر السماء

يا مُناخا رفت على جانبيه
أمنياتُ الورى .. وبرق الرجاء

ومشى الفجر في حماه وليداً
يملأ الكون بالشذا والضياء



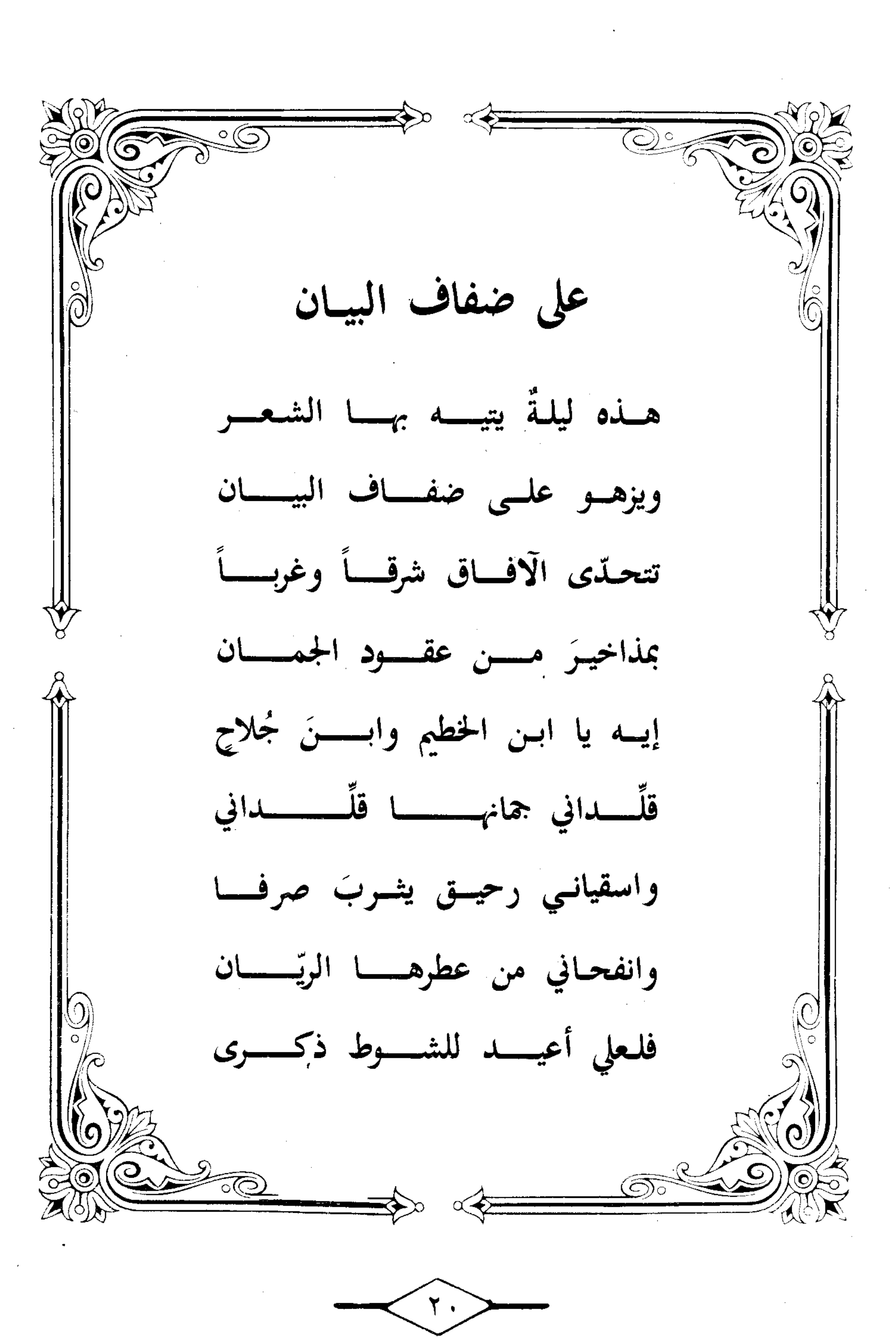
ويشع الإيمان من راحتيـــــــه

أمــلًا يستبـــدّ بالأصـــفيــــاء

فإذا طيبــةٌ صـــــلاة ووحْـــيٌ

وخشـــوع ومصـــدر للإخـــاء


طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع



على ضفاف البيان

هــذه ليلــةٌ يتيـــه بهـــا الشعـــر

ويزهـــو علـــى ضفـــاف البيـــان

تتحدّى الآفـــاق شرقـــاً وغربـــاً

بمذاخيرَ مـــن عقـــود الجمـــان

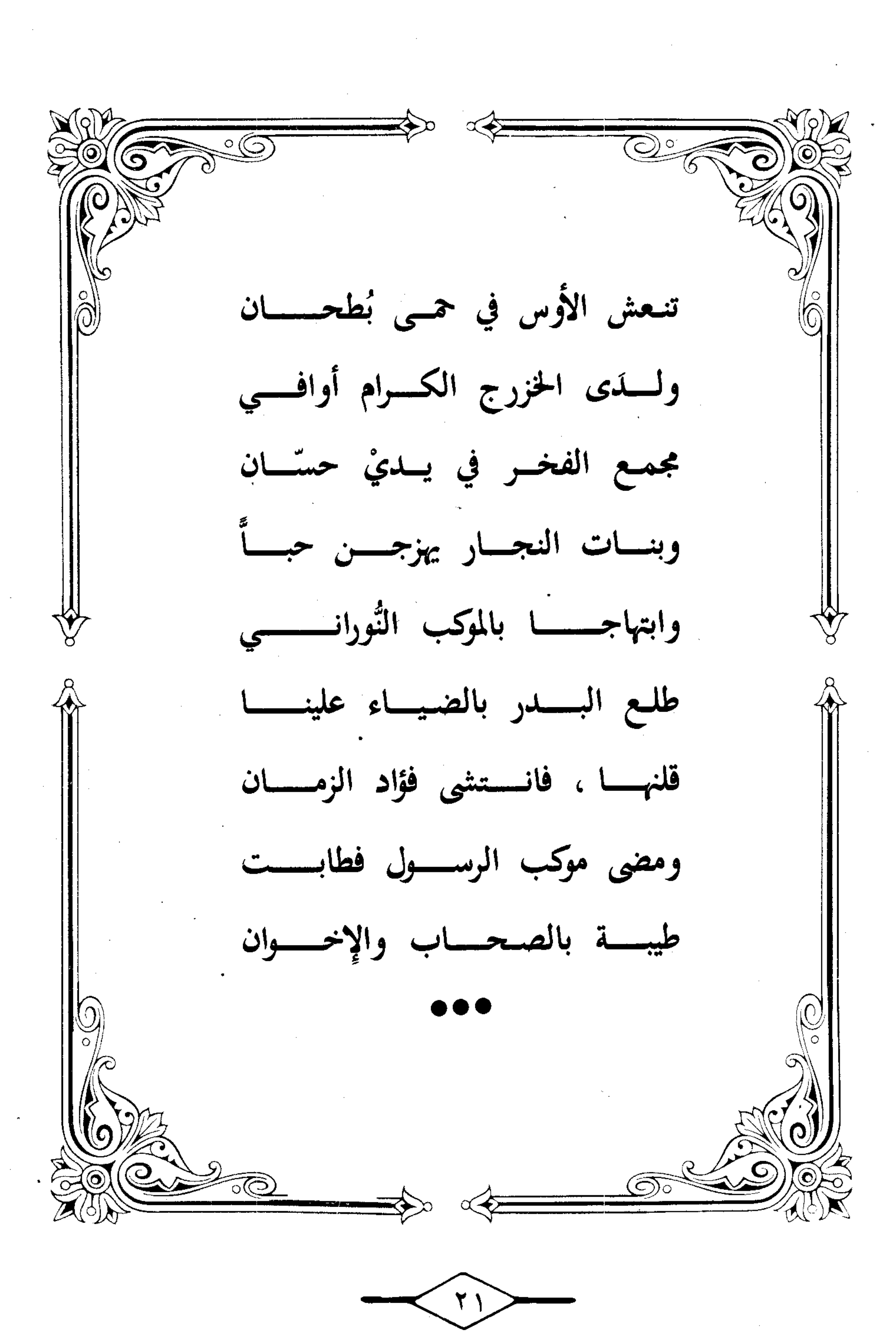
إيـــه يا ابـن الخطيم وابـــنَ جُلاحٍ

قلِّـــداني جمانهـــا قلِّـــداني

واسقيانـي رحيـق يشـربَ صرفـا

وانفحـاني من عطرهـا الريّـان

فلعلي أعيـد للشـوط ذكـرى



تنعش الأوس في حمى بُطحـــان

ولـــدَى الخزرج الكـــرام أوافـــي

مجمـع الفخـر في يـديْ حسّـــان

وبنـــات النجـــار يهزجـــن حبـــاً

وابتهاجـــــا بالموكب النُّورانـــــــي

طلـع البـــدر بالضيـــاء علينـــــا

قلنهـــا ، فانـــتشى فؤاد الزمـــان

ومضى موكب الرســـول فطابـــت

طيبـــة بالصحـــاب والإخـــوان

●●●

هـــذه ليلـــة يلـــذّ بهـــا القـــول

وتصفـــو لخاطـــر الفنـــــان

تتـــلاقى عرائس الفـــن فيهـــا

بعنـــاق مجنّـــح وافتنـــان

فكـــأني بعُـــودِ عَزّة[1] جاسـت

عبـــر أوتـــاره أكـــف الحســـان

فتـــوالت أنغامـــــه ماتعـــات

مائجـــات بأعـــذب الألحـــان

وكـــأني بمعبـــد وغريـــض[2]

سرقـــا النوم من عيـــون الغوانـــي

---

(١) عزة : هي عزة الميلاء، وقد كانت معروفة بالغناء وإجادة العزف.

(٢) معبـــد، والغـــريض : كانـــا أيضا من المغـــنين في الـــعصر الأمـوي.

بغنـــاء موقـــع عبقـــري

فـي عراص العقيـق دون عنـــان

فالعقيـق العريـــق عـــادت إليـــه

صبـوات الشبـــاب والعنفـــوان

أيـن جيرون[1] منــه إمــا تلاقـــت

أمنيـــات الألّاف والخــــلّان

●●●

هــذه ليلــة أعــادت إلينـــــا

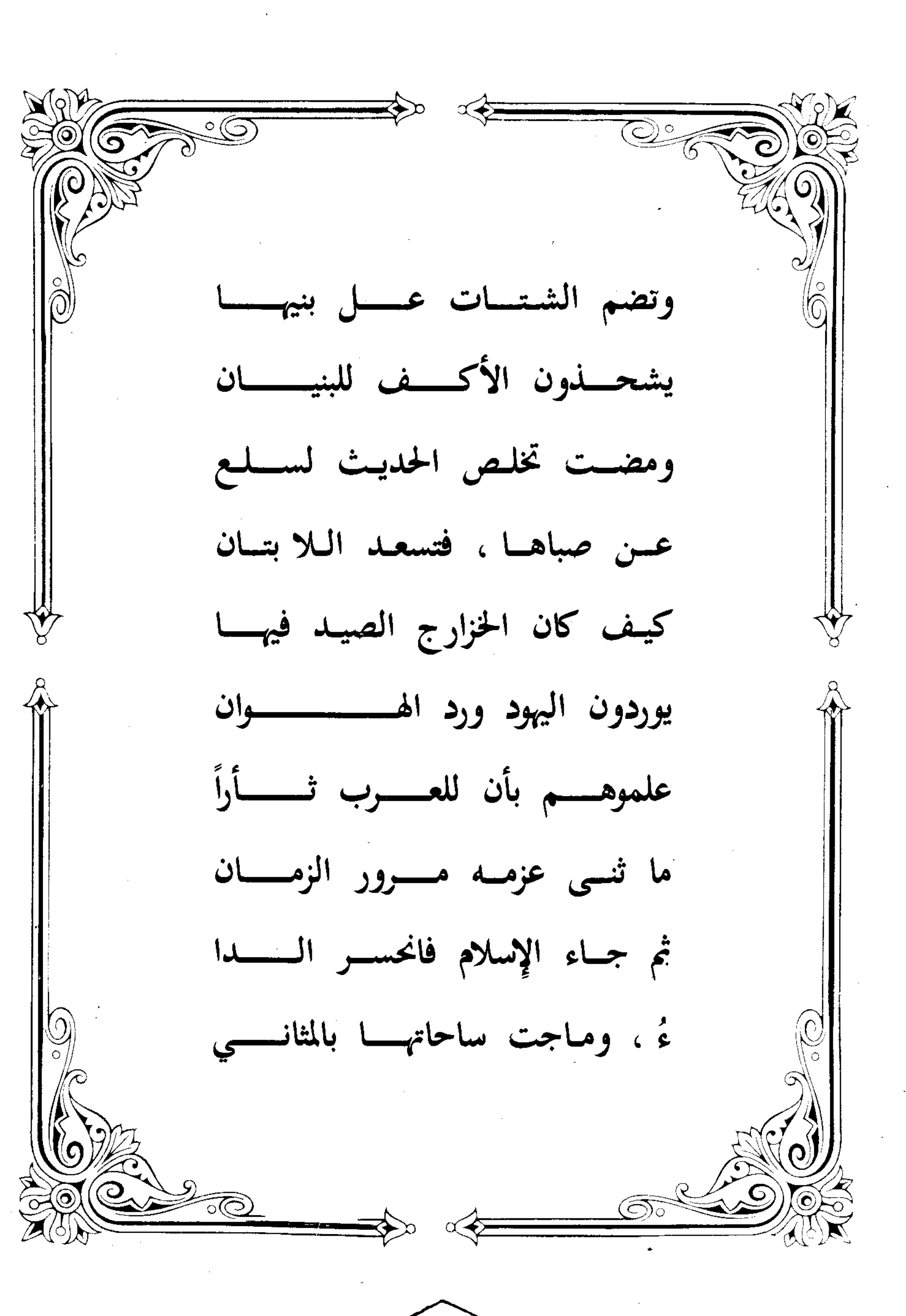
سالــف المجــد وارف الأفنــان

ضمـخت مفـرق الأطـوم وراحـــت

تتقــرى هشيمهـــا في حنـــان

---

(1) جيرون : إسم من أسماء دمشق، وفي البيت إشارة إلى حنين الشاعر المدني : أبي قطيفة للمدينة حين كان بجيرون.



وتضم الشتات على بنيها

يشحذون الأكف للبنيان

ومضت تخلص الحديث لسلع

عن صباها ، فتسعد اللابتان

كيف كان الخزارج الصيد فيها

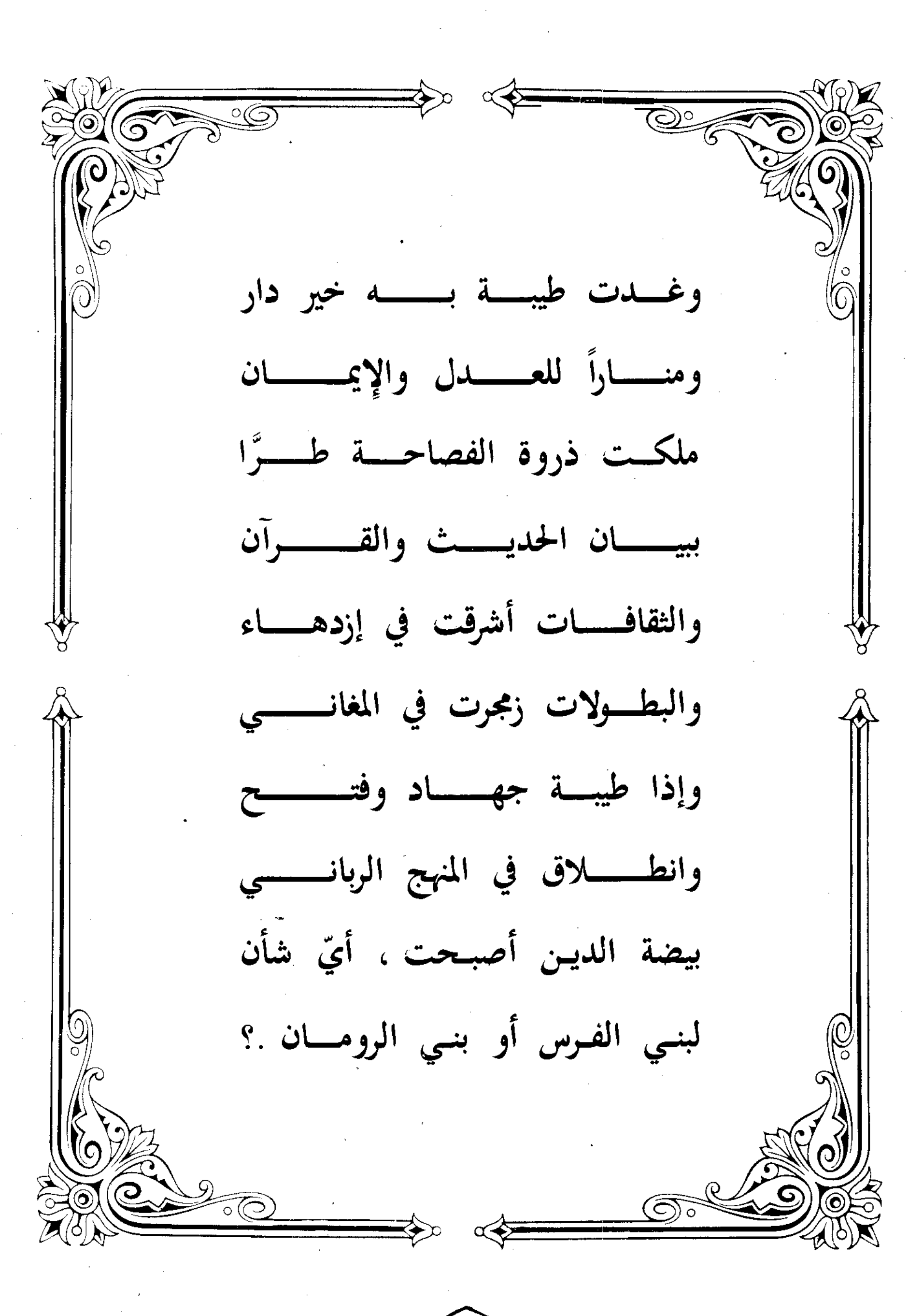
يوردون اليهود ورد الهوان

علموهم بأن للعرب ثأراً

ما ثنى عزمه مرور الزمان

ثم جاء الإسلام فانحسر الدا

ءُ ، وماجت ساحاتها بالمثاني



وغدت طيبة به خير دار

ومناراً للعدل والإيمان

ملكت ذروة الفصاحة طرًّا

ببيان الحديث والقرآن

والثقافات أشرقت في إزدهاء

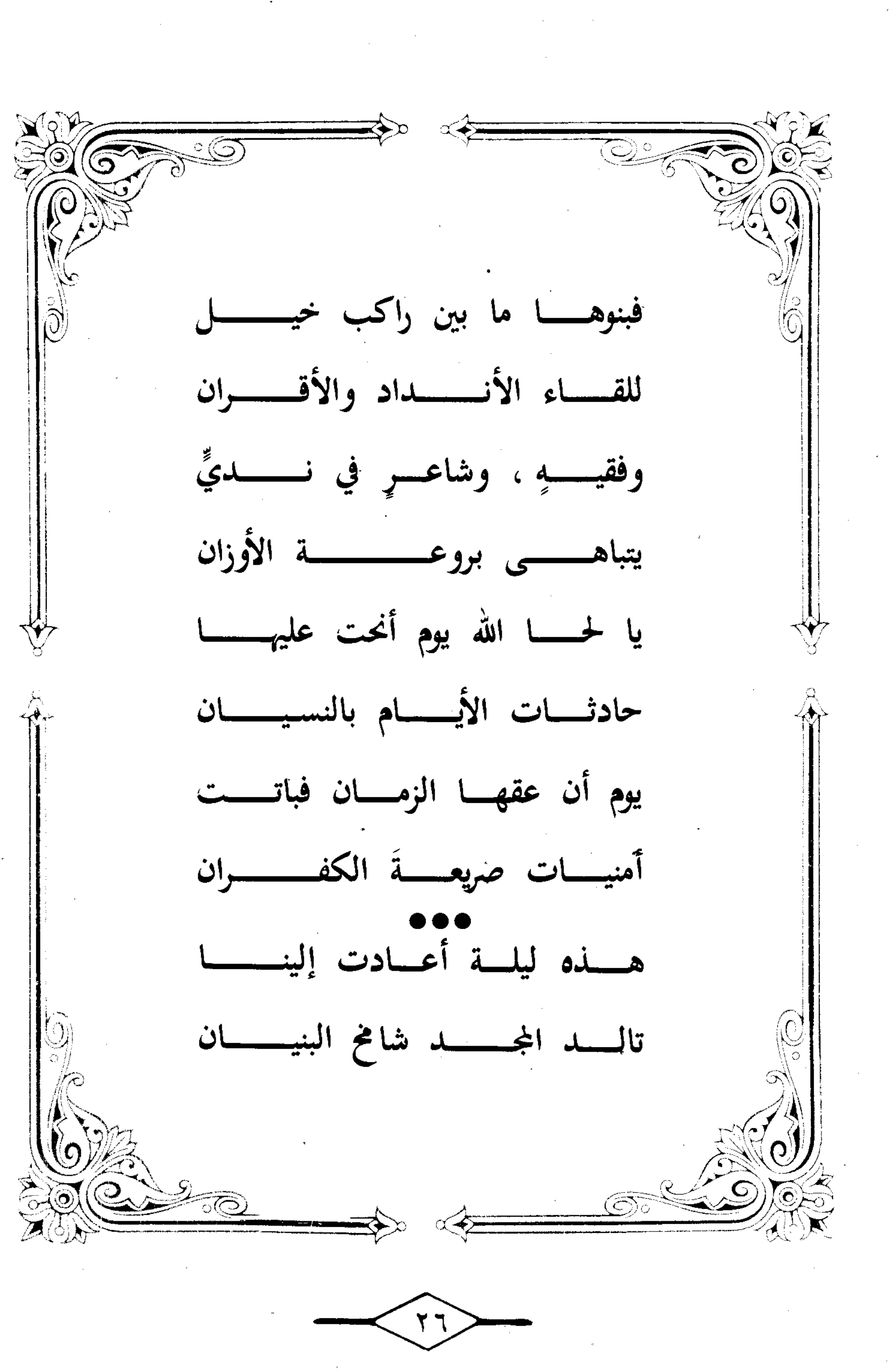
والبطولات زمجرت في المغاني

وإذا طيبة جهاد وفتح

وانطلاق في المنهج الرباني

بيضة الدين أصبحت ، أيّ شأن

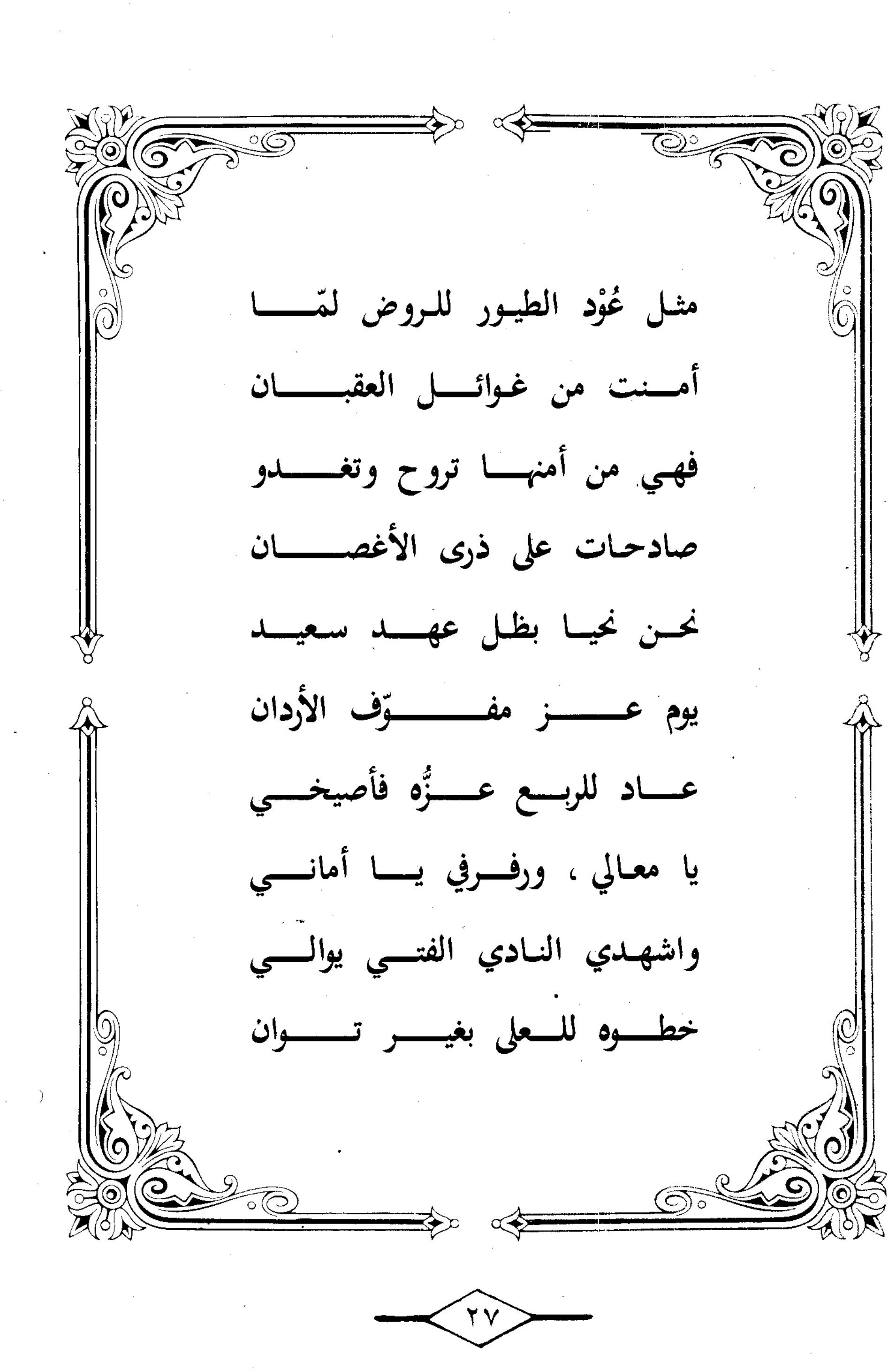
لبني الفرس أو بني الرومان .؟



فبنوهـا ما بين راكب خيـل
للقـاء الأنـداد والأقـران
وفقيـهٍ ، وشاعـرٍ في نـديٍّ
يتباهـى بروعـة الأوزان
يا لحـا الله يوم أنحت عليهـا
حادثـات الأيـام بالنسيـان
يوم أن عقهـا الزمـان فباتـت
أمنيـات صريعـةَ الكفـران

●●●

هـذه ليلـة أعـادت إلينـا
تالـد المجـد شامخ البنيـان



مثل عُوْد الطيور للروض لمّا

أمنت من غوائل العقبان

فهي من أمنها تروح وتغدو

صادحات على ذرى الأغصان

نحن نحيا بظل عهد سعيد

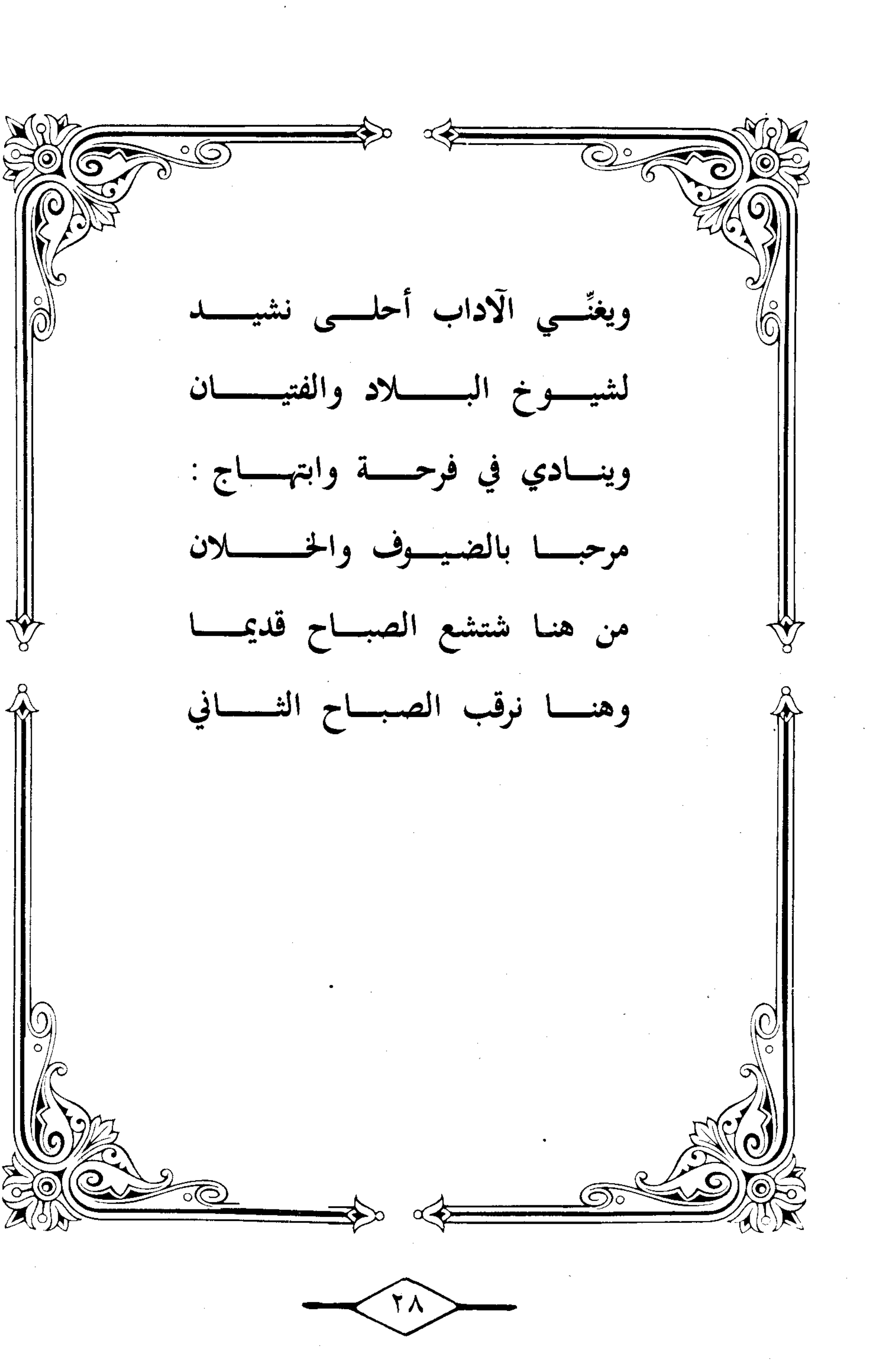
يوم عز مفوّف الأردان

عاد للربع عزُّه فأصيخي

يا معالي ، ورفرفي يا أماني

واشهدي النادي الفتي يوالي

خطوه للعلى بغير توان



ويغنِّـــي الآداب أحلـــى نشيـــد

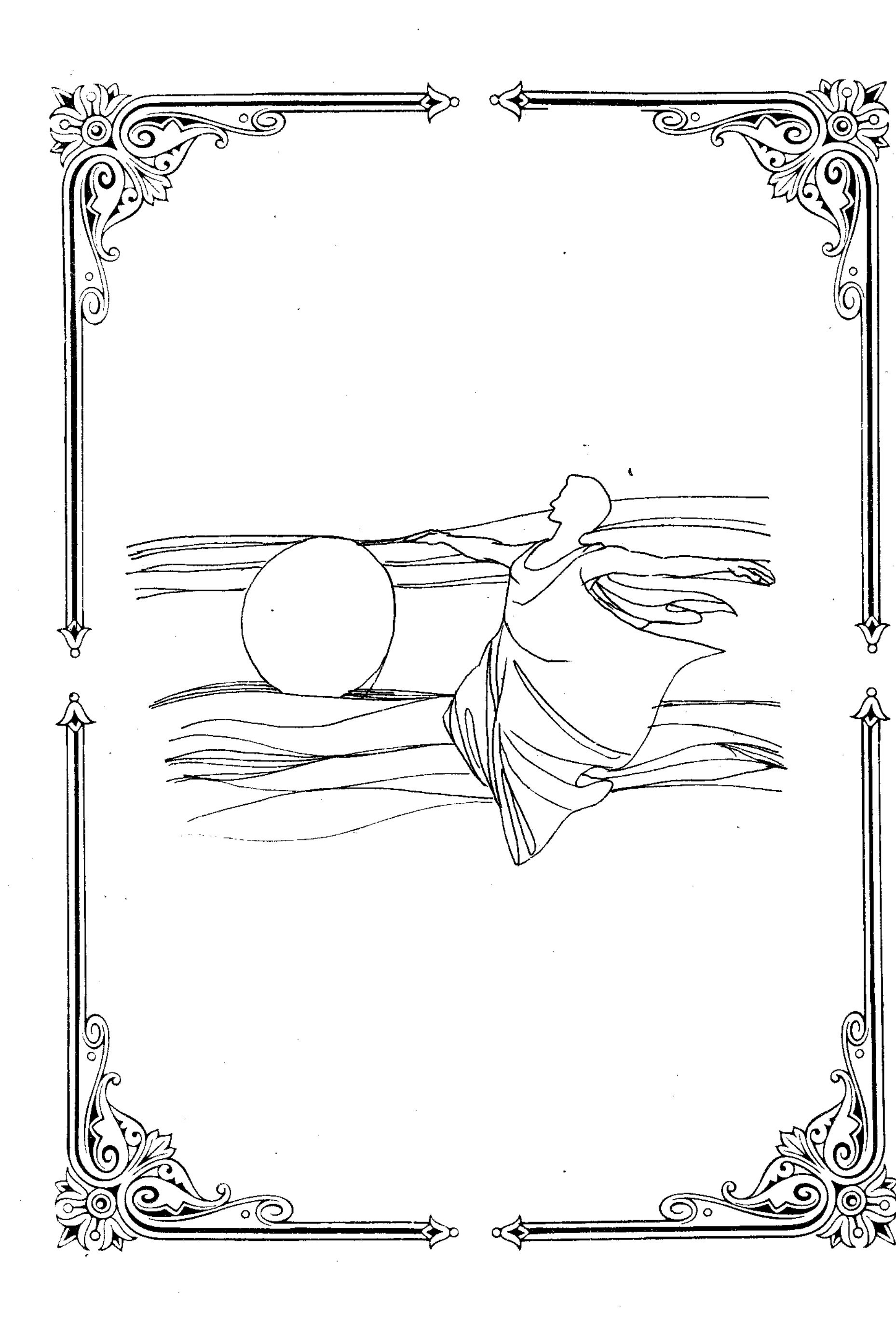
لشيـــوخ البـــلاد والفتيـــان

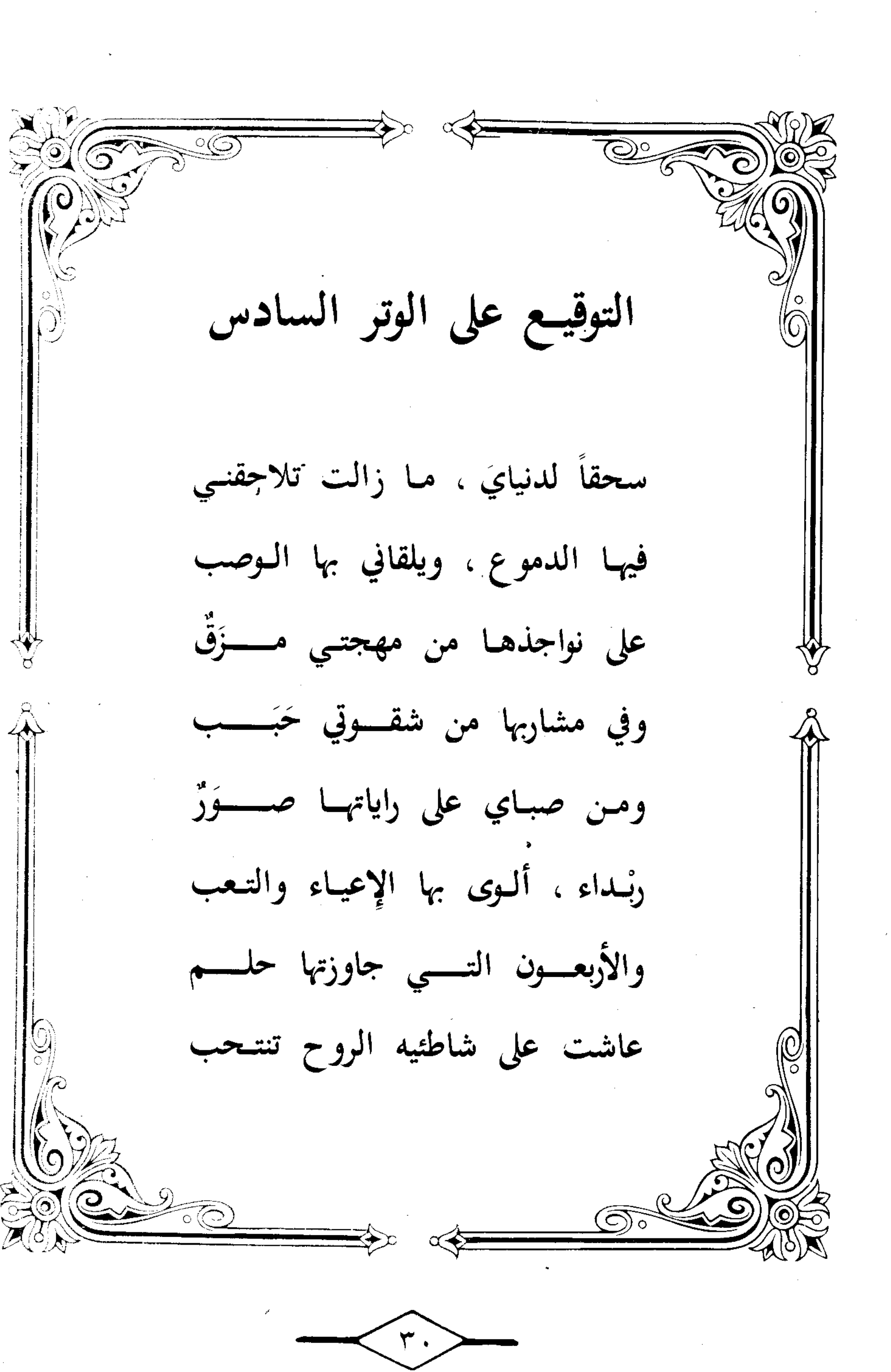
وينـــادي في فرحـــة وابتهـــاج :

مرحبـــا بالضيـــوف والخـــلان

من هنـا شتشع الصبـاح قديمـا

وهنـــا نرقب الصبـــاح الثـــاني





التوقيع على الوتر السادس

سحقاً لدنيايَ ، ما زالت تلاحِقني

فيها الدموع ، ويلقاني بها الوصب

على نواجذها من مهجتي مِزَقٌ

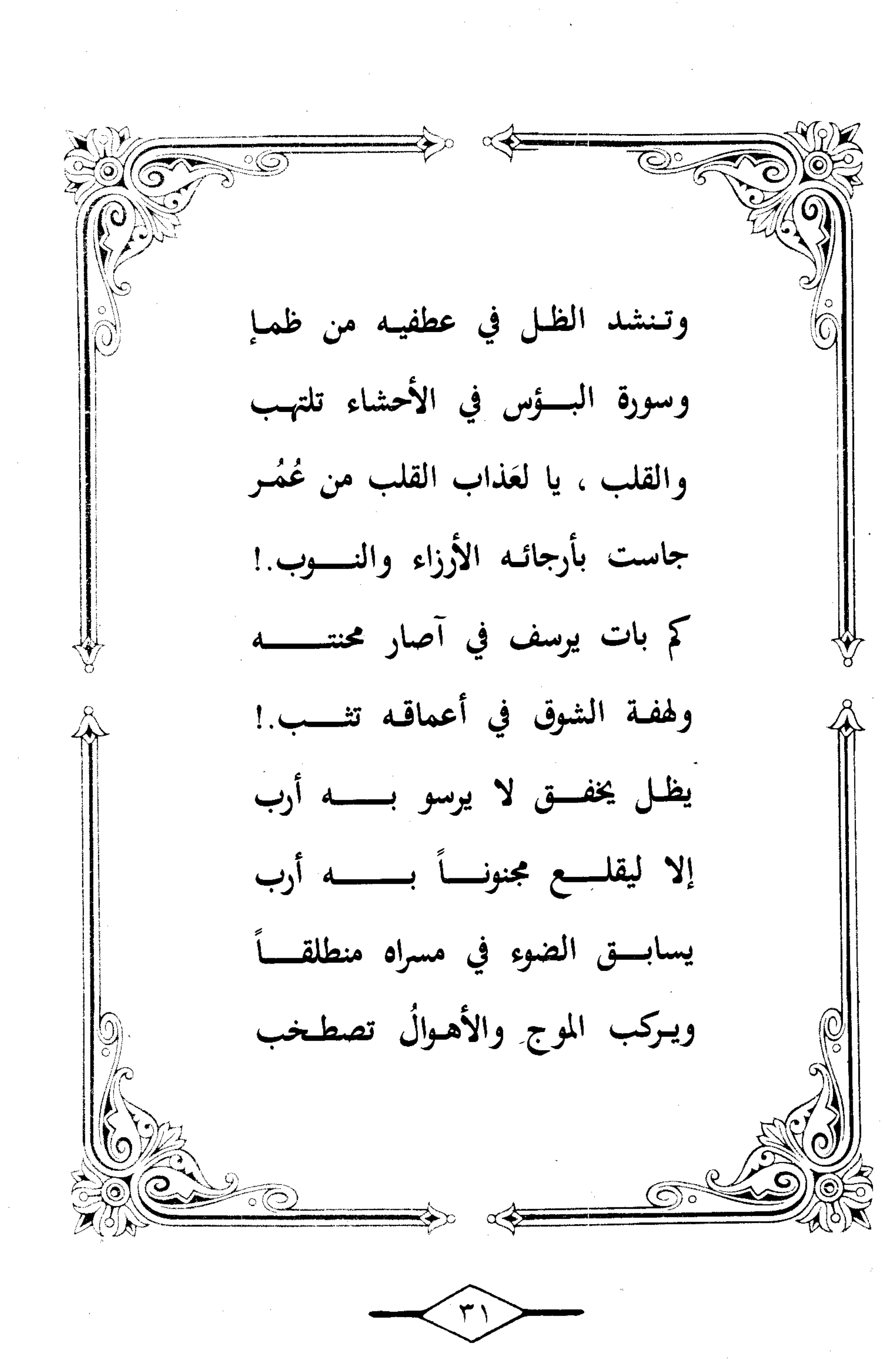
وفي مشاربها من شقوتي حَبَب

ومن صباي على راياتها صوَرٌ

ربْداء ، ألوى بها الإعياء والتعب

والأربعون التي جاوزتها حلم

عاشت على شاطئيه الروح تنتحب



وتنشد الظل في عطفيه من ظمإ

وسورة البـؤس في الأحشاء تلتهب

والقلب ، يا لعَذاب القلب من عُمُر

جاست بأرجائه الأرزاء والنـوب.!

كم بات يرسف في آصار محنتـه

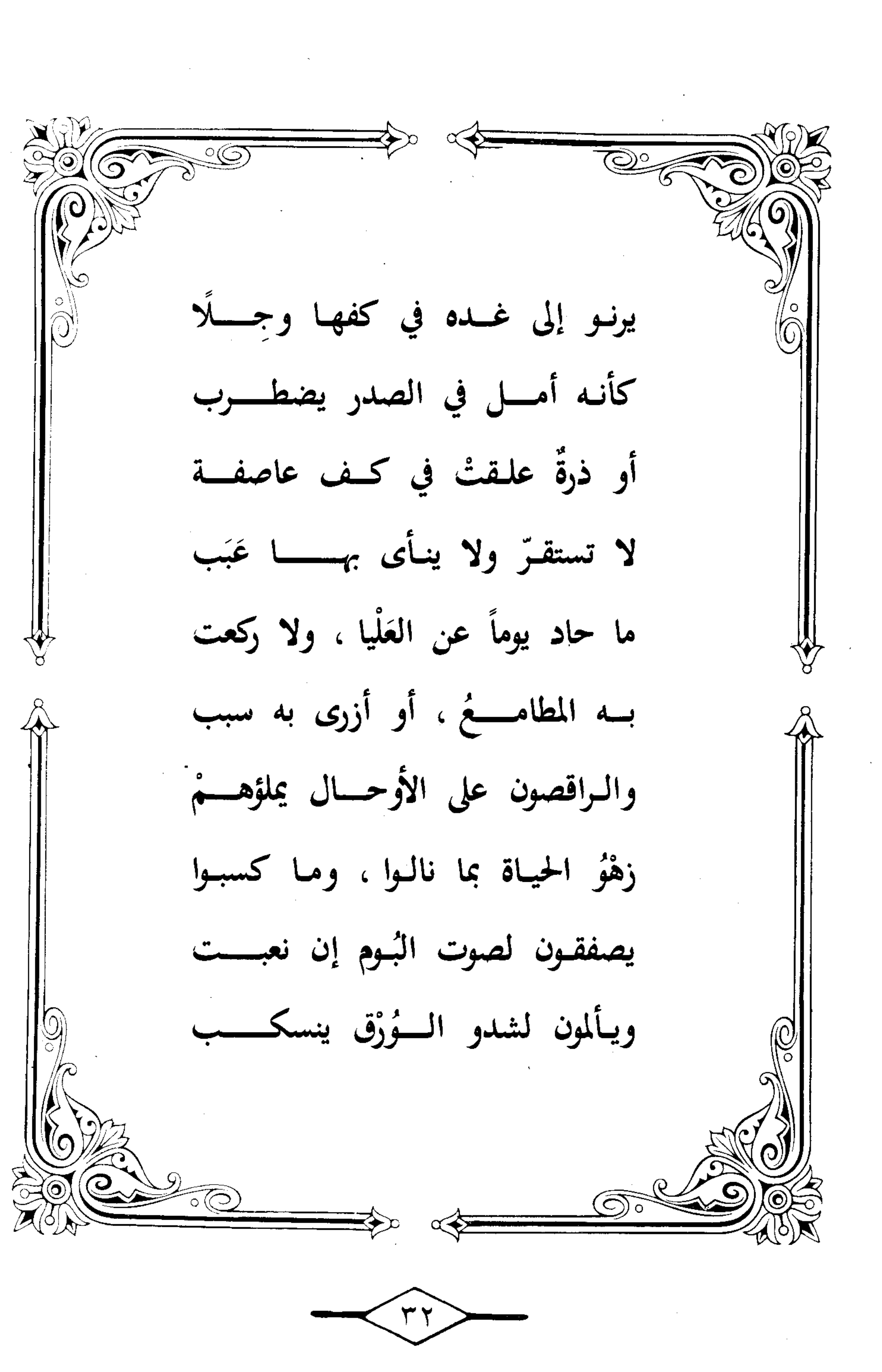
ولهفة الشوق في أعماقه تثـب.!

يظل يخفـق لا يرسو بـه أرب

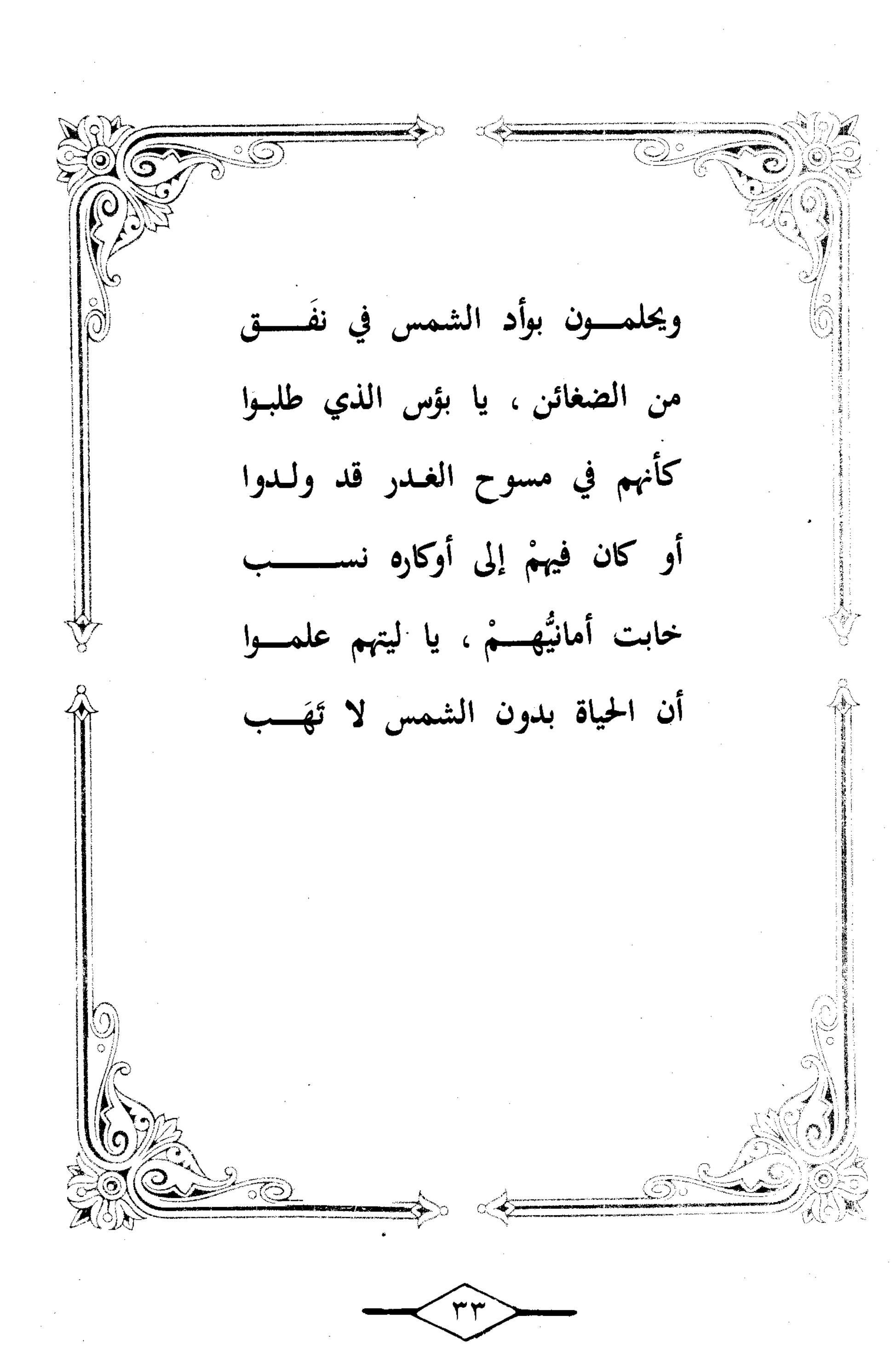
إلا ليقلـع مجنوناً بـه أرب

يسابـق الضوء في مسراه منطلقـاً

ويركب الموجِ والأهوالُ تصطخب

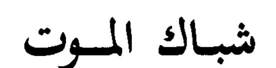


يرنو إلى غده في كفها وجِلًا
كأنه أمل في الصدر يضطرب
أو ذرةٌ علقتْ في كف عاصفة
لا تستقرّ ولا ينأى بها عَبَب
ما حاد يوماً عن العَلْيا ، ولا ركعت
به المطامعُ ، أو أزرى به سبب
والراقصون على الأوحال يملؤهمْ
زهْوُ الحياة بما نالوا ، وما كسبوا
يصفقون لصوت البُوم إن نعبت
ويألمون لشدو الوُرْق ينسكب



ويحلمــون بوأد الشمس في نفَــق
من الضغائن ، يا بؤس الذي طلبوا
كأنهم في مسوح الغدر قد ولـدوا
أو كان فيهمْ إلى أوكاره نســب
خابت أمانيُّهــمْ ، يا ليتهم علمــوا
أن الحياة بدون الشمس لا تَهَــب





أيُّ كأس مريرة مازجتْها

لوعة الثكل رافقت أقداري

نصب الموتُ لي شباكا صفاقا

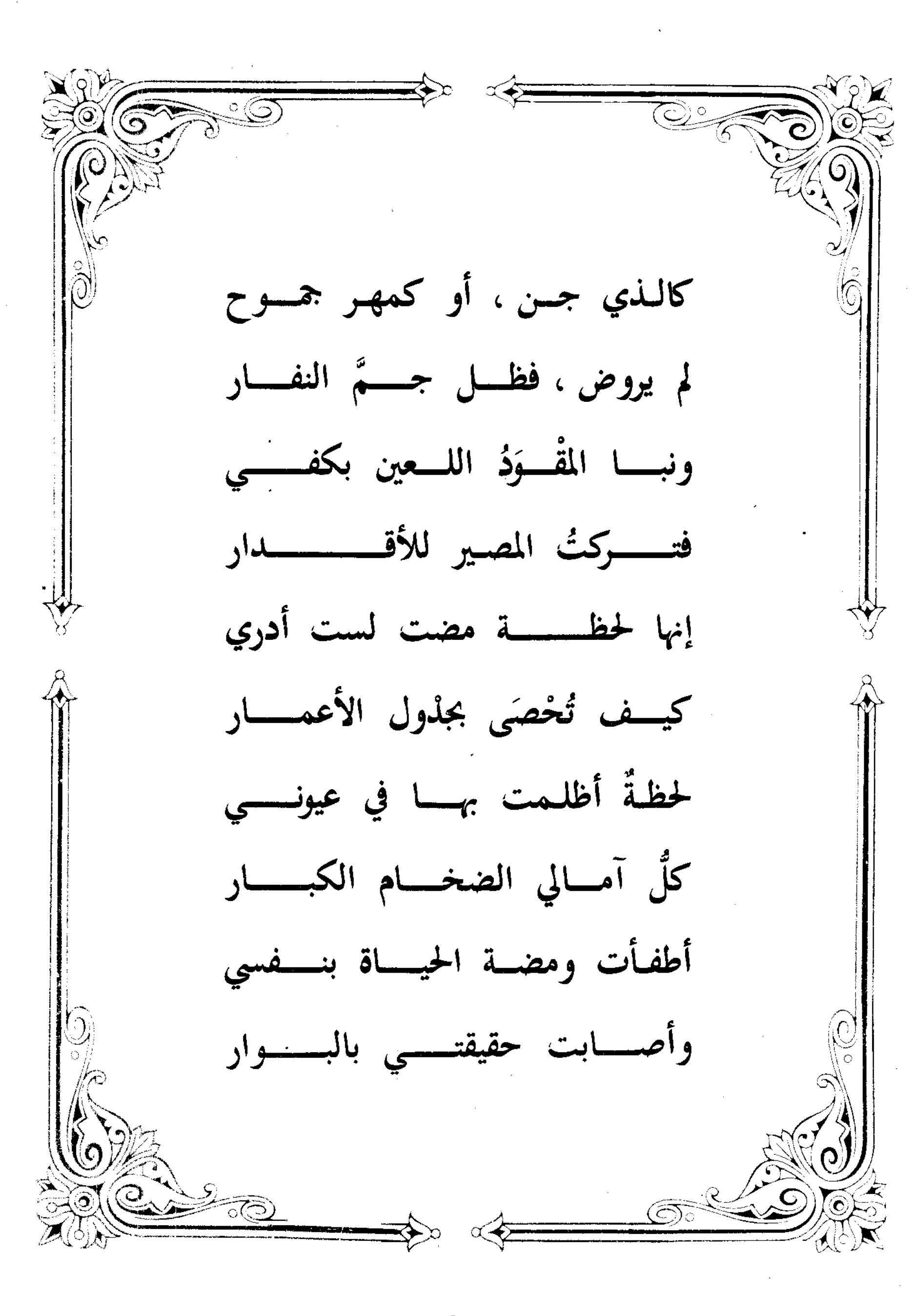
في طريقي المعفَّر (المشوار)

(بنْشَرَ الأُبْلُ) فالحياةُ صراع

دموي على الشفير الهاري

وكبحتُ الجماح قسراً فزادت

في أذاها ، وأمعنت في الدمار



كالـذي جـن ، أو كمهـر جمـوح

لم يروض ، فظـل جـمَّ النفـار

ونبـا المقْـوَدُ اللـعين بكفـي

فتـركتُ المصير للأقـدار

إنها لحظـة مضت لست أدري

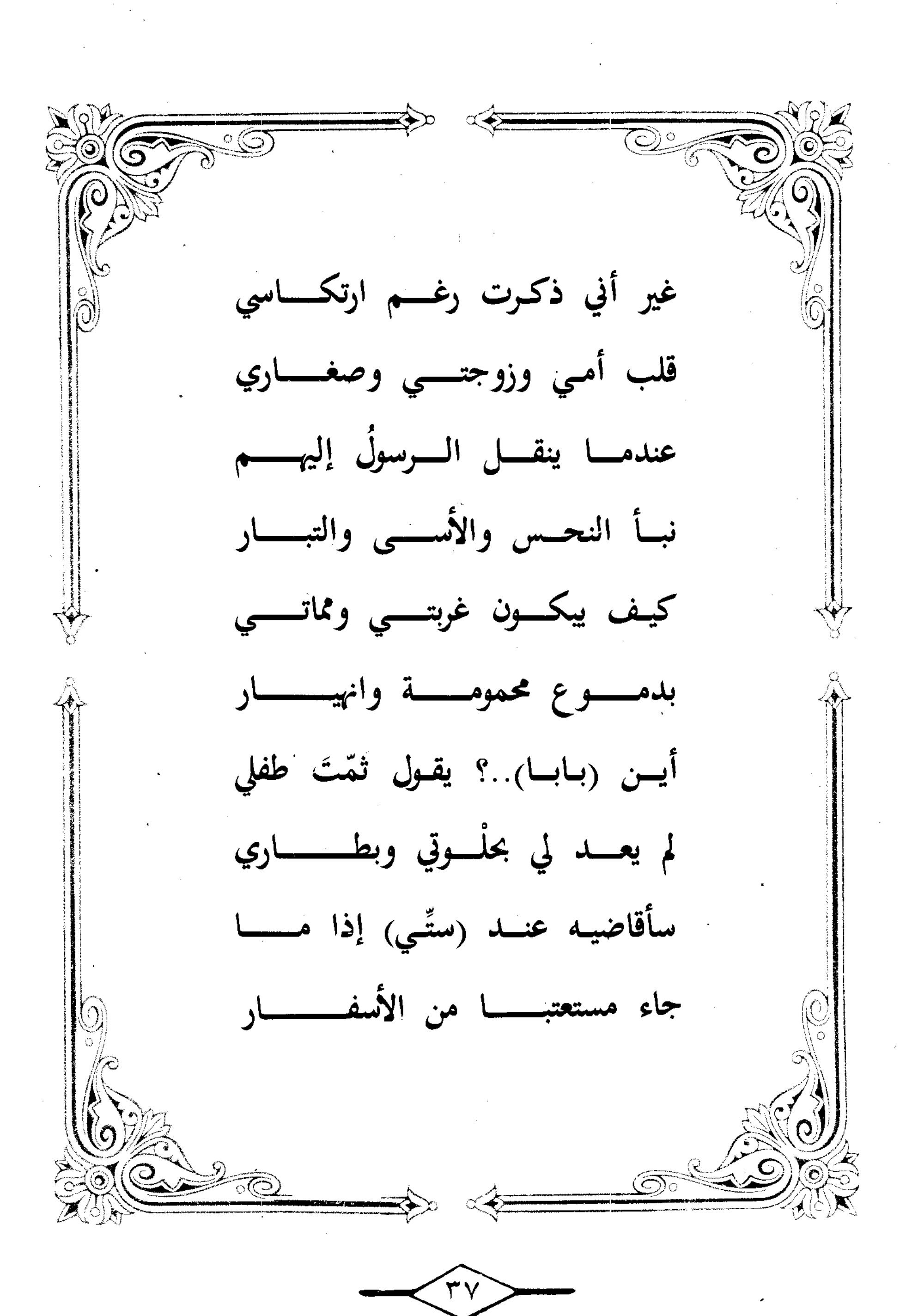
كيـف تُحْصَى بجْدول الأعمـار

لحظةٌ أظلمت بهـا في عيونـي

كلُّ آمـالي الضخـام الكبـار

أطفأت ومضـة الحيـاة بنـفسي

وأصـابت حقيقتـي بالبـوار



غير أني ذكرت رغم ارتكاسي
قلب أمي وزوجتي وصغاري
عندما ينقل الرسولُ إليهم
نبأ النحس والأسى والتبار
كيف يكون غربتي ومماتي
بدموع محمومة وانهيار
أين (بابا)..؟ يقول ثمّتَ طفلي
لم يعد لي بحلْوتي وبطاري
سأقاضيه عند (ستِّي) إذا ما
جاء مستعتبا من الأسفار

فتجيب الدموع من قلب أمي

ومن الزوج والبنات الكبار

بنشيج مولّه ، ونحيب

لاهب الصوت ، ما له من قرار

غير أن البكاء ليس بمُجْد

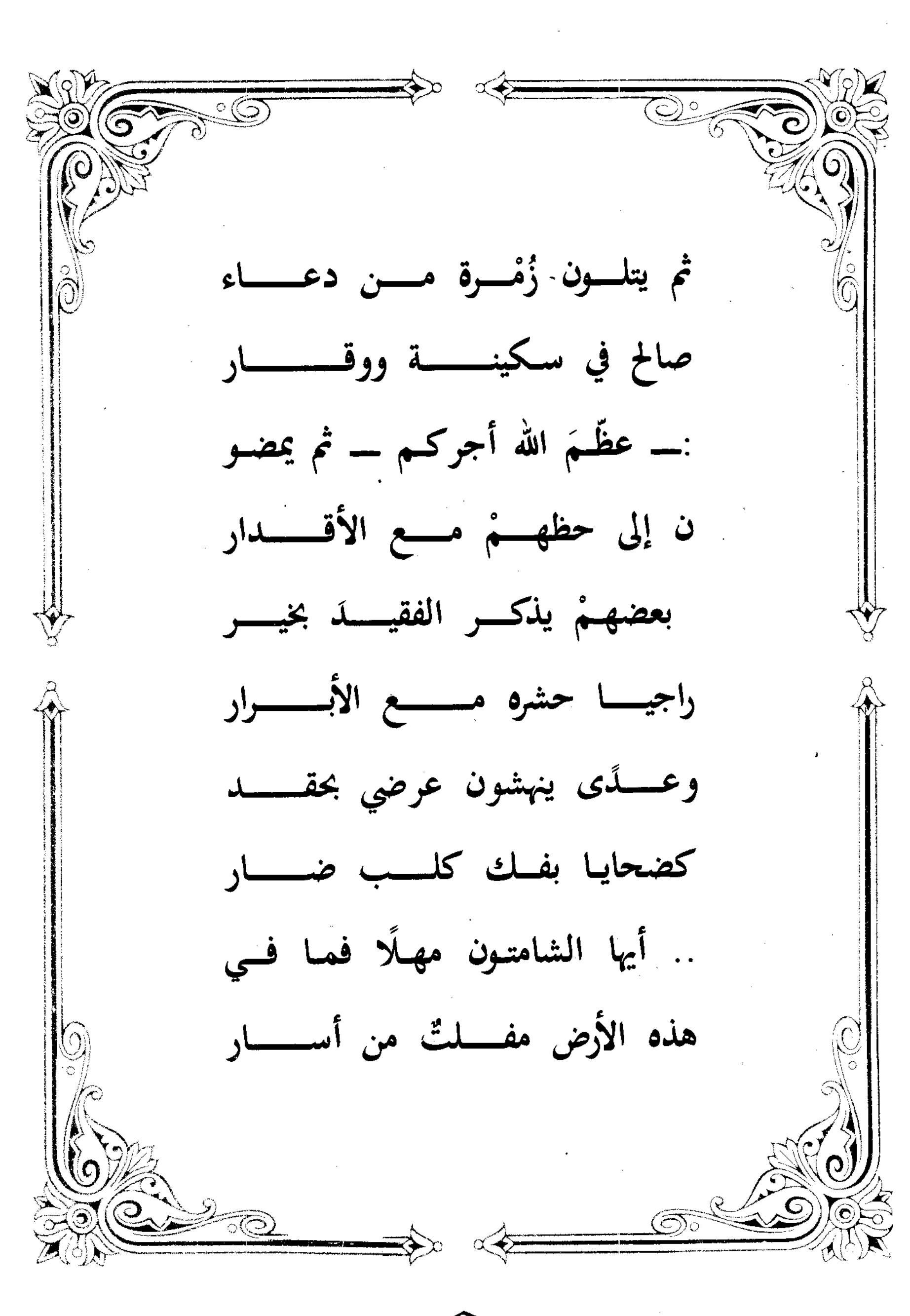
مَنْ قَضَى ، أو يزيد في الاصطبار

.. ويمر الرفاق بالنعش خُرْساً

ليواروني الضريحَ المُواري

ويهيلون فوقي التُّرْب سوداً

بمساحٍ جريئة لا تداري



ثم يتلـون زُمْـرة مـن دعـاء
صالح في سكينـة ووقـار
:ـ عظّمَ الله أجركـم ـ ثم يمضو
ن إلى حظهـمْ مـع الأقـدار
بعضهـمْ يذكـر الفقيـدَ بخيـر
راجيـا حشره مـع الأبـرار
وعـدًى ينهشون عرضي بحقـد
كضحايا بفـك كلـب ضـار
.. أيها الشامتون مهـلًا فما فـي
هذه الأرض مفـلتٌ من أسـار

ستموتـــون ، فالخلـــود محــــال

ليس هذي الحيـــاة دار قــــرار

●●●

أيها الموت أنت شيء رهيـــــب

رائـــع بالكلـــوم والأخطـــــار

أنت لغـــز محير تـــاه فيـــه

كل عقـــل مفكـــر جبــــــار

فجــــأة تسرق الحيـــــاة وتمضي

لا تبـــالي بصبيـــة أو كبــــار

دون أن تعطي الخليقـــة حـــدًّا

لمداهـــم ، ودونمـــــا إنـــــذار

كلهـــــم ينتهون بالموت كُرْهـــاً

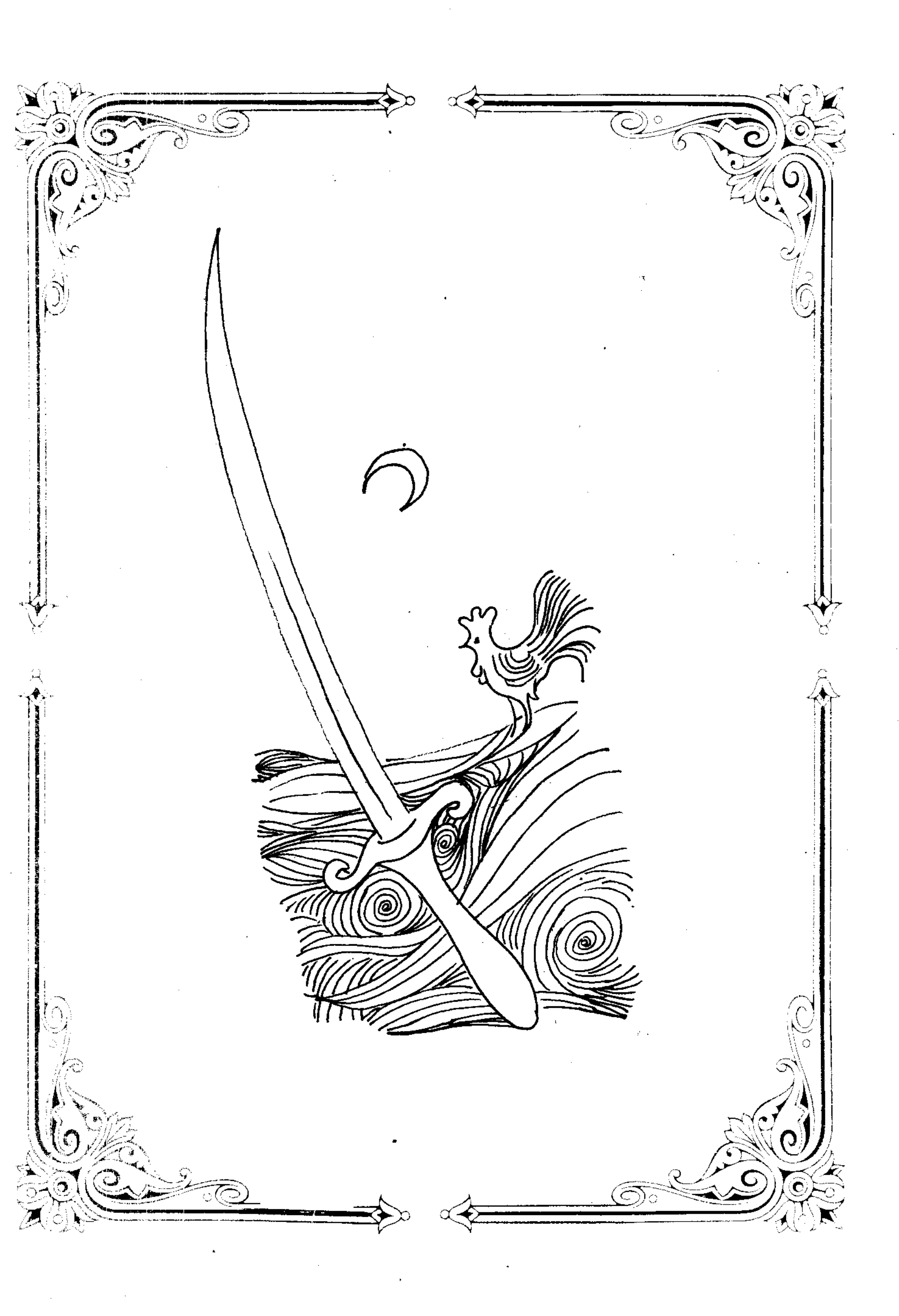
فهـو صِبْـرُ الختــام في الأطــوار

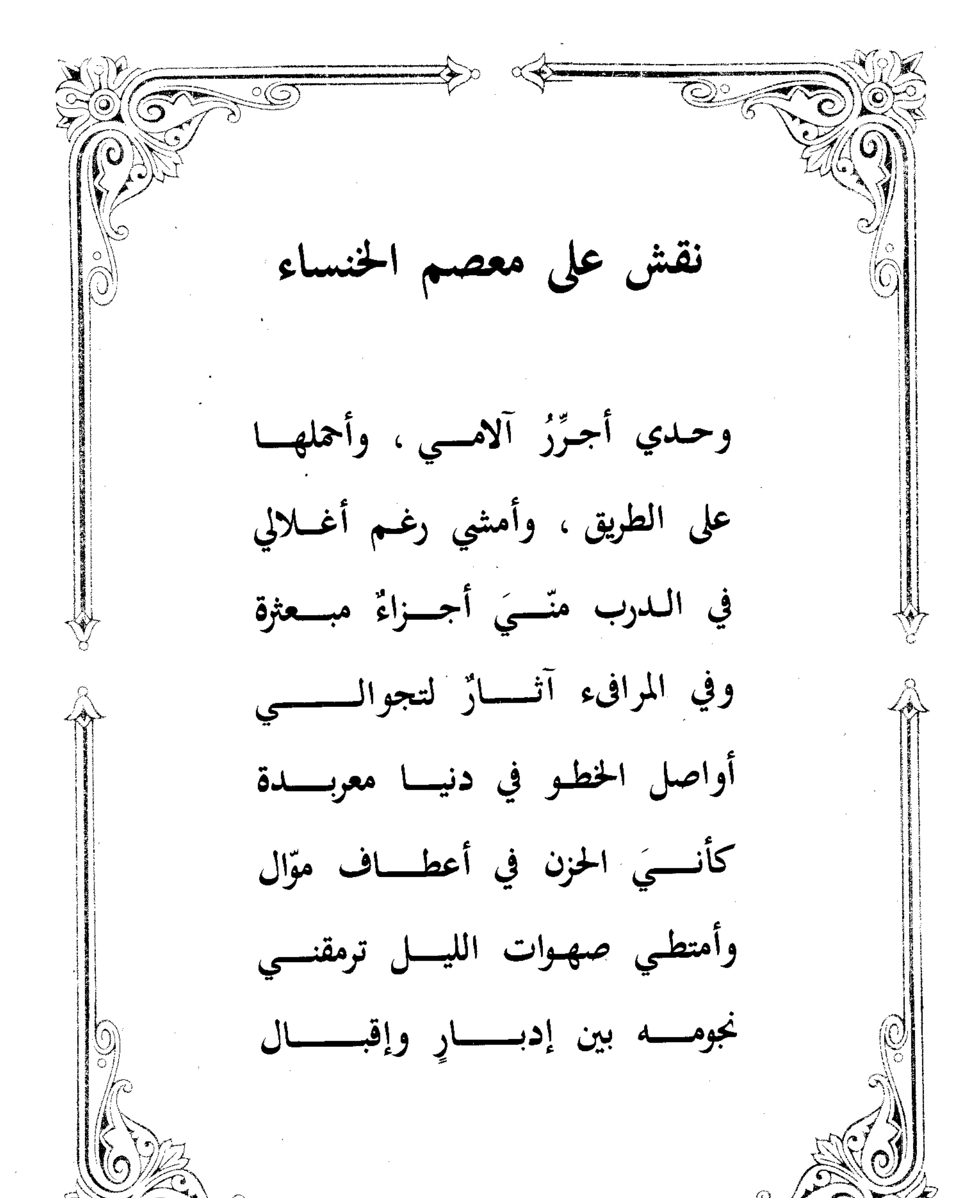
ربِّ رحماك قد أضعتُ صوابــــي

أنت كهفــي وملجئــي ومنــاري

صرخـاتُ الرحيــل هزّت كيانــي

يا لَقلبــي المحطّــمِ المنهـــــار





نقش على معصم الخنساء

وحدي أجرِّرُ آلامــي ، وأحملهــا

على الطريق ، وأمشي رغـم أغـلالي

في الـدرب منّــيَ أجــزاءٌ مبــعثرة

وفي المرافىء آثــارٌ لتجوالـــــي

أواصل الخطـو في دنيــا معربـــدة

كأنــيَ الحزن في أعطــاف موّال

وأمتطي صهـوات الليــل ترمقنــي

نجومــه بين إدبـــارٍ وإقبـــال

تقـول وهـي تجوب الأفْـقَ لافظـةً

أنفاسهـا كجـريح بين أطـلال

: ألا تزال تقضِّي العُمْـر في ولـهٍ

موزَّعـاً بين آلامٍ وآمـال .؟

تظلّ تركض خلف الفجـر مبتسمـا

للحـزن ، تنـزف في أثـواب رئبـال

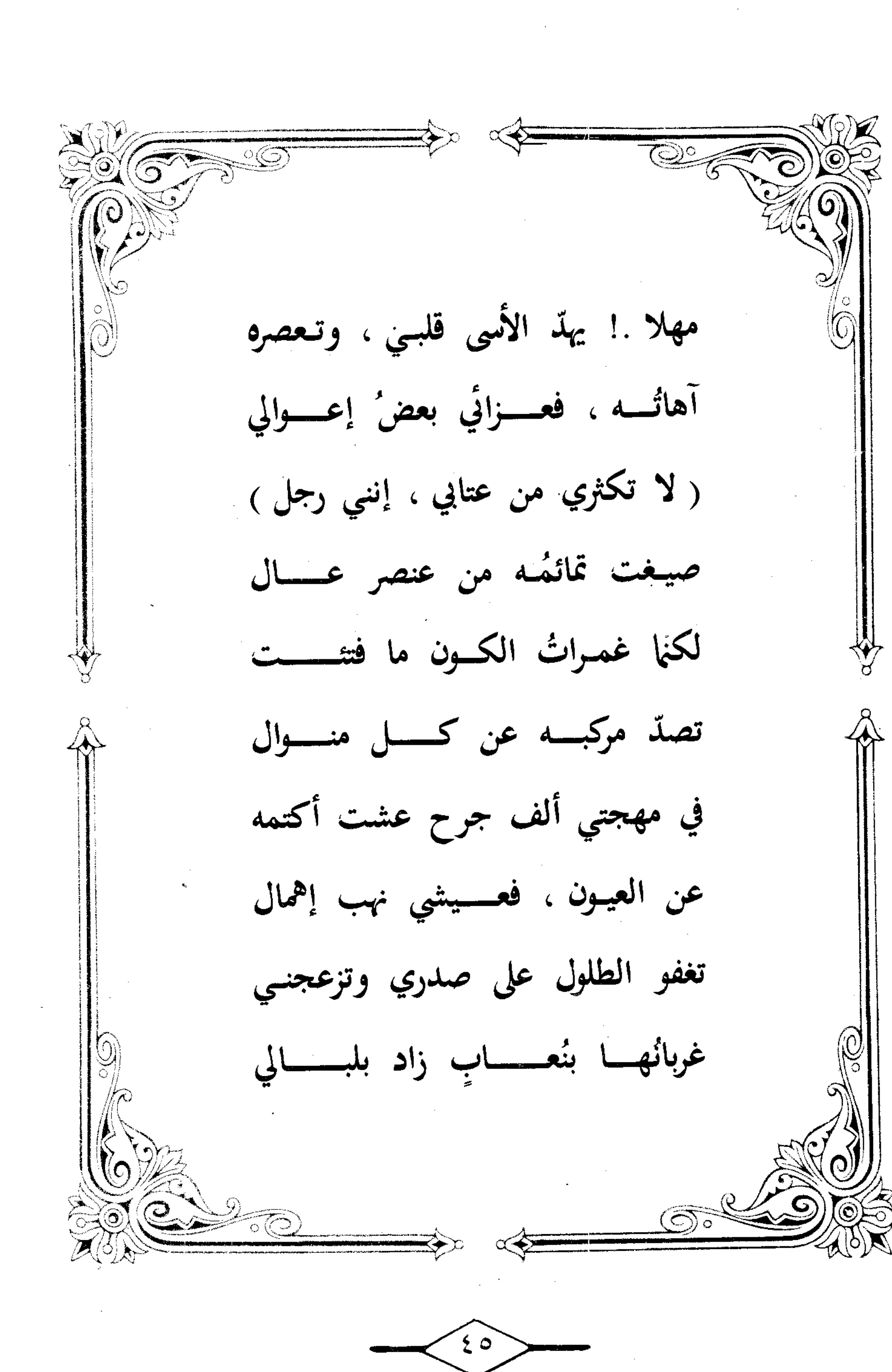
وسحرُ شعرك يذوي كلما ارتطمت

أصداؤه الغـرُّ في أمـواج أهـوال

كأنك الوهـم في الصحـراء تُرقصـه

على الجفـون غلالاتٌ من الآل

●●●



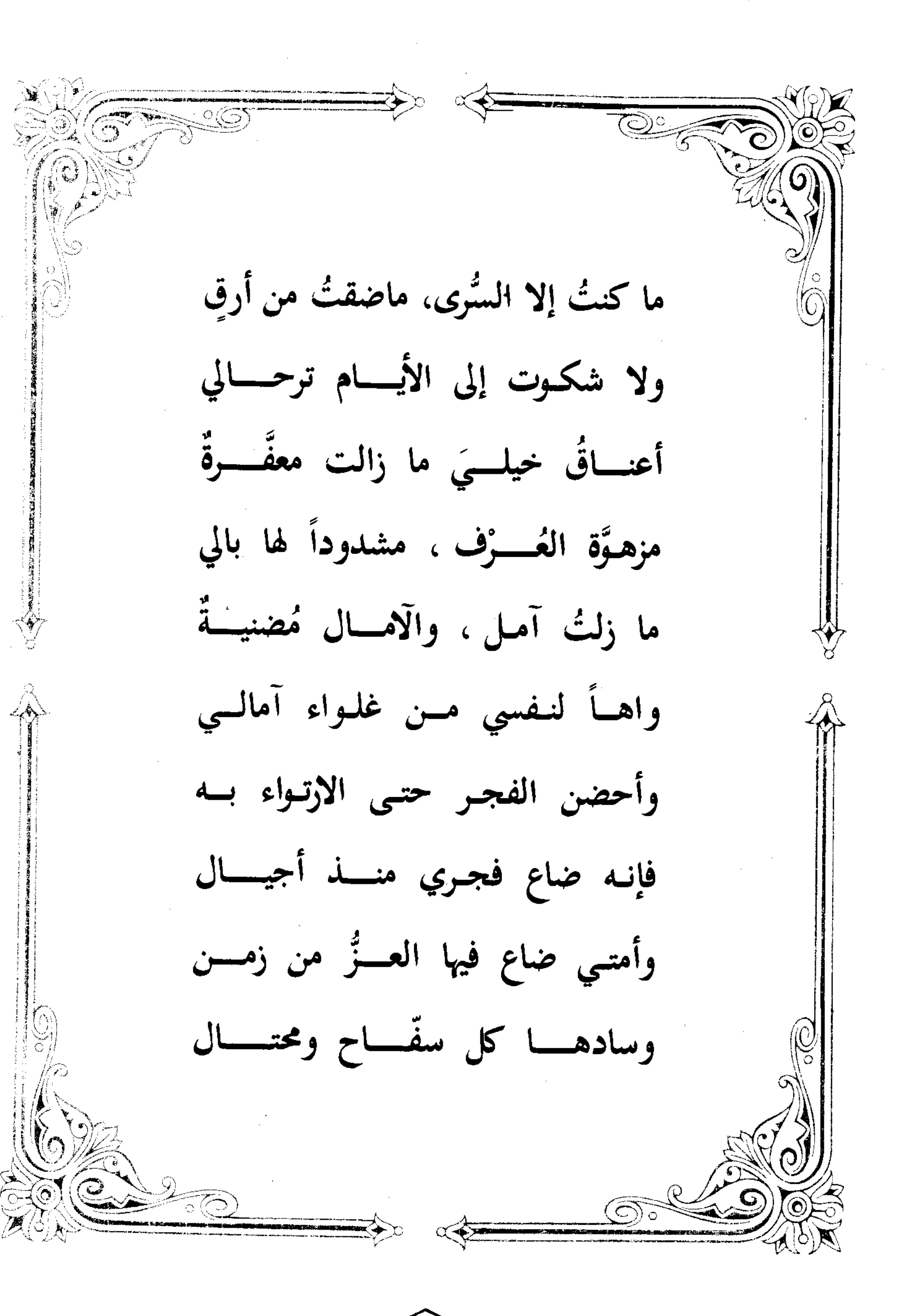
مهلا .! يهدّ الأسى قلبـي ، وتـعصره
آهاتُـــه ، فعــــزائي بعضُ إعـــوالي

(لا تكثري من عتابي ، إنني رجل)
صيـغت تمائمُـه من عنصر عــــال

لكنّما غمـراتُ الكـون ما فتئـــــت
تصدّ مركبـــه عن كـــل منـــوال

في مهجتي ألف جرح عشت أكتمه
عن العيـون ، فعـــيشي نهب إهمال

تغفو الطلول على صدري وتزعجنـي
غربانُهـــا بنُعـــابٍ زاد بلبـــالي



ما كنتُ إلا السُّرى، ماضقتُ من أرقٍ

ولا شكوت إلى الأيــام ترحــالي

أعنــاقُ خيلــيَ ما زالت معفَّــرةٌ

مزهـوَّة العُــرْف ، مشدوداً لها بالي

ما زلتُ آمل ، والآمــال مُضنيــةٌ

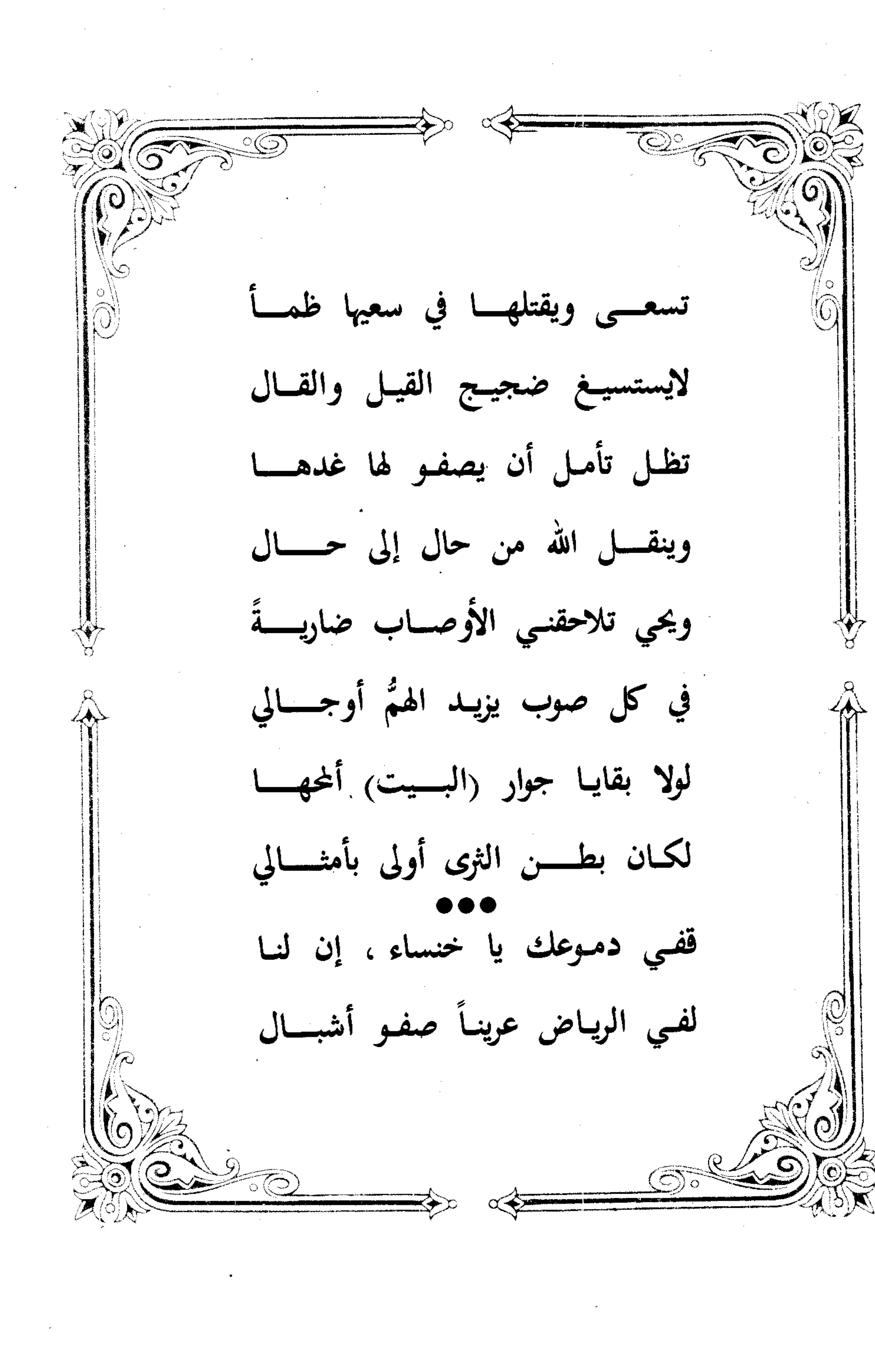
واهــاً لنفسي مــن غلواء آمالــي

وأحضن الفجر حتى الارتواء بـه

فإنه ضاع فجري منــذ أجيــال

وأمتي ضاع فيها العــزُّ من زمــن

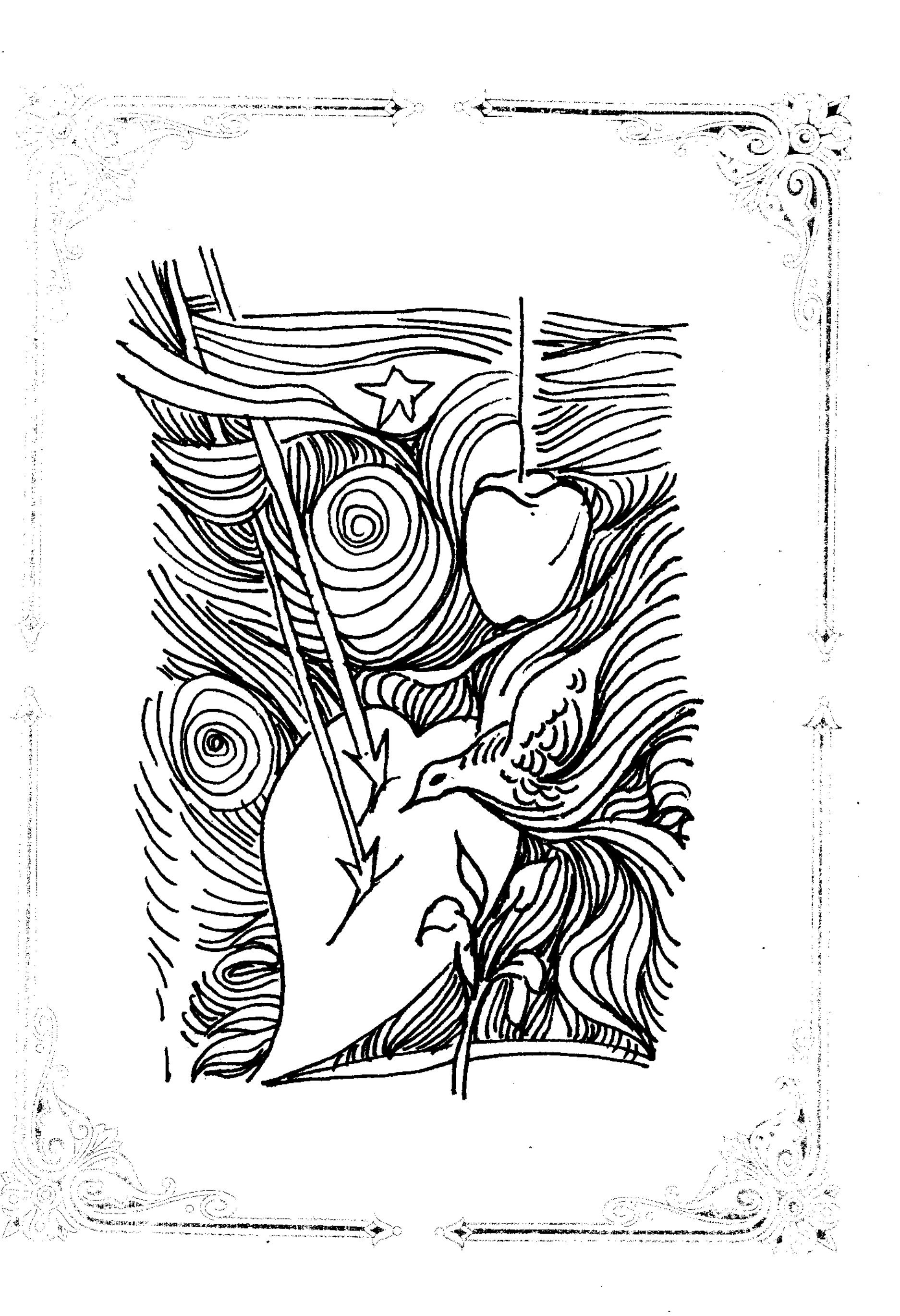
وسادهــا كل سفّــاح ومحتــال



تسعى ويقتلها في سعيها ظمأ
لايستسيغ ضجيج القيل والقال
تظل تأمل أن يصفو لها غدها
وينقل الله من حال إلى حال
ويحي تلاحقني الأوصاب ضاريةً
في كل صوب يزيد الهمُّ أوجالي
لولا بقايا جوار (البيت) ألمحها
لكان بطن الثرى أولى بأمثالي

●●●

قفي دموعك يا خنساء ، إن لنا
لفي الرياض عريناً صفو أشبال



على ضفاف الليـل

طال سيري واغترابـــــــــــي

فـــي متاهـــات العـــذاب

والأعاصـــــير اللواتـــــي

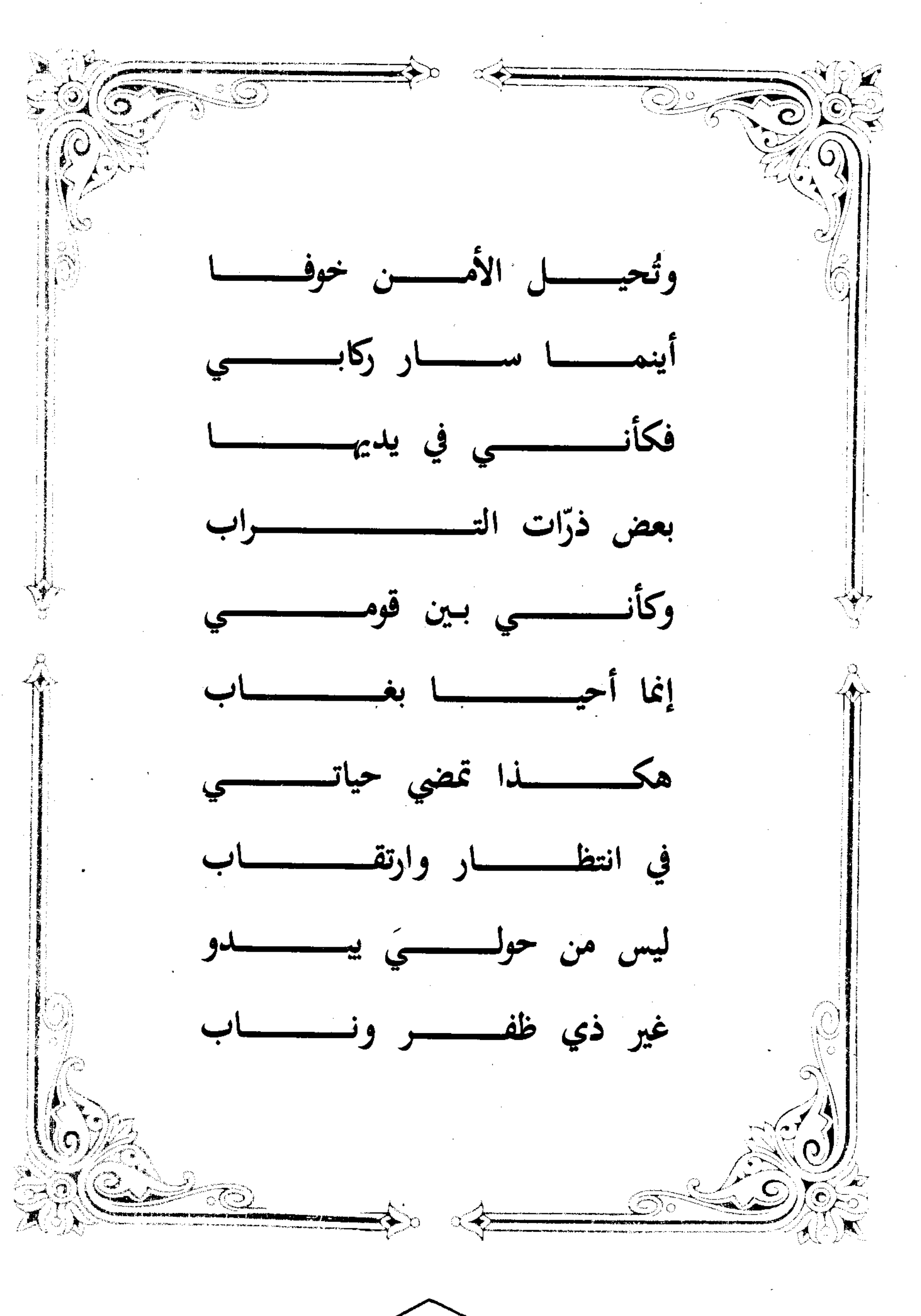
دنست فجـــــر شبابـــــي

لم تزل تُغْـــول سكـــــرى

من دمـــي ملء الإهـــاب

تملأ الأفـــق عُـــــواء

مثـــل أصـــوات الذئـــاب



وتُحيـــل الأمـــن خوفـــا

أينمـــا ســـار ركابـــي

فكأنـــــي في يديهـــــا

بعض ذرّات التـــــــراب

وكأنـــــي بين قومـــــي

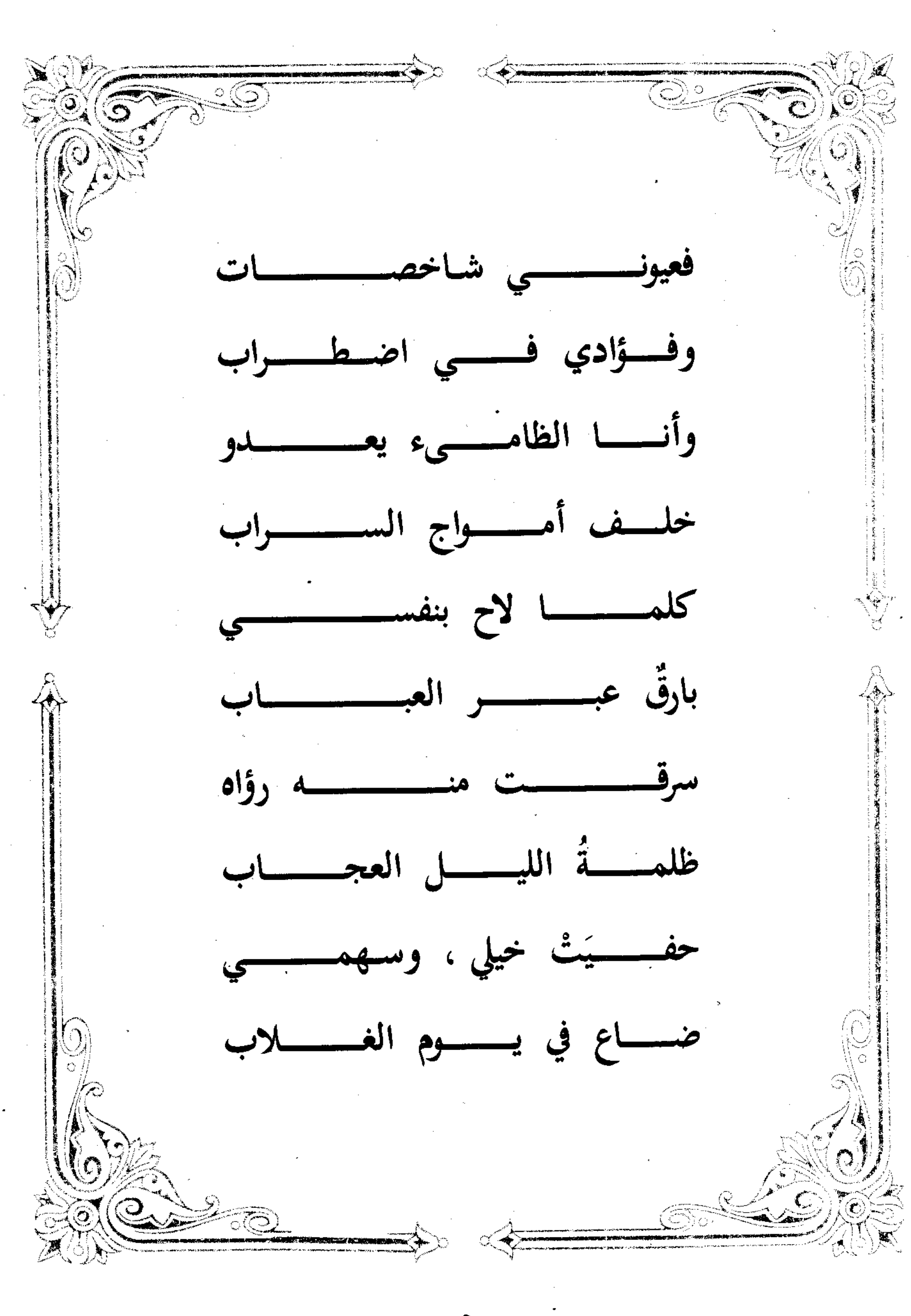
إنما أحيـــا بغـــاب

هكـــــذا تمضي حياتـــــي

في انتظـــار وارتقـــاب

ليس من حولـــيَ يـــدو

غير ذي ظفـــر ونـــاب



فعيونـــــي شاخصـــــات

وفـــؤادي فــــي اضطــــراب

وأنـــــا الظامــــىء يعـــــدو

خلـــف أمـــواج الســــراب

كلمـــــا لاح بنفســـــــي

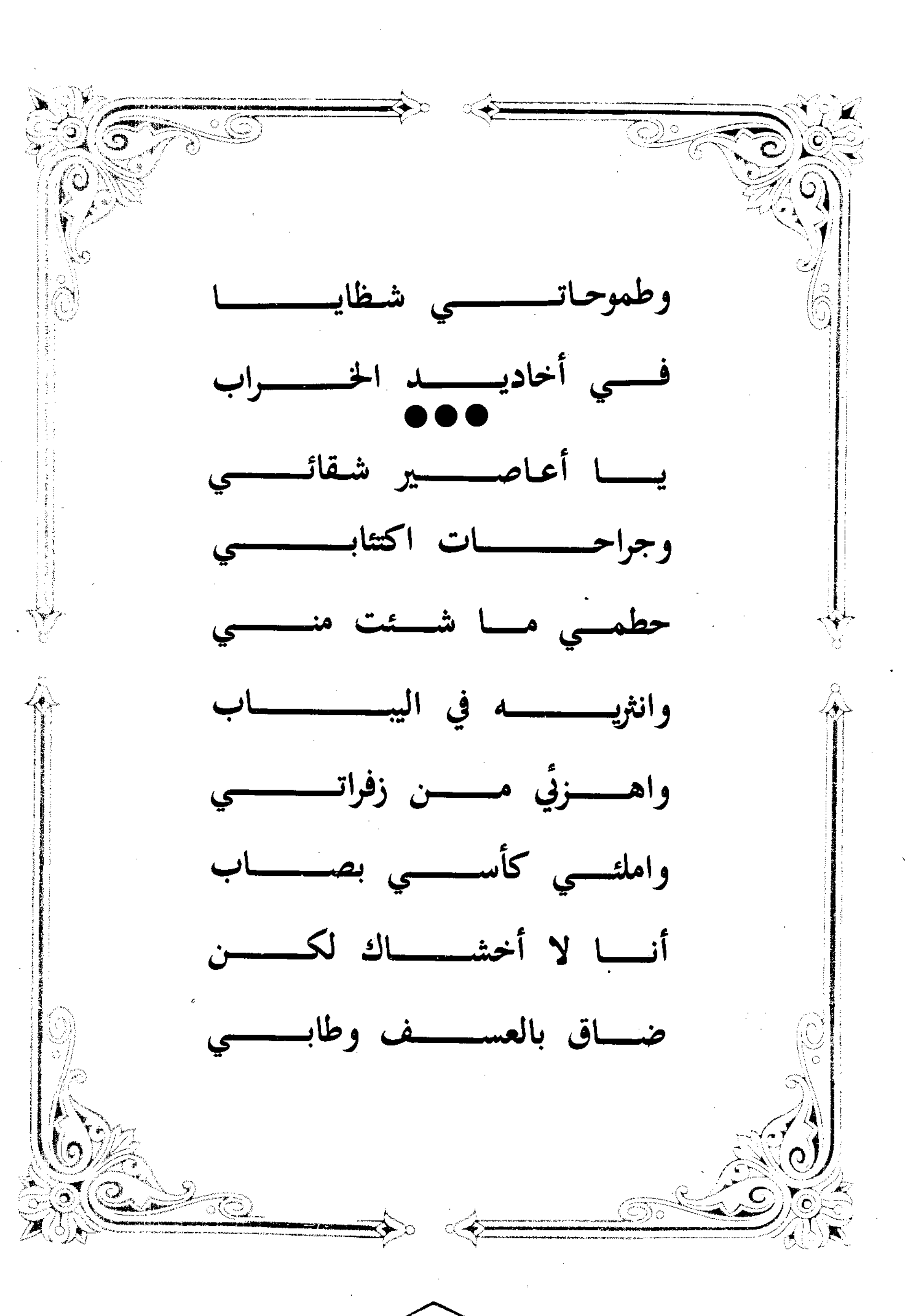
بارقٌ عبـــــر العبــــــاب

سرقـــــت منـــــه رؤاه

ظلمـــــةُ الليــــل العجــــاب

حفـــيَتْ خيلي ، وسهمــــي

ضـــاع في يـــوم الغـــلاب



وطموحاتي شظايا

في أخاديد الخراب

●●●

يا أعاصير شقائي

وجراحات اكتئابي

حطمي ما شئت مني

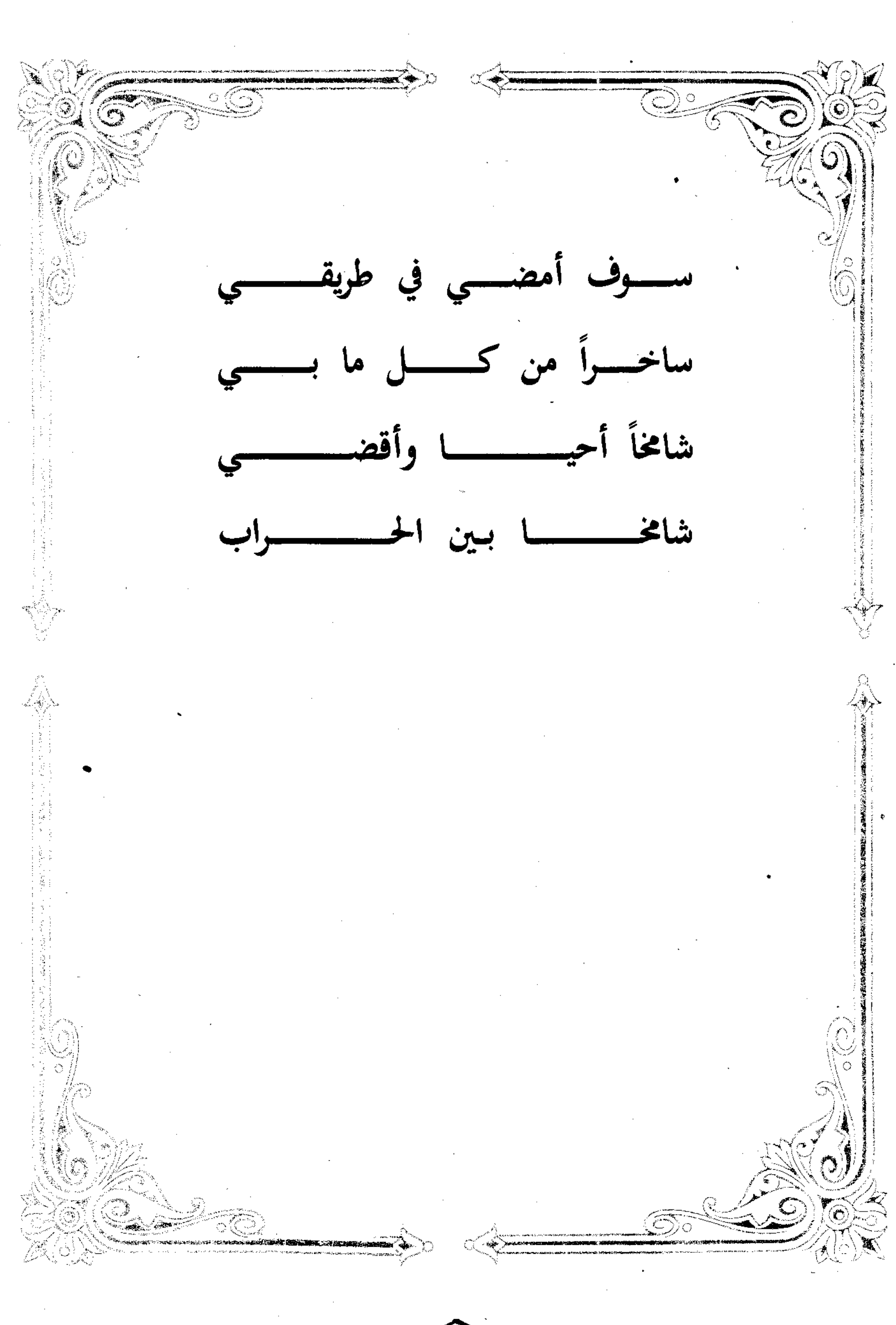
وانثريه في اليباب

واهزئي من زفراتي

واملئي كأسي بصاب

أنا لا أخشاك لكن

ضاق بالعسف وطابي

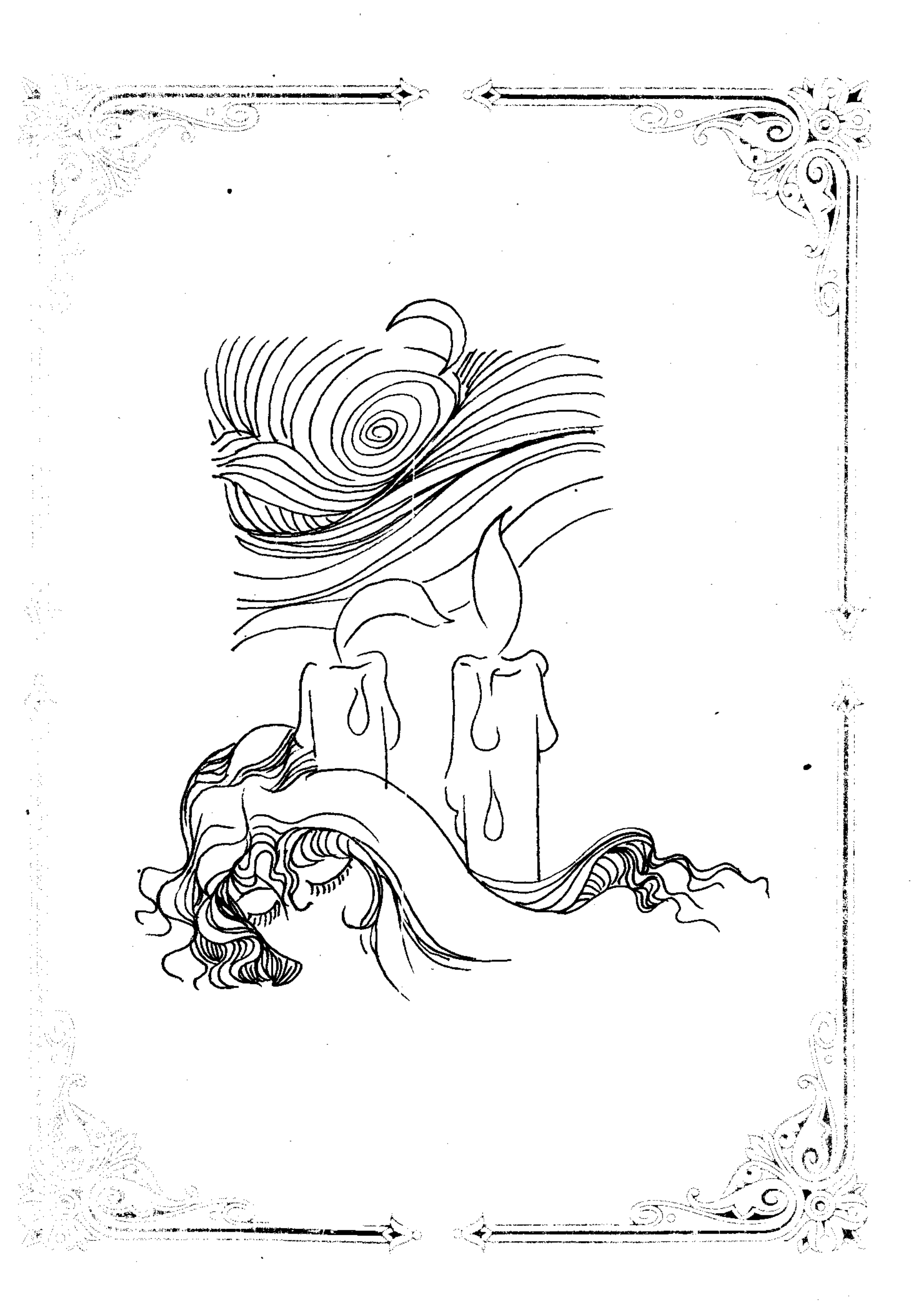


سوف أمضي في طريقي

ساخراً من كل ما بي

شامخاً أحيا وأقضي

شامخاً بين الحراب



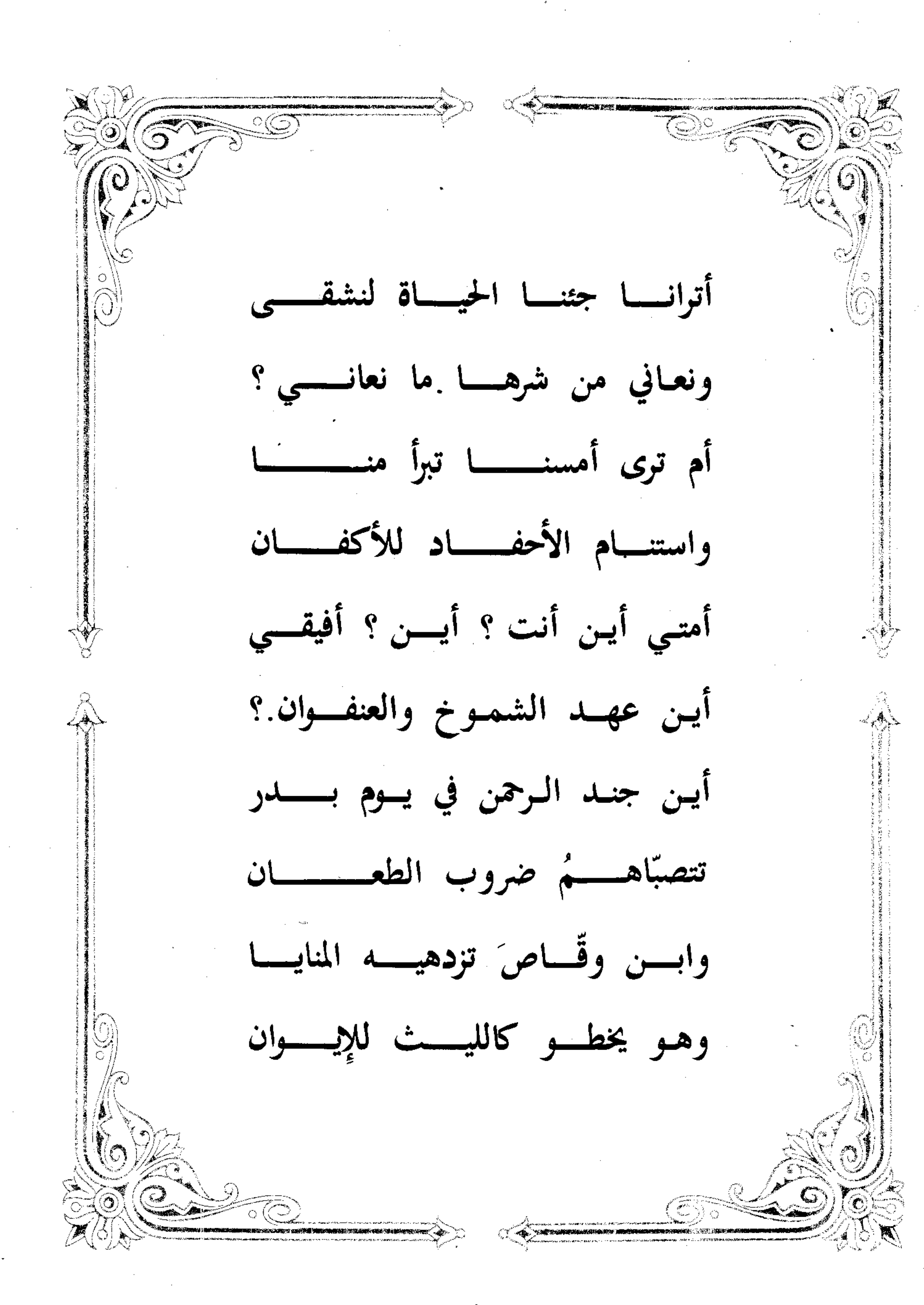
نشـاز في لحن غجري

احمليني على ذراع الحنان
وامنحيني مرافئاً للأمان
وَهَبي لي اليقين في زحمة الدر
ب ، وجودي بومضة اطمئنان
فلقد ماتت الأماني بصدري
وترامت على سفوح الزمان
والظلام الرهيب عاث بنفسي
والأعاصيرُ عربدَتْ في كياني

لا تقــولي فـــات الأوان فإنـــي
عشت أهفــو لبارقـــات الأمانـــي

●●●

يا ضلال التاريخ في موكب المـــو
ت ، وشكـوى القــلاع للشطـــآن
وضيـاع النـداء في مسمـع القفـــ
ـر ، ونَـوْحُ الريـاح في الكثبـــان
وبكـاء الشمـوع في قبضـة الليـــ
ـل ، وذلّ الجيـــاد في الميـــدان
والسبايـا منكســـات حيـــارى
يتــعثرن في مــــروط الهــــوان



أترانـــا جئنـــا الحيـــاة لنشقـــى

ونعـاني من شرهـــا .ما نعانـــي ؟

أم ترى أمسنـــــا تبرأ منـــــا

واستنـــام الأحفـــاد للأكفـــان

أمتـي أيـن أنت ؟ أيـــن ؟ أفيقـــي

أيـن عهـد الشمـوخ والعنفـوان.؟

أيـن جنـد الرحمن في يـوم بـــدر

تتصبّاهـــمُ ضروب الطعـــــان

وابـــن وقّـــاصَ تزدهيـــه المنايـــا

وهـو يخطـو كالليـــث للإيـــوان

وصراخ القطيع في فاحم المـ
ـعى نشيد بمسمع الذؤبان
ويح نفسي تهتز في لجة الذعـ
ـر ، وتقتات من شتاء الزمان
تتخطى آصارها ، تنشد الفجـ
ـر طليقاً ، مضمخا بالحنان
يا لَعُقم الصحراء جانبها القطـ
ـر ، وتاقت لأذرع السّعْدان
والرمال السمراء فارقها الشـ
ـوق ، وماتت على حدود المكان

وحصون اليرموك تَسْقط صرعى
بيد ابن الوليد في إذعان
وبافريقيا تموت الأفاعي
لتطلّ الحياةُ في القيروان
أين ؟ لا أين ، مات كل سؤال
في فمي ، واستشاط منه لساني
أي جدوى من السؤال عن الما
ضي ، وفي داخلي تنوح الثواني .؟
وتدق الأجراس في قلبي الدا
مي ، وتعنو الجباه للأوثان

رحل القاطنون في ليلة القد

ر ، وشاخت عزائم الصبيان

وأوروبا تحشو بأحنائي السخـ

ـط ، وتلقي في ناظري بالدخان

وتقيم الأعراس في متحف الشمـ

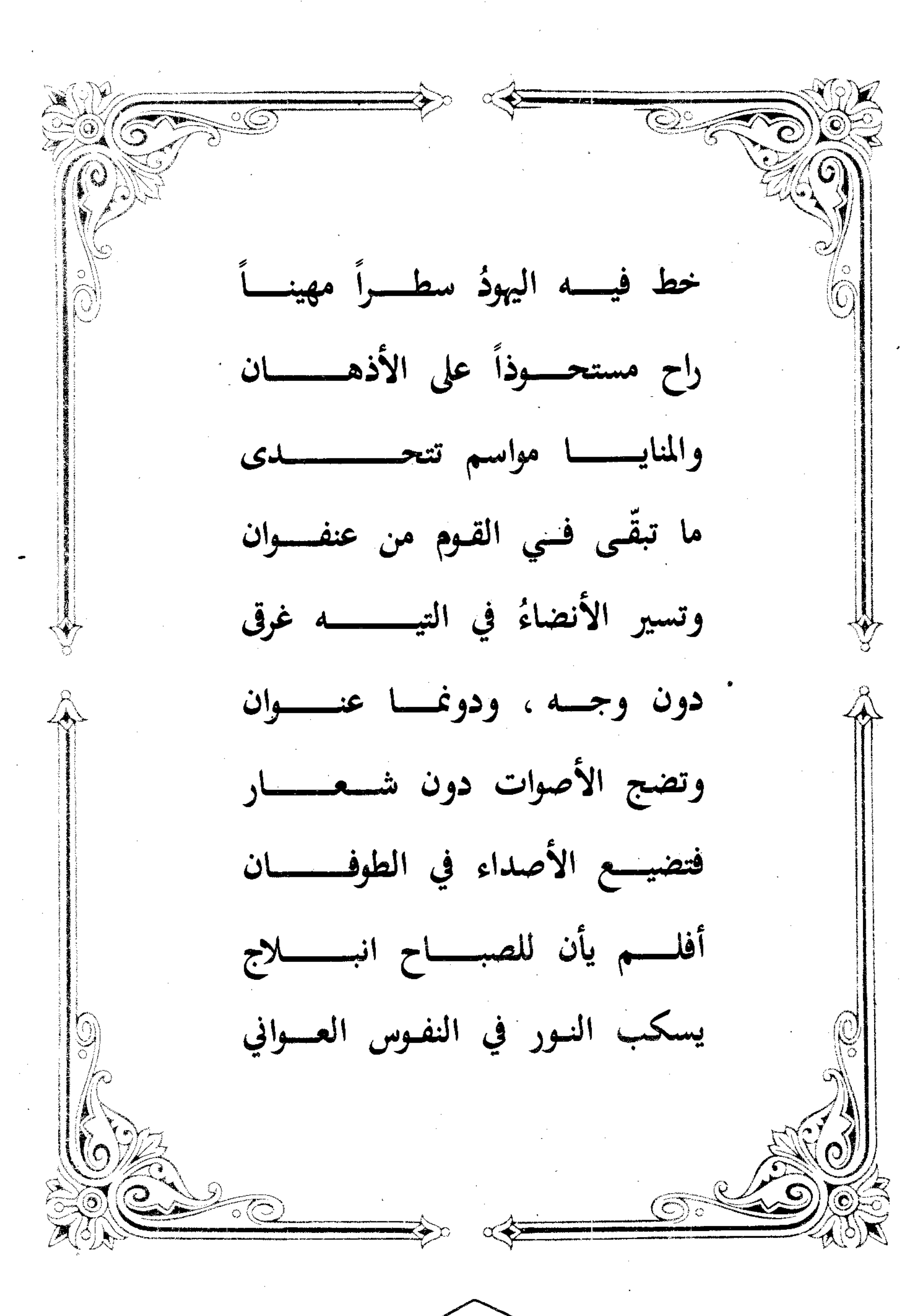
ـع ، وفي الباسفيك دون عنان

ودم الغافقي ملء يديهمْ

خمرة عتّقت بأزهى الدنان

وبقايا من مصحف ذهبي

في طلول من مسجد عثماني



خط فيــه اليهودُ سطــراً مهينــاً

راح مستحــوذاً على الأذهـــان

والمنايـــا مواسم تتحــــدى

ما تبقّى فـي القـوم من عنفـوان

وتسير الأنضاءُ في التيـــه غرق

دون وجــه ، ودونمـا عنـــوان

وتضج الأصوات دون شعـــار

فتضيــع الأصداء في الطوفـــان

أفلـــم يأن للصبـــاح انبــلاج

يسكب النـور في النفـوس العـواني

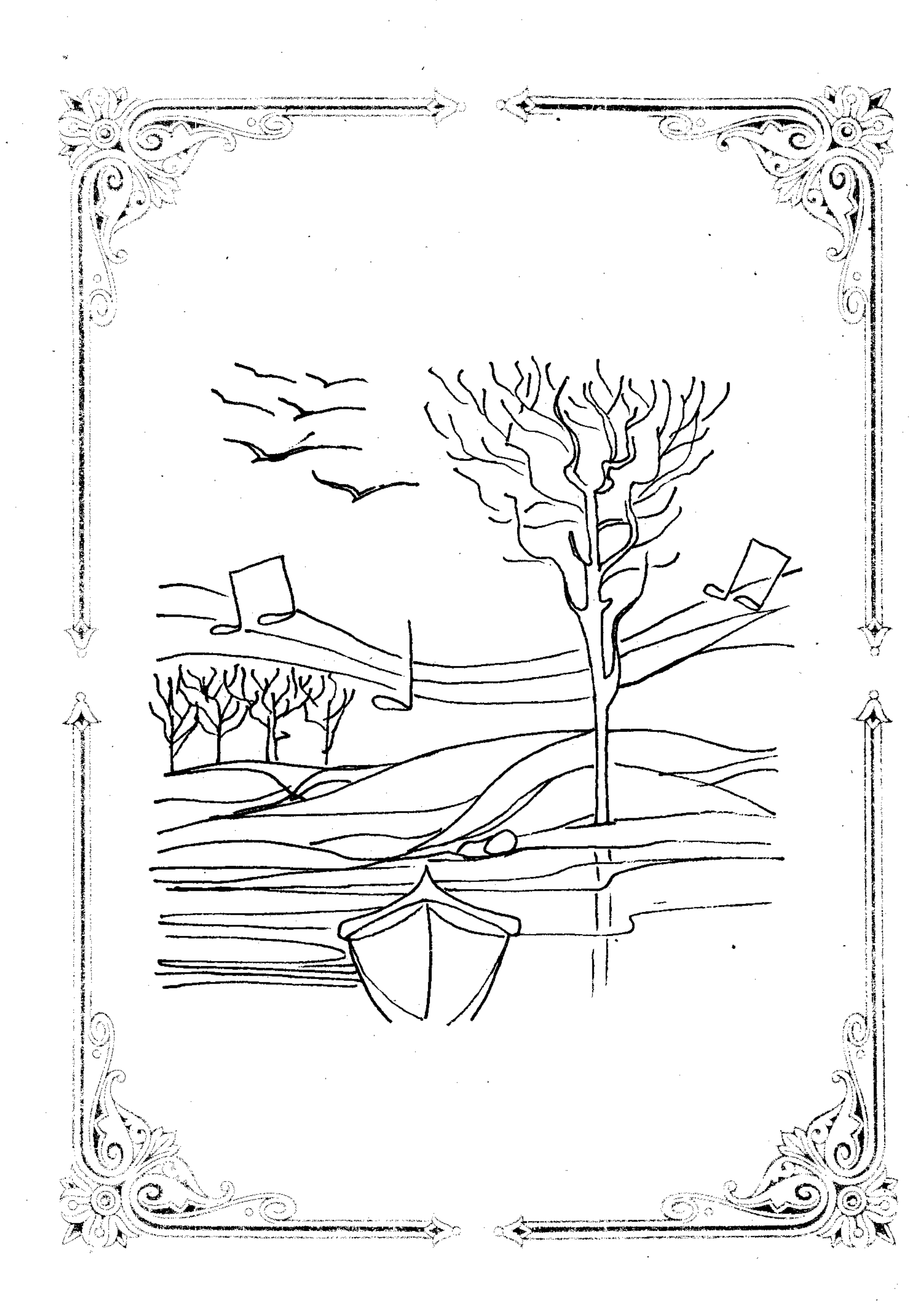
وتـــرى أمتـــي طريـــق هداهـــا

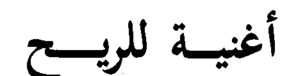
فلقـــد طال عيشهـــا في الهوان

ضاق ذرعـــي بحاضر وبمـــاض

وبـــآت ونُـــؤْت بالألحـــان

●●●





أغنيـــة للريـــح

محارةٌ أنا على الشواطىء الكئيبة

.. أغنيةٌ أرهقها السـفرْ

مزّقهـا التّطوافُ في مهاجع الغجَرْ

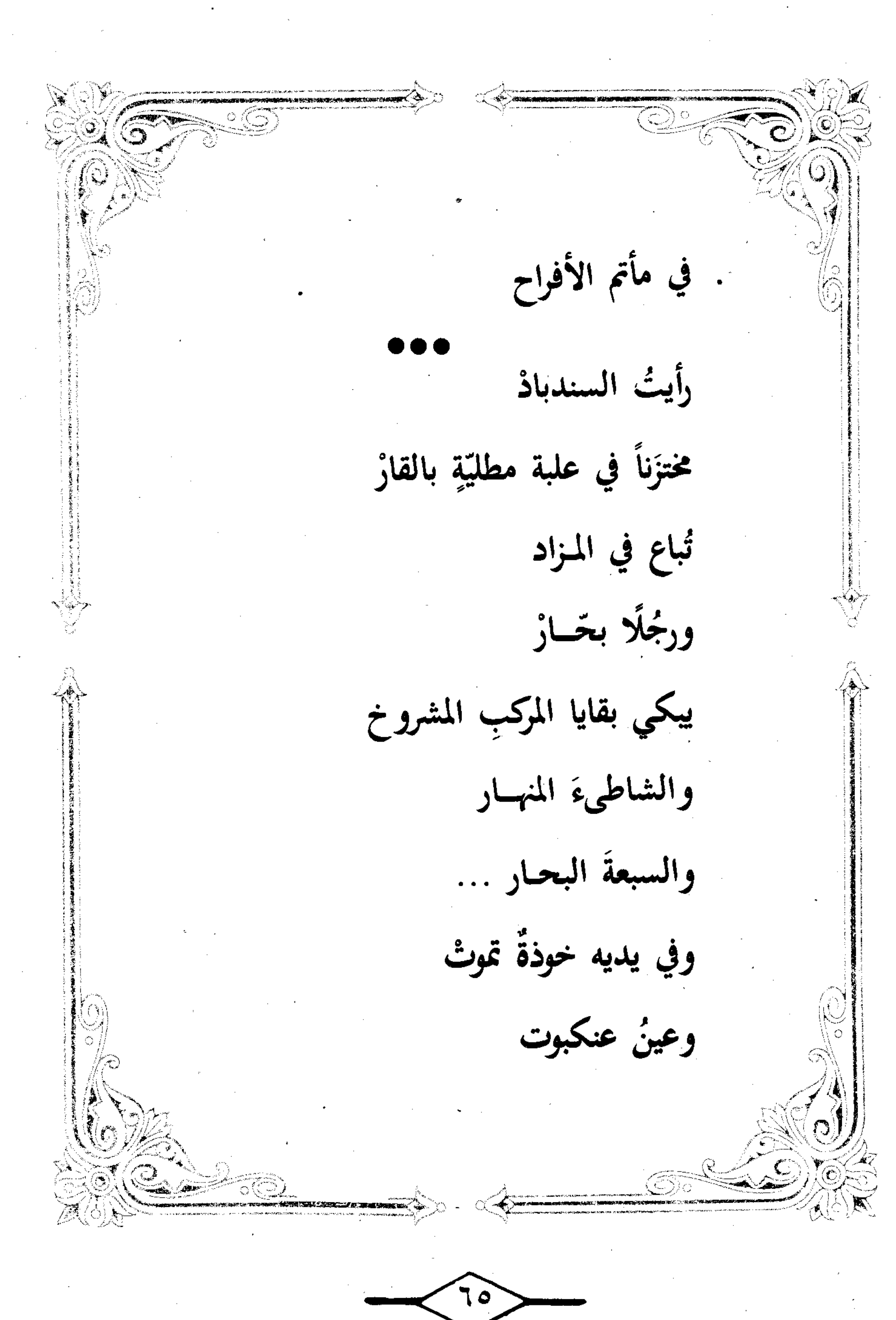
ومات في أصدائها الحـوارْ

كنجمةٍ موؤدة في رحم الفضاء

وبسمةٍ مسفوحة على أطلال إرمْ

وغيمةٍ مجروحة العُثنونُ

تلهو بهـا عواصفُ الرياحْ



في مأتم الأفراح

●●●

رأيتُ السندبادْ

مختزَناً في علبة مطليّةٍ بالقارْ

تُباع في المـزاد

ورجُلًا بحّـارْ

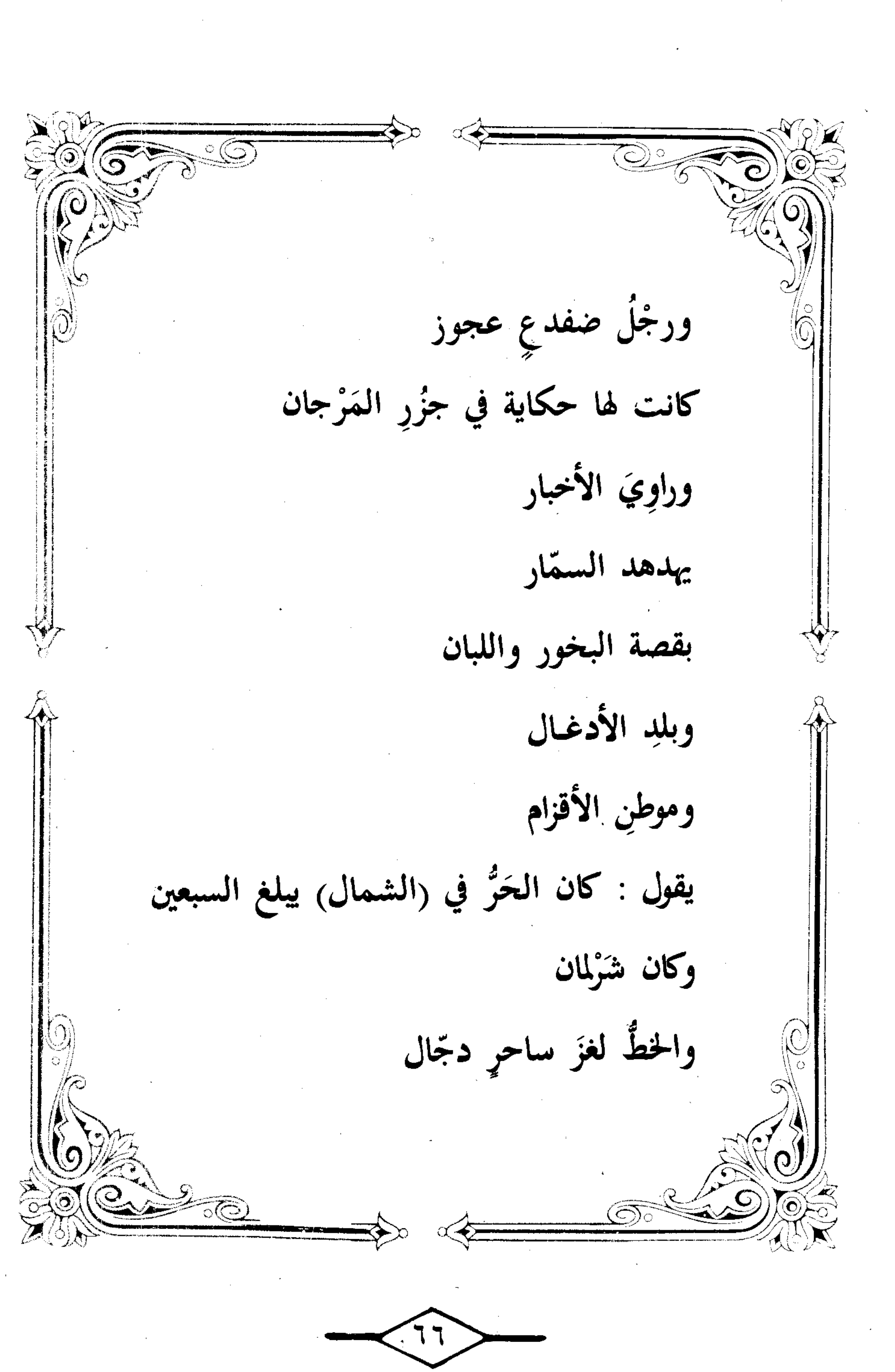
يبكي بقايا المركبِ المشروخ

والشاطىءَ المنهـار

والسبعةَ البحـار ...

وفي يديه خوذةٌ تموتْ

وعينُ عنكبوت



ورجْلُ ضفدعٍ عجوز

كانت لها حكاية في جزُرِ المَرْجان

وراوِيَ الأخبار

يهدهد السمّار

بقصة البخور واللبان

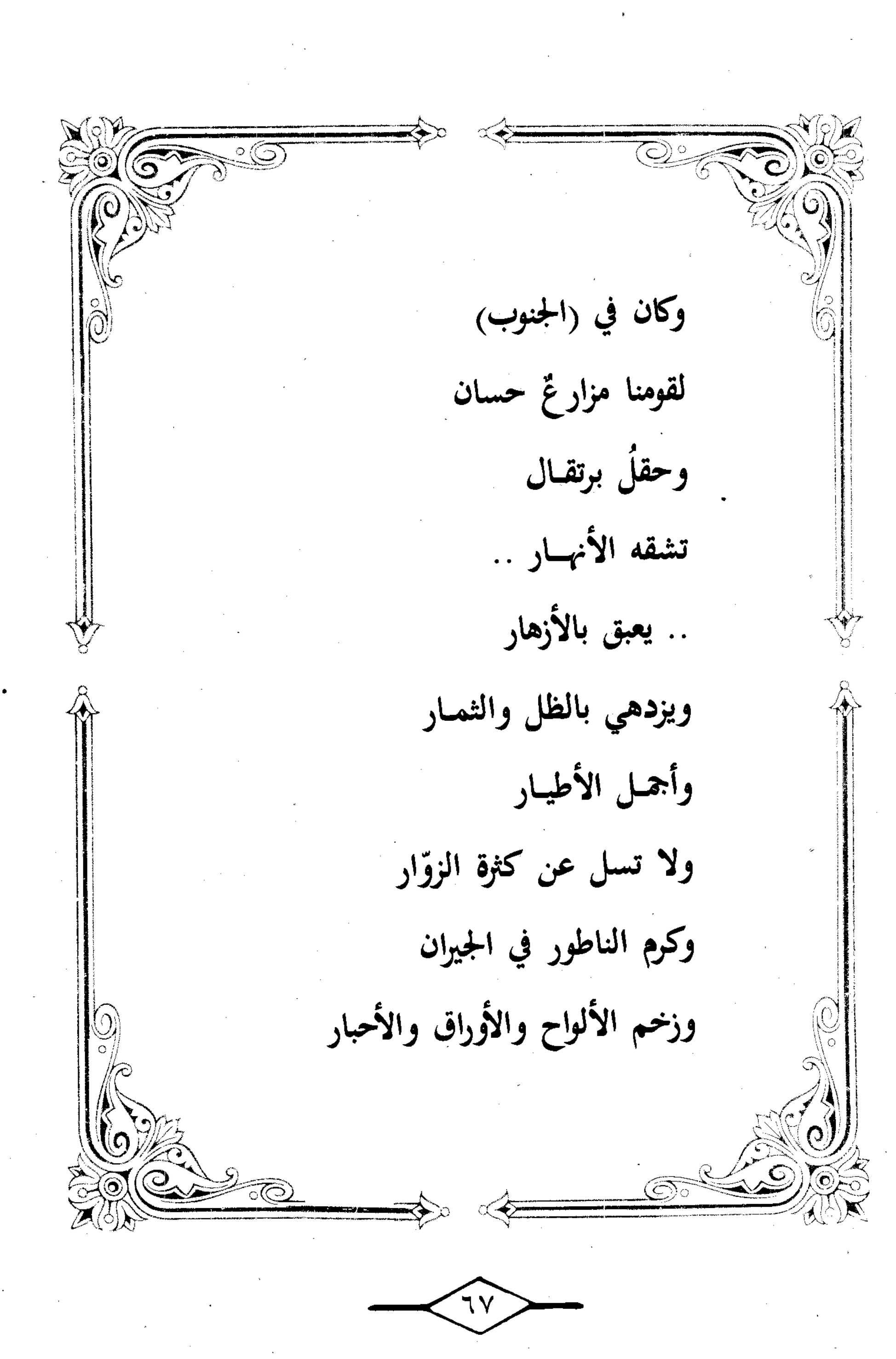
وبلدِ الأدغال

وموطنِ الأقزام

يقول : كان الحَرُّ في (الشمال) يبلغ السبعين

وكان شَرْلمان

والخطُّ لغزَ ساحرٍ دجّال



وكان في (الجنوب)

لقومنا مزارعٌ حسان

وحقلُ برتقـال

تشقه الأنهـار ..

.. يعبق بالأزهار

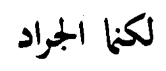
ويزدهي بالظل والثمـار

وأجمـل الأطيـار

ولا تسل عن كثرة الزوّار

وكرم الناطور في الجيران

وزخم الألواح والأوراق والأحبار



لكنما الجراد

يا سادتي تَدْرون ما الجراد .؟

في موسم الحصاد

استغفروا اللهَ المهيمنَ الديان

.. صلُّوا على النبيِّ .. والعنوا الجراد ..

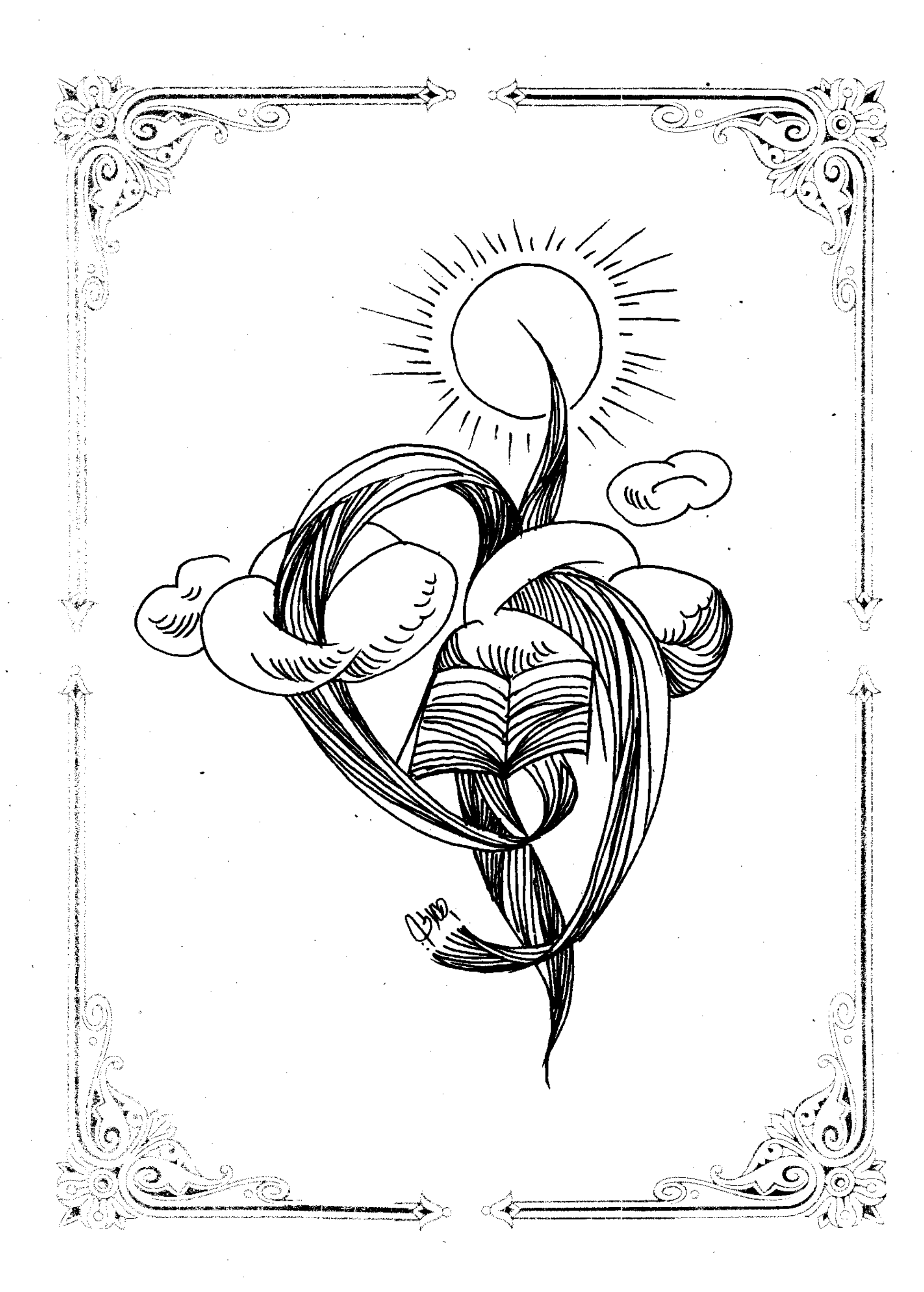
●●●

بكيت السندباد

وسحرَ السندباد

وكلَّ شيء (باد)

ولست أدري كيف يمضي العمر دون السندباد ؟



أغنيــة للقــلاع

اسمعينـــــــي مرة واحـــــــدة
ثم لوذي بركـــــام الحقـــــب
وامسحـي ما شئت من أعرافهـــا
واسحبي ذيلـك فـوق الســحب
واسكبـي من عطرهـا الزاكـــي على
مفــرق الشمس وهـــام الشهب
سوف لا تغنيك مهمـا انتـــفضت
واستطـــالت في غضون الكتـــب

يذبـل الحلـم بأحـداق المنـى

في ليـالي نومـه المنتهب

ويموت اللحـن في أوتـاره

إن سرى فيـه أنين السـغب

عفو آهـاتي إذا ما استرسـلت

وجراحـاتي إذا لـم تطـرب

●●●

أمتـي يا فتنـة المجـد علـى

هُدُبِ الكـون ، وسحْرَ المهـج

لا تقـولي هـذه الدنيـا رؤى

غضة مكحولـة بـالأرج

واقــرئي مثلي تبــاريح الأســـى
في عيـــون العـــارض المبتهـــج
واملئـــي سمعك من أحلامـــه
تتلـــوّى في نشـــار الهـــودج
إنهـــا تحيـــا على هامشـــه
فكـــرةً ذاهلـــة لـــم تنضـــج
وغبـــاراً في ثـــرى ساحاتـــه
أودعَ الأشواقَ قلبَ العوســـج
وشظايـــا من ترانيـــم ارتـــوت
من دم الآهـــات تحت الرَّهَـــج

●●●

إيـه يا ثاراتنـا ، لا تصمتـي

واصرخي في كل وجـه أحمـق

أرسلي الألحـان حُمْـراً ، واكتبـي

في سمانـا كلَّ عنـوان شقـي

يتـوارى خجـلًا من ضعفـه

ويـداري عجـزه بالنَّـزق

ربمـا تمتـد كفٌّ حـرة

ويشق الفجـرُ ثـوب الغسـق

وتعـود الشمس مـن مهجرهـا

لتـرش النـور عبـر الأفـق

ربما تنبعث النخوة في

غدنا ، أو يومنا المنسحق

كم تنزَّى جرحنا في دمه

يطلب الثأر ولا من مشفق .؟

●●●

أمتي .. لا تغضبي من عَتَبي

إنه الحب بأعماق الصبي

يتمنى لو تمدِّين يدا

نحوه تهديه وسط الغيهب

ويناجي حلُماً ألوى به

آه للأحلام كم تعصف بي .!

يا رعـى الله صبـا أرضعْتِـه

بلبـان الكبْـر والعـزِّ الأبـي

فمضى يدَّرع الكبـر فتـى

يرفض الإغضاء عنـد النُّـوب

أمتي لا تجزعـي مـن ثورتـي

أنـا في حبـك ينمـو غضبـي

لا تضيقي من أناشيـدي التـي

صغتهـا مغموسـة باللهـب

●●●

أنت يا فاتنتـي فـي خاطـري

أمـل مخضوضر مـلء اليـد

ونشيـــد ساحـــر أحرفـــه

ثمــلاتٌ بهوى الفجـــر النـــدي

ونــداء خافـــق في مهجتـــي

وحـــنين نابض في كبـــدي

من صحاريـكِ ارتـوتْ ذاكرتـــي

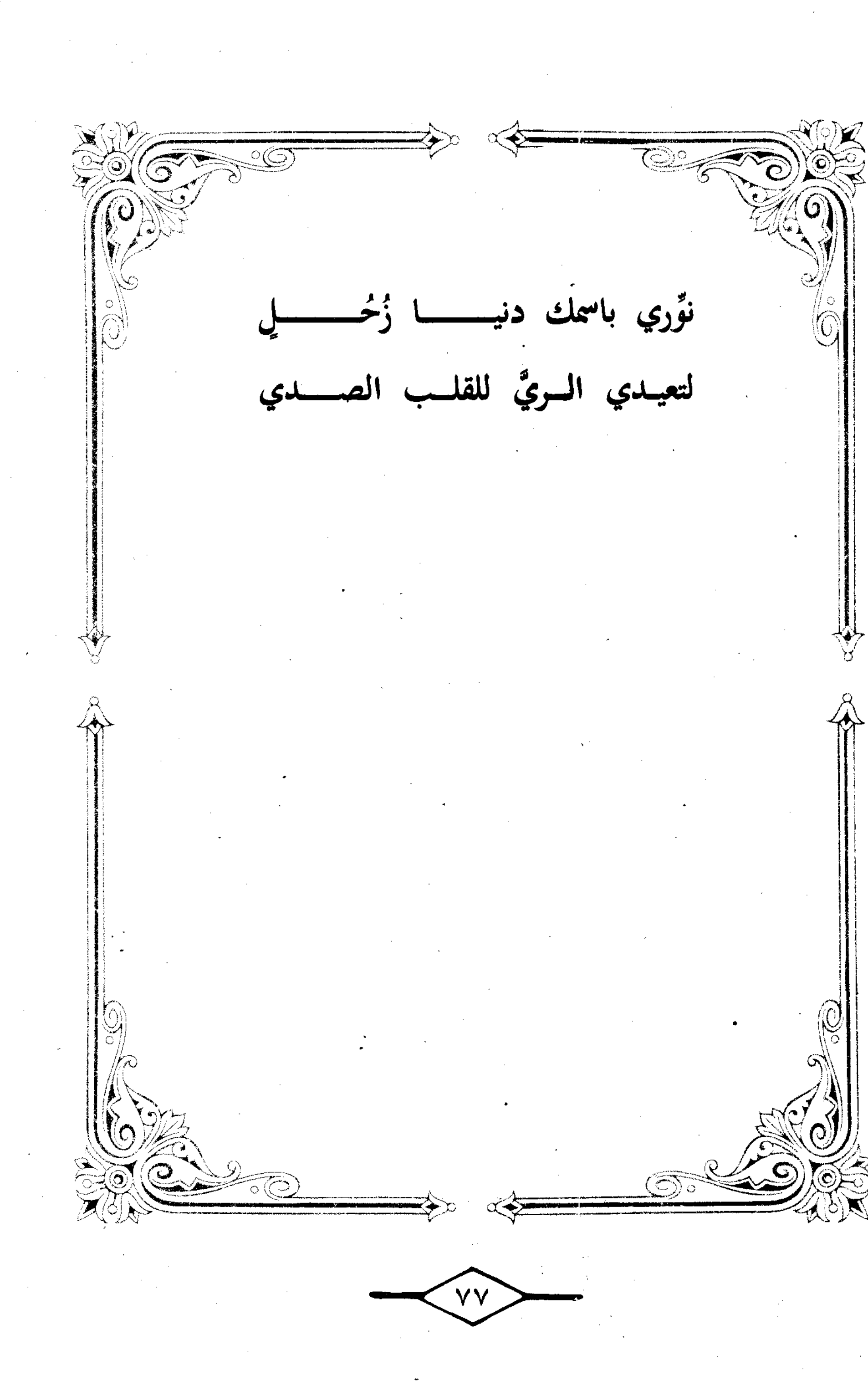
وعلى حجرك أو فـــي ســؤددي

وعلى شطآنـــك الغُــرِّ التقـــت

أمنيــاتي بعشيـــات الغـــد

املئـي الأرض كمـا كنت سنًـى

واصعـدي مدرجةَ المجد ، اصعـدي



نوِّري باسمك دنيـــا زُحُــــلِ

لتعيـدي الـريَّ للقلــب الصـــدي





ثقوب في الشراع

الفكرةُ بَوْح .. نزْفٌ

من أضلع حرفٍ مصدورٍ

مرسومٍ فوق جدارِ الرفضْ

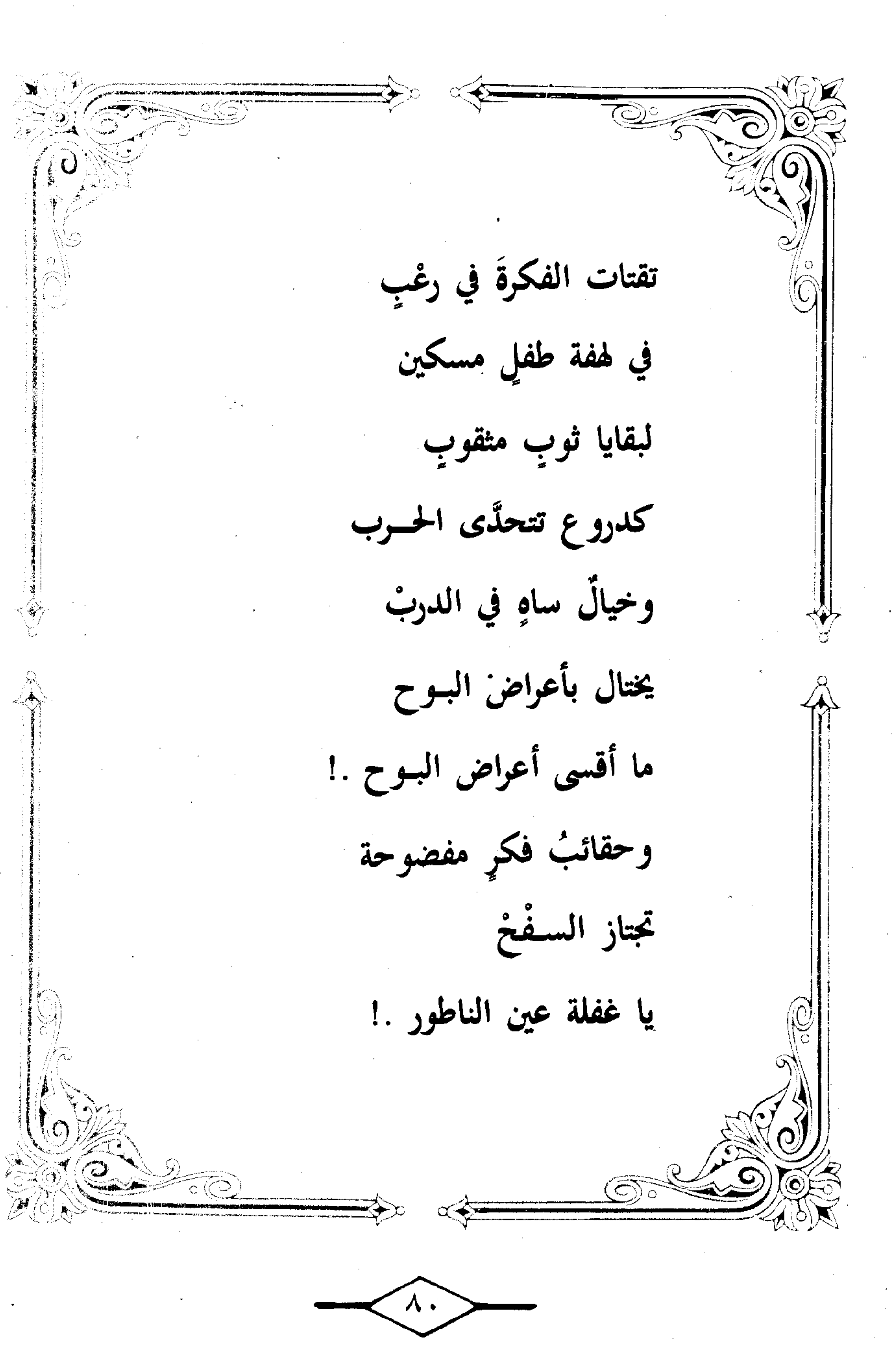
منهومِ المقلةِ للومضْ

ما أروع ميلاد النور ..؟

هل حان الوقت .؟ هل حان الوقت ؟

وعيونُ فراغٍ مكحولة

بالشوق لرقصة آذارِ



تقتات الفكرةَ في رعْبٍ

في لهفة طفلٍ مسكين

لبقايا ثوبٍ مثقوبٍ

كدروع تتحدَّى الحــرب

وخيالٌ ساهٍ في الدربْ

يختال بأعراضِ البـوح

ما أقسى أعراض البـوح .!

وحقائبُ فكرٍ مفضوحة

تجتاز السـفْحْ

يا غفلة عين الناطور .!

يا أهـل الكهف .!

تجّارُ رقِيق الأفيونِ

ينون الضـرحْ

يتلون الوِرْد

لينام الشيخُ ويغفو الطفلْ

ويتمّ رحيلُ التنينِ

ويموتُ البـوحْ

●●●

والحلمُ إطار مسحور

بحواشي النعش

كحكايا تمضي مخنوقة

في عرض البحـر

وظلالُ العشب المحروقة

صرعى في عرس الشمس

ظمأى حتى للهمس

همسي بوْحٌ

صمتي بوحٌ

ما أروع أعراضَ البوحْ .!

●●●

والريحُ تثرثر لاهيةٌ

بضياع الهودج في التيهِ

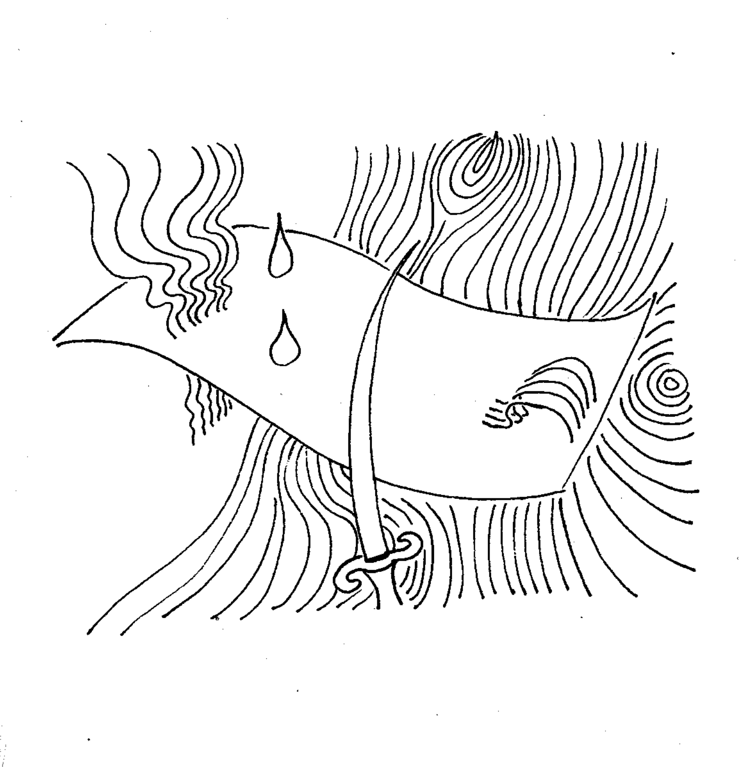
وبكاء الرمـل

وتعابثُ أشرعةَ الوهمْ

وتمزّق ثوبَ المنظور

ليزيد النــزفْ

ويتــم البــوحْ



رسالة إلى بختنصر

رعاك إلَهـك يا بختنصر

وقبلُ وبعـدُ :

إليك التحية من غير حصر

رأيتُ خيولك تبكي دماً

.. تهز الذيول ابتذالا

ويملأ أعرافَها الحزن

وتلهث عبر الحقول تجرُّ السِّمادا

.. تُباع كسقْط المتاعِ

.

.. تسـام الهوانـا

ويغرقها الذل للأذنيْن

عليها رقيقكُ عاثوا فسادا

وجاسوا خلال الديار

ولا بختنصرْ

●●●

رأيت دروعك في (أورْسَليمْ)

يرابي بها (بنْيامينْ)

ويطرحها في المزاد لكل الصغار

ويبصق فيها كمنفضة للدخان قديمة

وحين يئن الزَّرَدْ

وتبكي بـ (بابلَ) خضْرُ الحدائق.. يعول فيها العنب

ويخبو اللهبْ

بمعبد (عشتار) أو (سِيرَميسَ)

يجاوبه الشاطئ الذهبي

بـ (أيلةَ) : وابختنصر.!

رأيت سيوفك تشكو الضياعا

وتبكي التياعـا

مقابضُها صدئـتْ

فارقتْها البطولة

شاخت وماتت عليها الحقَبْ

وفُلتّ شَباها

ولا من خبيرٍ برغم (التِّقانهْ)

يعيد إليها الشبابا

ويسعدها بالمضاء ..

وظلت طريحهْ

تنادي وتصرخ : وا بختنصر .!

رأيت خناجرك (العربية)

تجوب المطابخَ

تمضي ذليلة

تقبل أعتاب (باريسَ)

تعنو لـ (لندنَ)

تَلْقى (نيويوركَ) بالحبِّ والقبلاتِ

تسافرُ نحو (الكِرِمْلنِ) بالزَّنجبيلِ

وتمنح (بكِّينَ) بعضَ الصلات ..

وراياتُك الزُّهرْ

تحت خطى العهرْ

.. ملء المزابـل ..

حشْوَ المواخيرِ .. يا بختنصر .!

●●●

أفضِّلُ إنهاء باقي الرسالة دون سلامْ

فقد بتُّ أجهل معنى السلام

وأنتظر (الغَرْقدا)[1]

سأسأل عنه الحجرْ

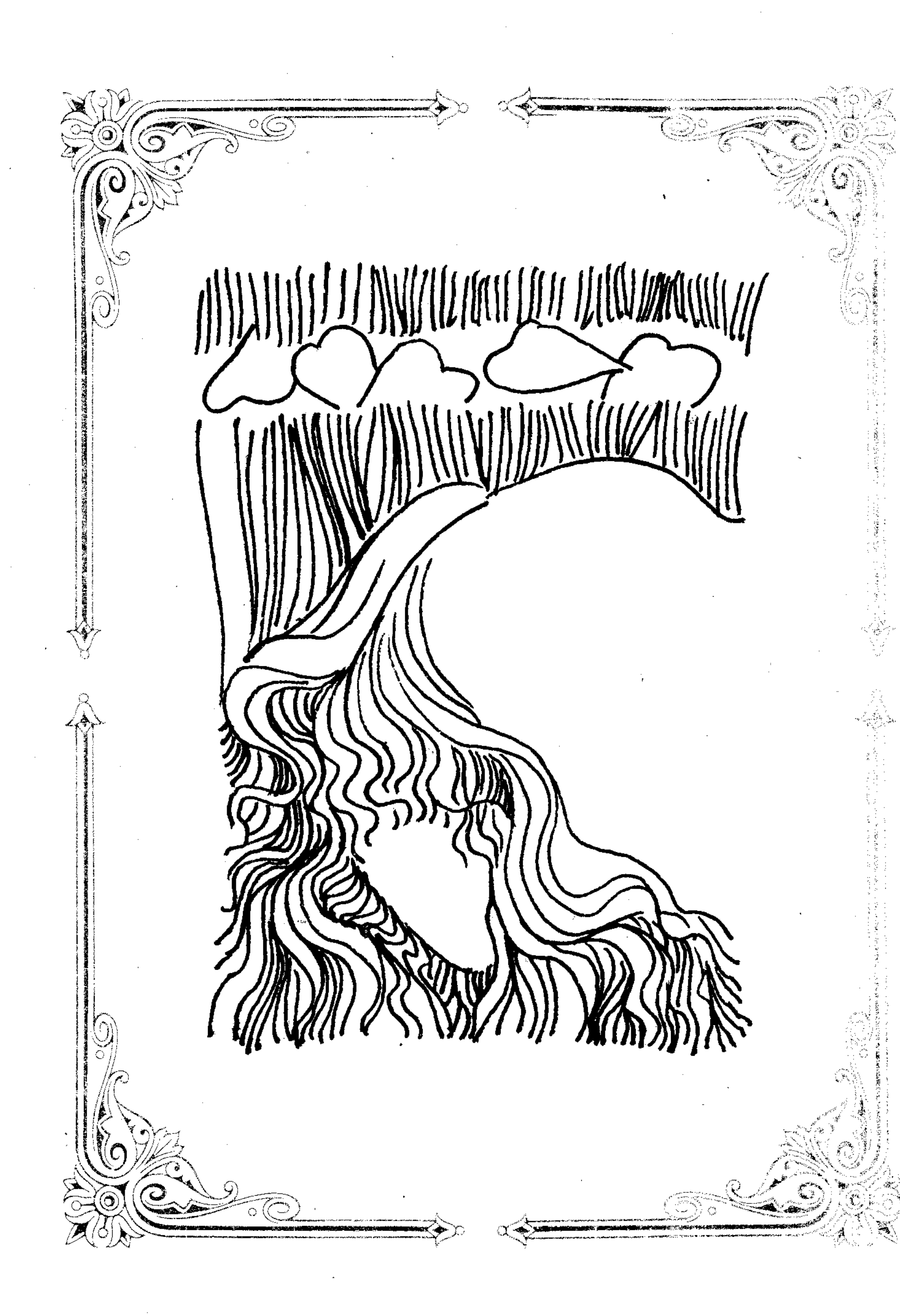
سأسأل عنـه الشجر

وأسأل عنه دموع الشموس ونوح القمر

سيأتـي غـدا

سيأتـي غـدا

(١) الغرقد : شجر له صلة باليهود، وقد جاء في الحديث أن المسلمين يتحاربون مع اليهود في آخر الزمان، ويتتبعونهم، حتى لا يبقى حجر أو شجر يختبىء وراءه يهوديّ إلا دلّ عليه وأخبر عنه المسلم ليقتله، ما عدا شجر الغرقد.



جرعة حـزن

مِـــزَقٌ مــــزقٌ

مـــا لهـــا رتَـــق

كبــــدٌ غضّـــــةٌ

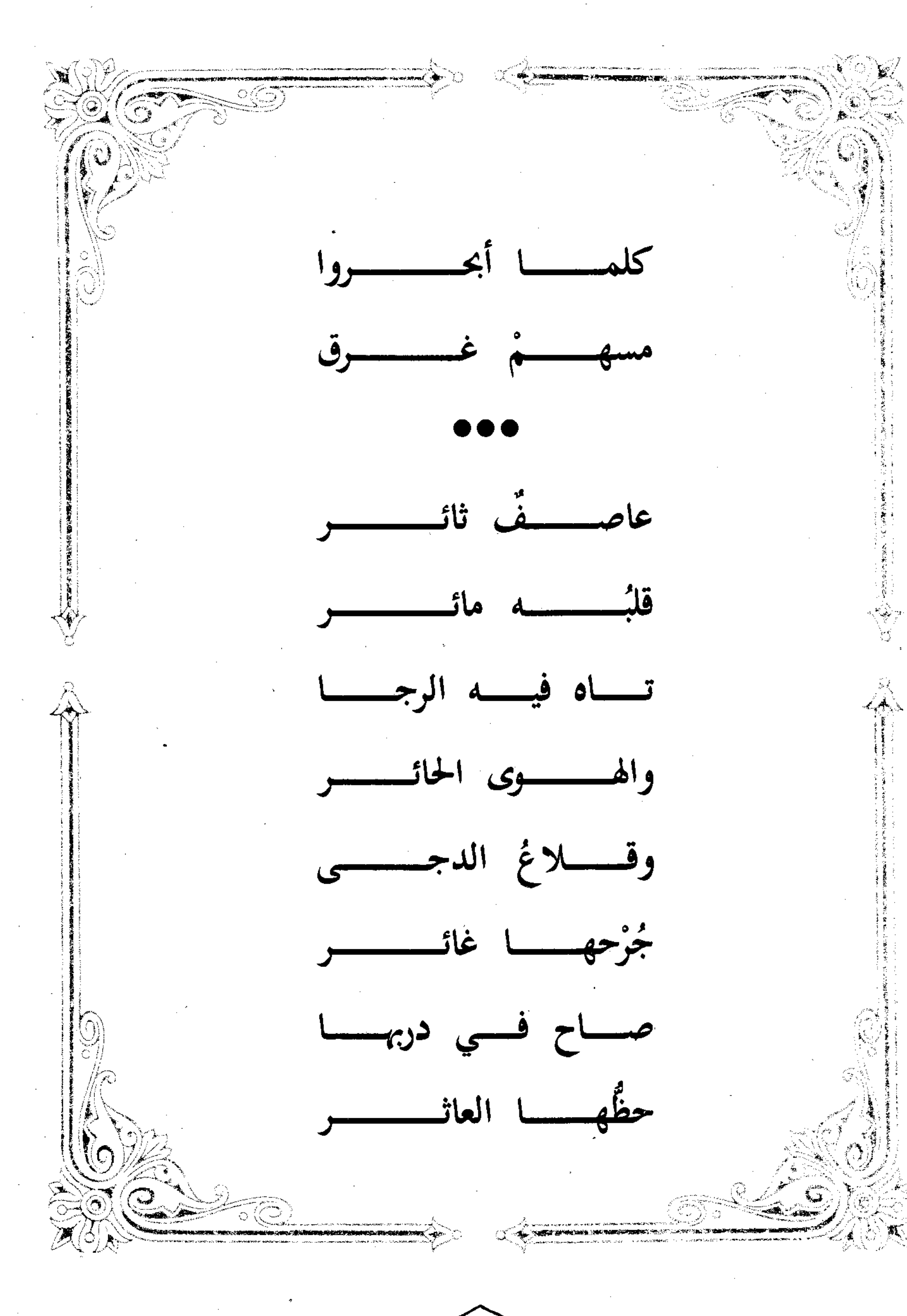
شفَّهـــا الْوَمَـــــق

ونُهـًــى كهلـــــةٌ

عابَهـــا الخَـــرَق

وبسَــــوْط النـــوى

صحبـــيَ احترقـــوا



كلمـــا أبحـــروا

مسهـــمْ غـــرق

●●●

عاصـــفٌ ثائـــر

قلبُـــه مائـــر

تـــاه فيـــه الرجـــا

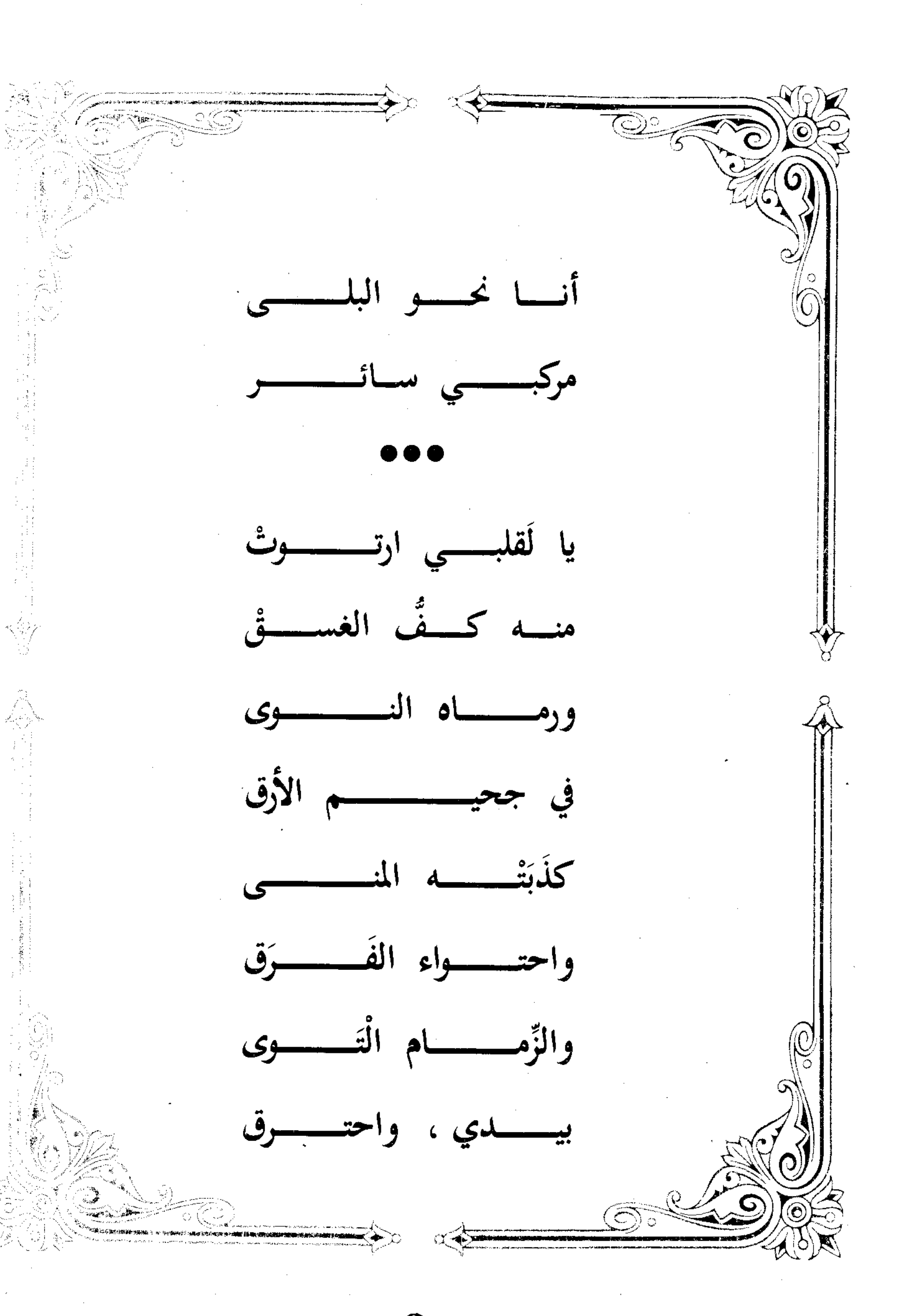
والهـــوى الحائـــر

وقـــلاعُ الدجـــى

جُرْحهـــا غائـــر

صـــاح فـــي دربهـــا

حظُّهـــا العاثـــر



أنا نحو البلى

مركبي سائر

●●●

يا لَقلبي ارتوتْ

منه كفُّ الغسقْ

ورماه النوى

في جحيم الأرق

كذَبَتْه المنى

واحتواء الفَرَق

والزِّمام الْتَوى

بيدي ، واحترق

وأضـــاع الصُّـــوى

فـــي بحـــار القلـــق

سحقتنـــي الـــرؤى

في الصراع المهيـــــن

وصـــراخُ الفنـــا

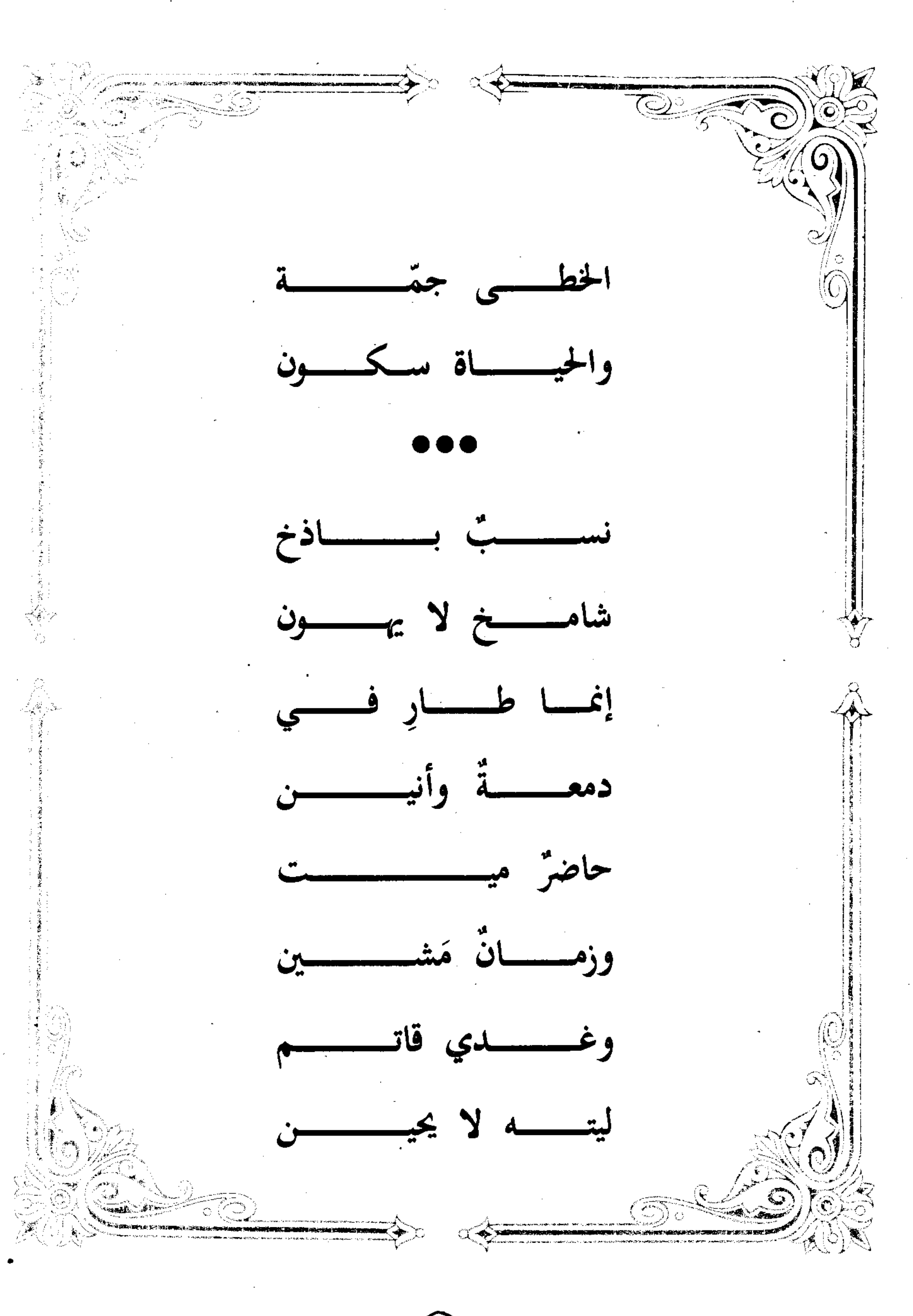
في كهـــوف الســـنين

يا ضيـــاع النِّـــدا

في دروب الحنيـــــن

مهجـــةٌ جهِلـــت

في الـــورى من تكـــون؟



الخطى جمّة

والحياة سكون

●●●

نسبٌ باذخ

شامخ لا يهون

إنما طارِ في

دمعةٌ وأنين

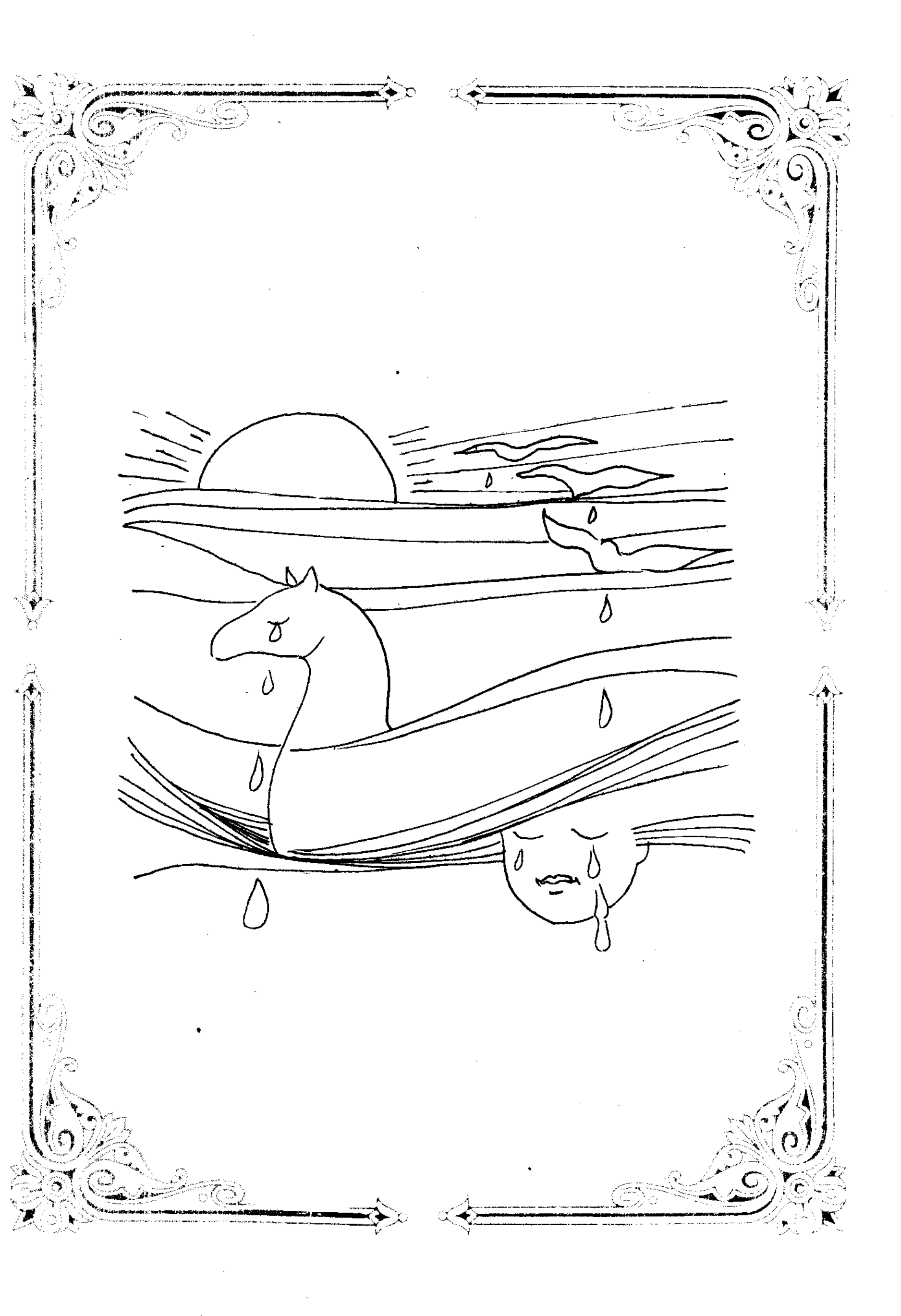
حاضرٌ ميت

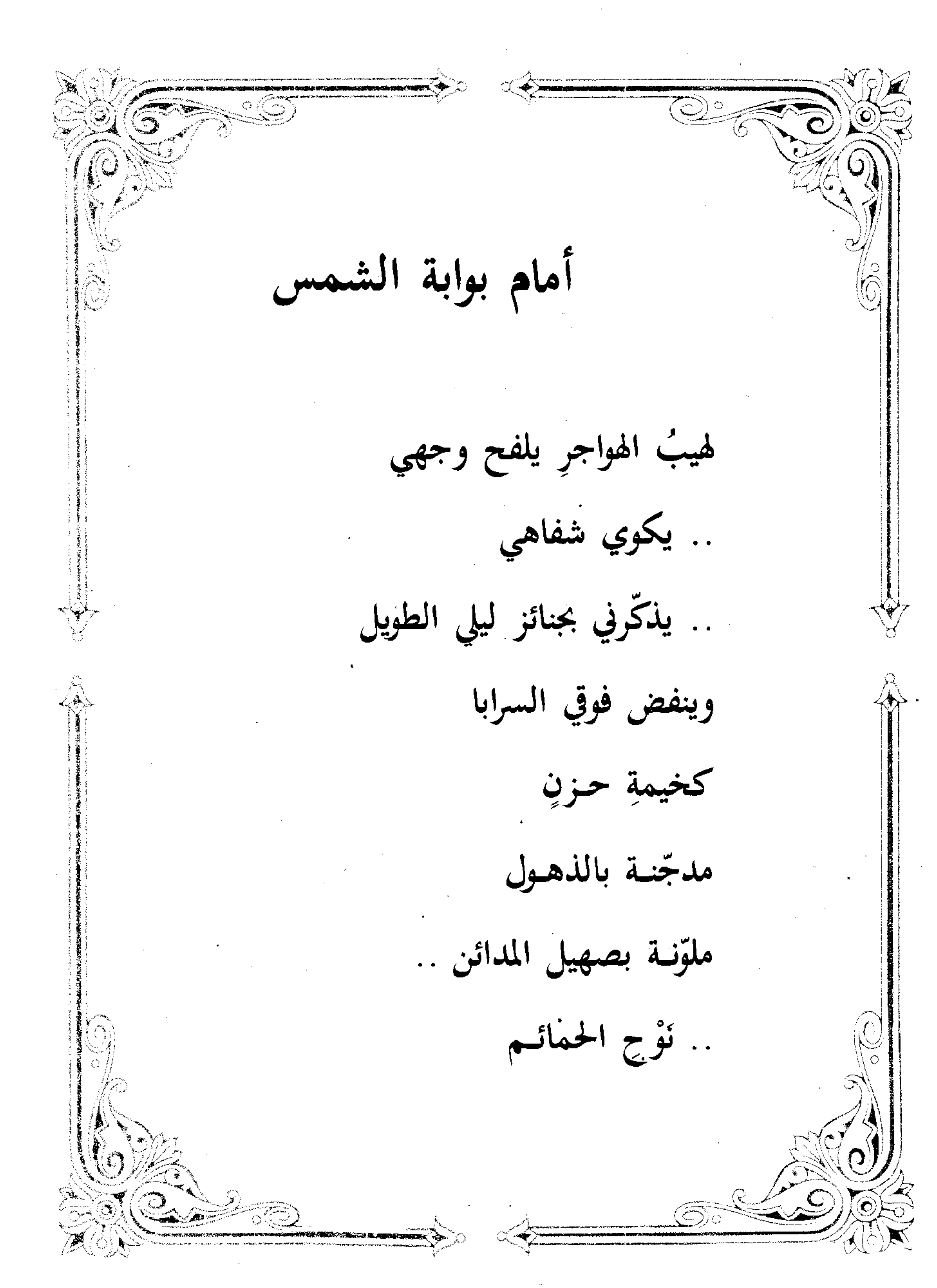
وزمانٌ مَشين

وغدي قاتم

ليته لا يحين

هــــذه قصتــــــي
والحديث شجــــــون





أمام بوابة الشمس

لهيبُ الهواجرِ يلفح وجهي

.. يكوي شفاهي

.. يذكّرني بجنائز ليلي الطويل

وينفض فوقي السرابا

كخيمةِ حـزنٍ

مدجّنـة بالذهـول

ملوّنـة بصهيل المدائن ..

.. نَوْحِ الحمائـم

في بيدر العشق

●●●

وفي اللهب الحاقد المستبدّ

يسير جوادي وئيداً

ويكبو ببحر الرمال

ولا ماءَ .. لا ظلَّ .. لا عشْب ..

لا من أنيسٍ

سوى القحطِ والوهْم والموت

وأشلاءِ ضالَـهْ

ودمْعِ خُزامَى

تبعثره الريحُ فوق الثّمام

بقارعة الرمْلْ

وتعوي الذئابُ

.. تهر الكلاب

.. تجف الضروع

.. تموت الزروع

.. تهاجر كلُّ الطيور

ويبكي ظفائره الطلحْ

فيا لَلبكاءِ.. ويا للثُّغاءِ.. ويا لَلْعواءِ.. ويالَلْـ... ويا...

وصليتُ.. صليتُ ملء الجراحِ

وصلَّى معي الوائدون صباحي

وَمَنْ أودعوا الشرَّ كف الرياح

وقلت أيا ربِّ .. هبْنا عصاةً

وهَبْنا جناةً

وجئناك شُعْثاً

منيبين نبكي

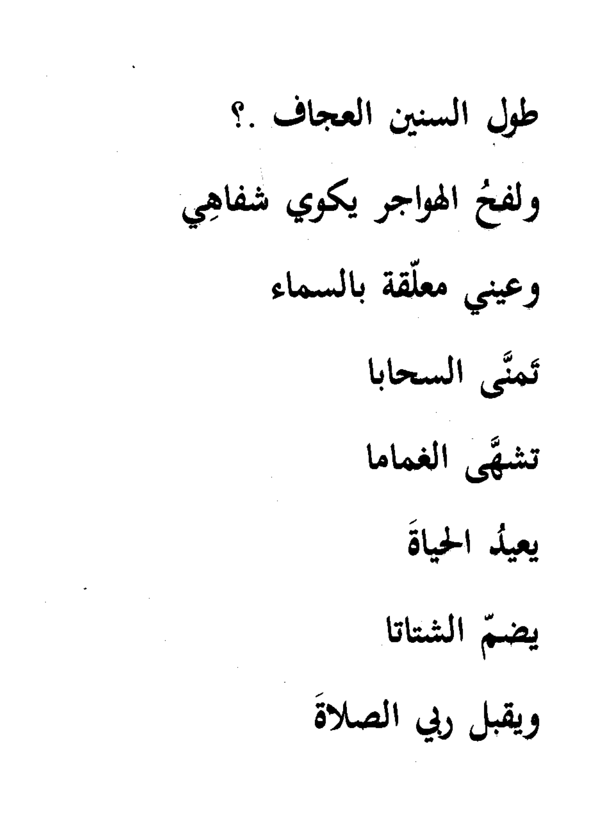
ألا نستحق رضاكا

لشيخ كبيرٍ

لطفل رضيعَ

لبَهْم يمزِّقها الجوعُ

لم تَطْعمِ العشب



طول السنين العجاف .؟

ولفحُ الهواجر يكوي شفاهِي

وعيني معلّقة بالسماء

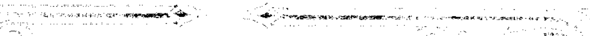
تَمنَّى السحابا

تشهَّى الغماما

يعيدُ الحياةَ

يضمّ الشتاتا

ويقبل ربي الصلاةَ



على هامش مسرحية حديثة جداً

ونَزلَ الستار

عن مسرحية مضحكةٍ مُبْكية ألَّفها الكبارْ

وأحكموا إخراجها .. تمثيلَها ..

ووزّعوا الأدوارْ :

(نَيْرونُ) فيها بطلٌ مغوار.

(وموسُوليني) ناصرُ الأحرار.

يشتدُّ خلْف (عمر المختار)

ونعْش (نورِ الدين)

في جامع (الوليد)

منتثرُ الجراح

يسأل (مَيْسلون) عن فرائض الصلاة

فأين يا (أبا عبيدةٍ) تسير بالأجناد .؟

وملك التَّتــار

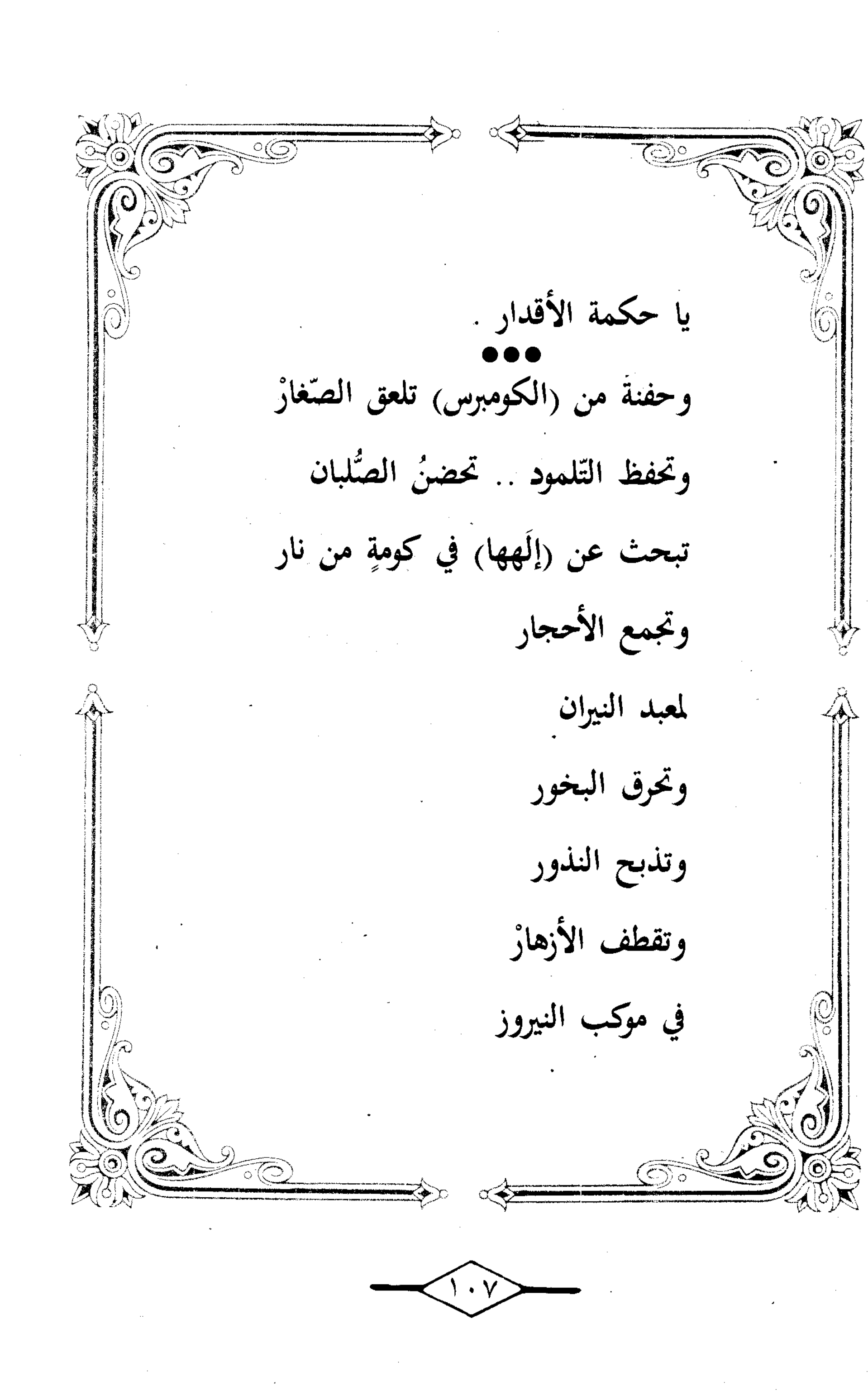
(جنكيزُ) : رأسه مكلل بالغار.

يعبث في حقائب السمّار

مصفقا للويـل والدمار

والخُرَّمي (بابكٌ) يضحك في استهتار

وبنحني (لمزْدكً) و (مانئى) ، وماجنٍ خمّار



يا حكمة الأقدار .

●●●

وحفنةَ من (الكومبرس) تلعق الصّغارْ

وتحفظ التّلمود .. تحضنُ الصُّلبان

تبحث عن (إلَهها) في كومةٍ من نار

وتجمع الأحجار

لمعبد النيران

وتحرق البخور

وتذبح النذور

وتقطف الأزهارْ

في موكب النيروز

لراهب عجوز

يصلي بالنهار

ويسهر الليل على موائد الفجّار

●●●

وجثثٌ مبعثرة

تسبح في الدماء

جباهها سمراء

ترعف بالإباء

يلهو بها الفناء

كأنني أعرفها

أعرف وسم بعضها

هل خالد منها .؟ وعمرو .؟ أو صلاح .؟

وقطز .؟ أو بيبرس .؟

ماذا إذا درينا .؟

وكل ما علينا

حضور المسرحية

من دونما انتقاد

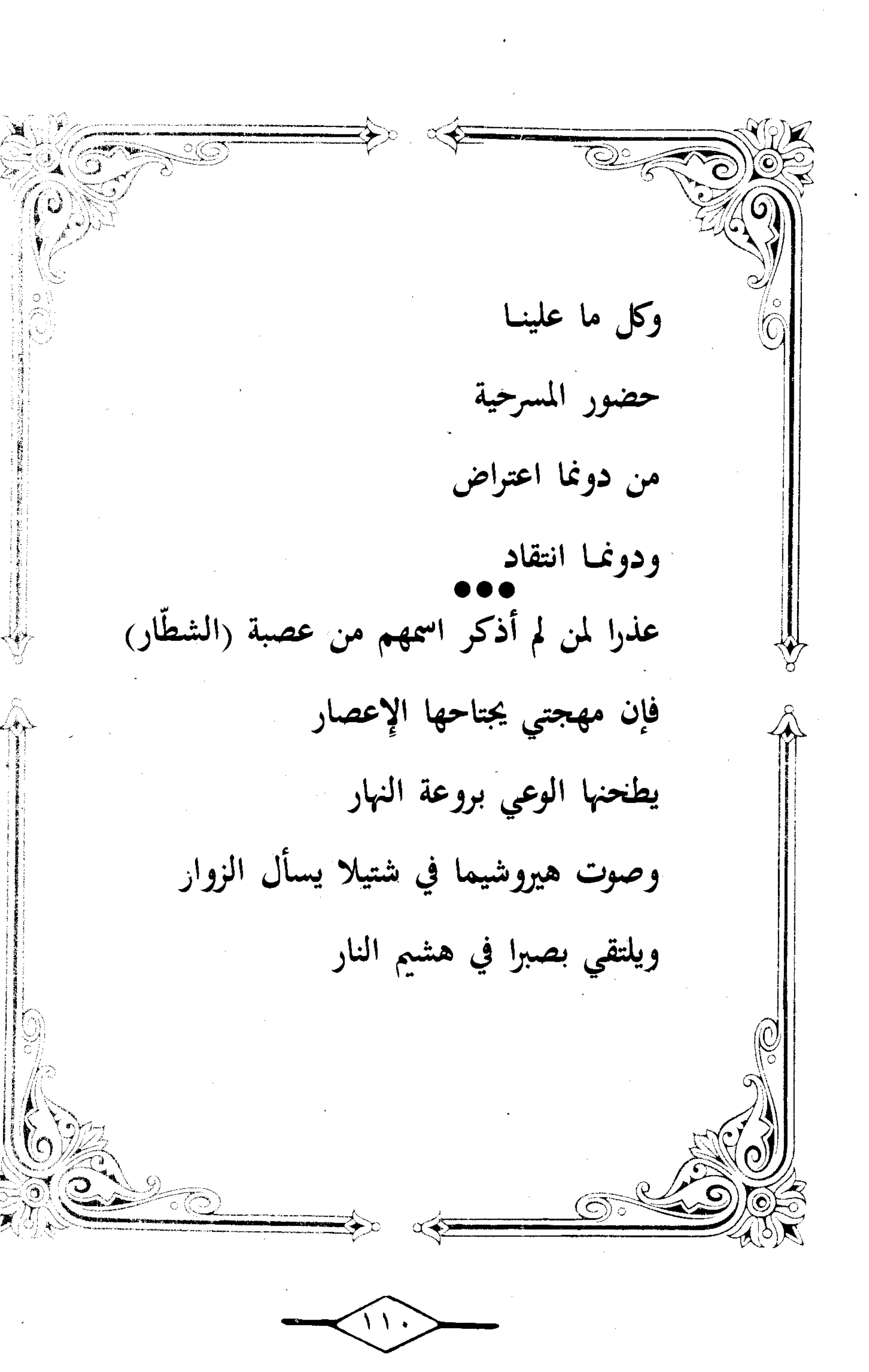
●●●

فصولُ المسرحية

كتبها الكبار

أخرجها الكبار

مثَّلها الكبار



وكل ما علينـا

حضور المسرحية

من دونما اعتراض

ودونمـا انتقاد

●●●

عذرا لمن لم أذكر اسمهم من عصبة (الشطّار)

فإن مهجتي يجتاحها الإعصار

يطحنها الوعي بروعة النهار

وصوت هيروشيما في شتيلا يسأل الزوار

ويلتقي بصبرا في هشيم النار

الأرض الهاربـــة

وتنبعجُ الأرض .. تهربُ

يزرعها الوافدونَ

بالشائكات ، وبالمحرقات

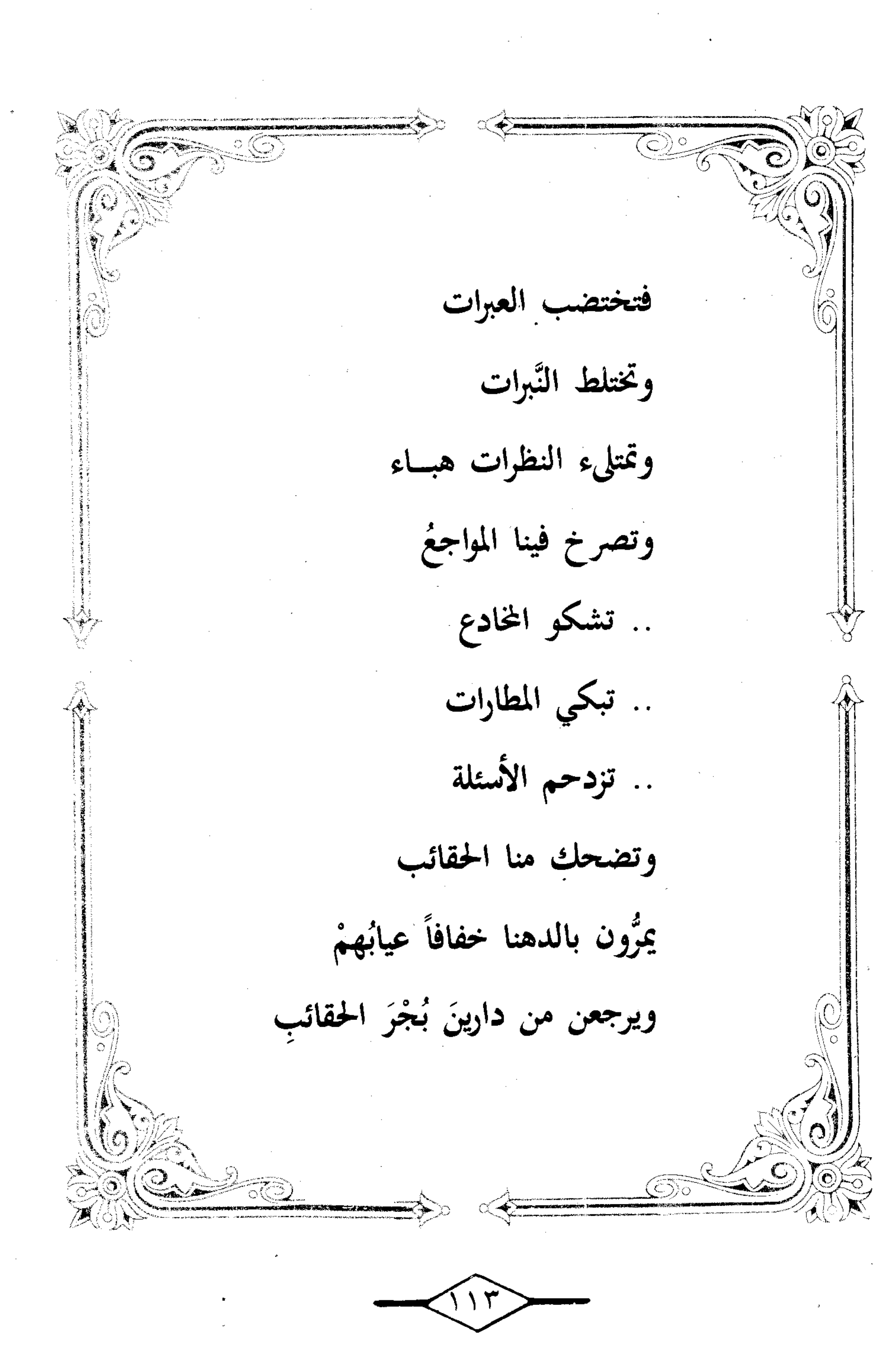
.. بمستوطنات العفونة والجيفِ المنتنة

ونبكي عليها ونحتج.. نشجبُ

كل البيانات تشجبُ

كل الإذَاعات تشجبُ

كل المنابر تشجبُ
وبعد الفجيعة نصمت صمت القبور
ونمضي لننسى ..
ونضحك ملء النواجذِ
.. ملء القصور ، وملء الموانىء
تجترّنا الآهُ
.. تلعننا كل يوم شفاه
ويبرأ منا الجدود
.. نوالي التسكُّع في الطرقات
على واجهات المعارض
نبحث في العابرين عن الأصدقاء



فتختضب العبرات

وتختلط النَّبرات

وتمتلىء النظرات هبــاء

وتصرخ فينا المواجعُ

.. تشكو المخادع

.. تبكي المطارات

.. تزدحم الأسئلة

وتضحكِ منا الحقائب

يمرُّون بالدهنا خفافاً عيابُهمْ

ويرجعن من دارينَ بُجْرَ الحقائبِ

وفي كل ليل لنا أغنيات

تشكّى الضياعـا

وفي كل فجرٍ لنا أمنيات

تموت الْتياعاً

وتنتفخ الكلماتُ

وتختال عبر الفضاء

لتلْقى الجوابـا

لدى مركبات الفضاء

تجوب الرحابا

صواريخُها تتخطّى السحابا

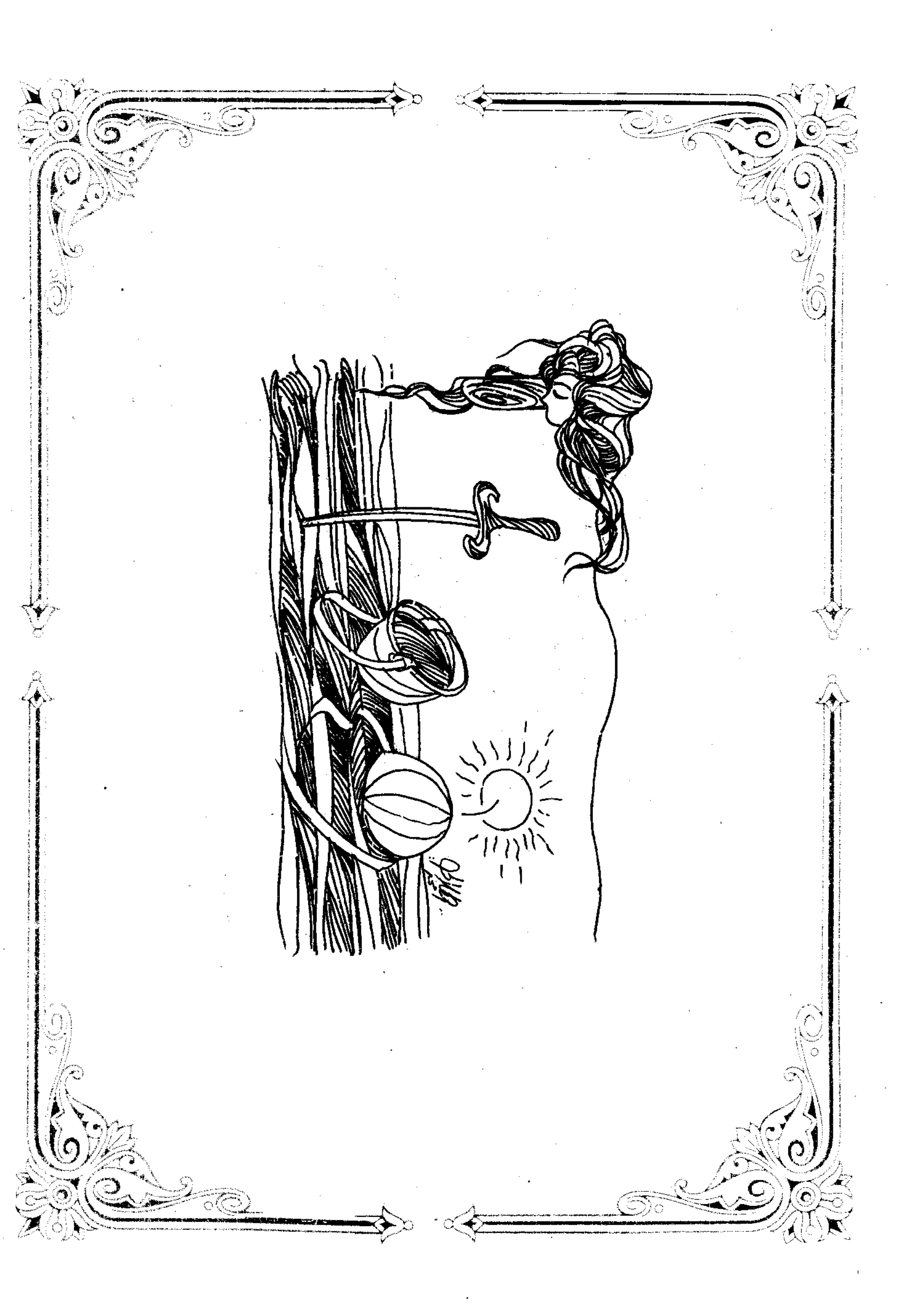
وتعلن أن الجوابا

بكفِّ السمـاء

وأن القيادة للأذكياء

وأنْ لا مكانة للأغبياء

وللموت تمضي جموع الغثاء



الوشم على خاصرة الزمن

لا تبكِ .. لا تُذرِ الدموعَ ، فربما انْحـ
ـتنَقَ النداءُ ، وماتتِ الكلمات

واربدَّ وجه الأرض بعد تألُّق
وتوالت الأحداث والنكبات

وعلى ضفاف الدمع تحتشدُ المنى
منهومةً تستاقها الرغبات

تُلقي على الأطلال نظرةَ وامقٍ
حيرانَ قد ألْوَت به الصَّبوات

وتجوس في أرجائهـــا مهتاجـــة

ينثـــال في أحداقهـــا الأمـــوات

وتعج بالموت الـدروبُ ، ولا تنــي

تهتــز في أحشائهـــا الأزمـــات

وذُرَى الطلولِ مواجعٌ محمومـــة

تعلـــو بها الـــنبرات والأصوات

وعلى مفاصلها الدِّمـــا موشومـــةٌ

تحتزُّهـــا الضربـــات والصدمـــات

يمشي الأسى فيها حديداً طرفُـــه

وتشيع في أعطافهـــا الآهـــات

يا ويح هاتيك المنى إذ ينطفي

فيها الوميضُ ، وتذبلُ النبضات

تجتال في أطرافها أيدي البِلى

وتعيث في آماقها العبرات

وتروح تنزف حيرة مشبوبة

وبكفها تُستنطَقُ الآيات

هذي الطلول أجنة موؤدة

وملاحمٌ سقطتْ بها الخوذات

كانت شبابا رائعا متمرِّدا

وقصيدةً تزهو بها الأبيات

ومساحباً للفخـر ما زالت لهـا

في مسمع الزمن الوريف لغات

كم عزةٍ خفقتْ بها مزهـوَّةً

وتزاحمت في ساحها الرايات

وترعرع المجد الأصيل بظلها

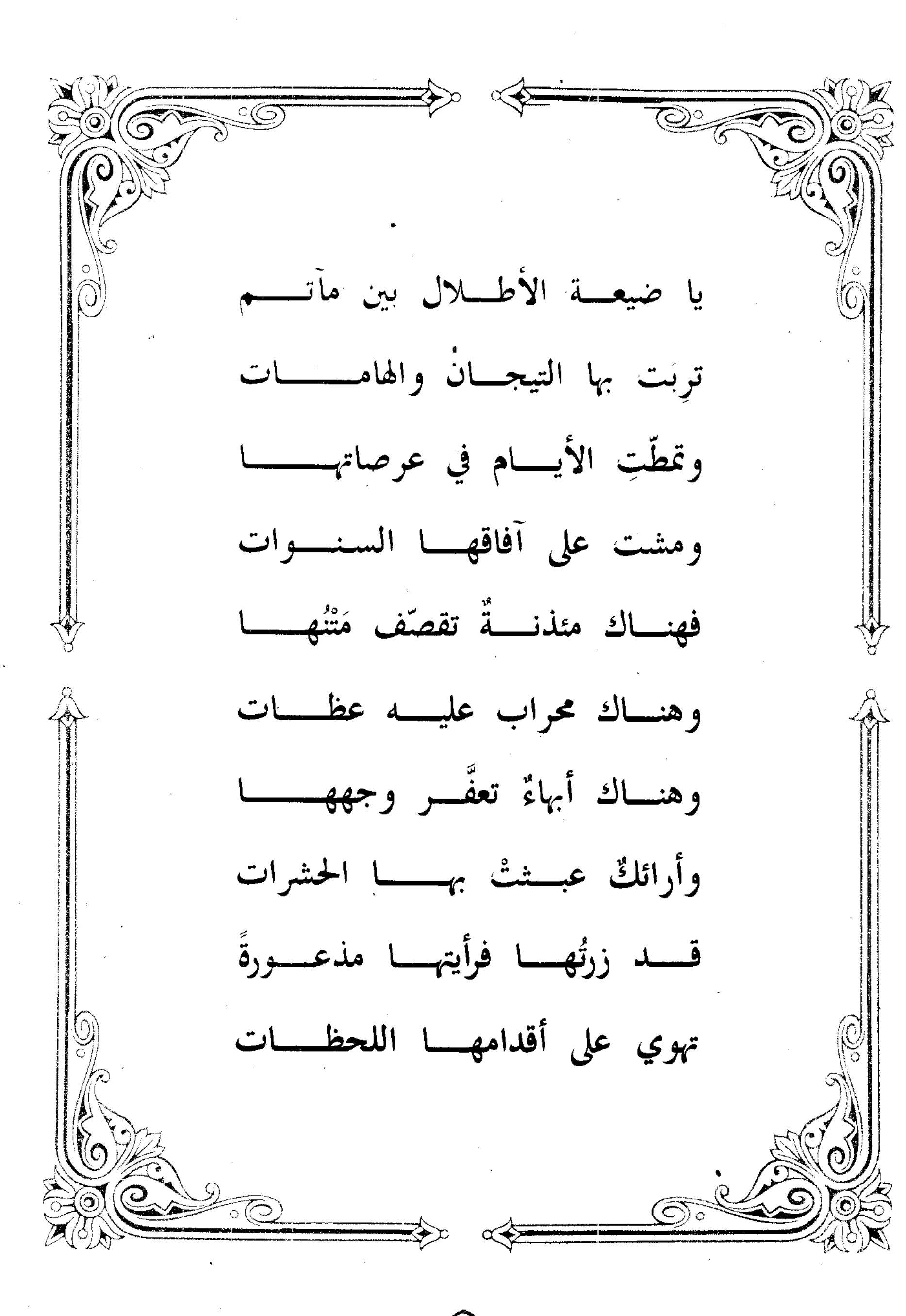
متوهِّجاً تسمو به الغايات

وعلى روابيها المنيفة رفرفَتْ

روحُ الحياة ، وشعّت البسمات

وتوقّف التاريخُ يصنع أمة

تاهت بها الأيام والدارات



يا ضيعة الأطلال بين مآتم
تربَت بها التيجانُ والهامات
وتمطّتِ الأيام في عرصاتها
ومشت على آفاقها السنوات
فهناك مئذنةٌ تقصّف مَتْنُها
وهناك محراب عليه عظات
وهناك أبهاءٌ تعفَّر وجهها
وأرائكٌ عبثتْ بها الحشرات
قد زرتُها فرأيتها مذعورةً
تهوي على أقدامها اللحظات

ولحتُهـا في ذلِّهـا مفجوعـةً

تبكـي شبـابَ قبابِهـا الشُّرُفـات

لم يَبْـق فيها غيـرُ أعظُـمِ أهلهـا

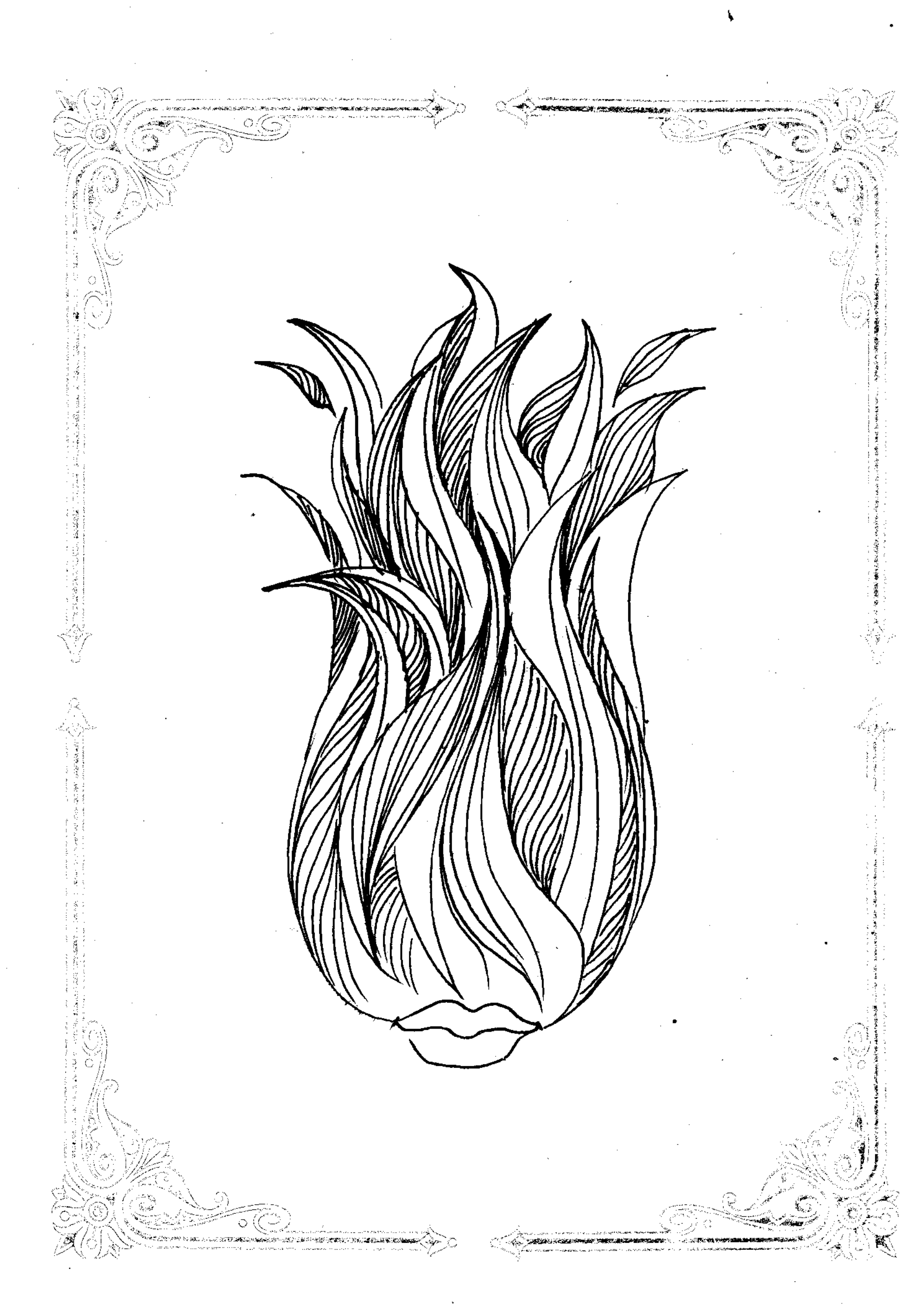
متجهمـاتٍ دونهنّ تِـرات

ينظـرْن للأحفـاد نظـرةَ غاضـب

تجتاحـه في بؤسـه المأسـاة

وتـودُّ لو عقـم الزمـانُ ولم تـر

هذي الوجوهَ . فهل تكون حياة ؟



هكذا فقئت عين الموسم

تتمزّقُ اللحظاتُ في صدري كمـا

تتمــزّق الآهــاتُ والأرجــاء

وتَثُوب شاخصةً على كـف الأسـى

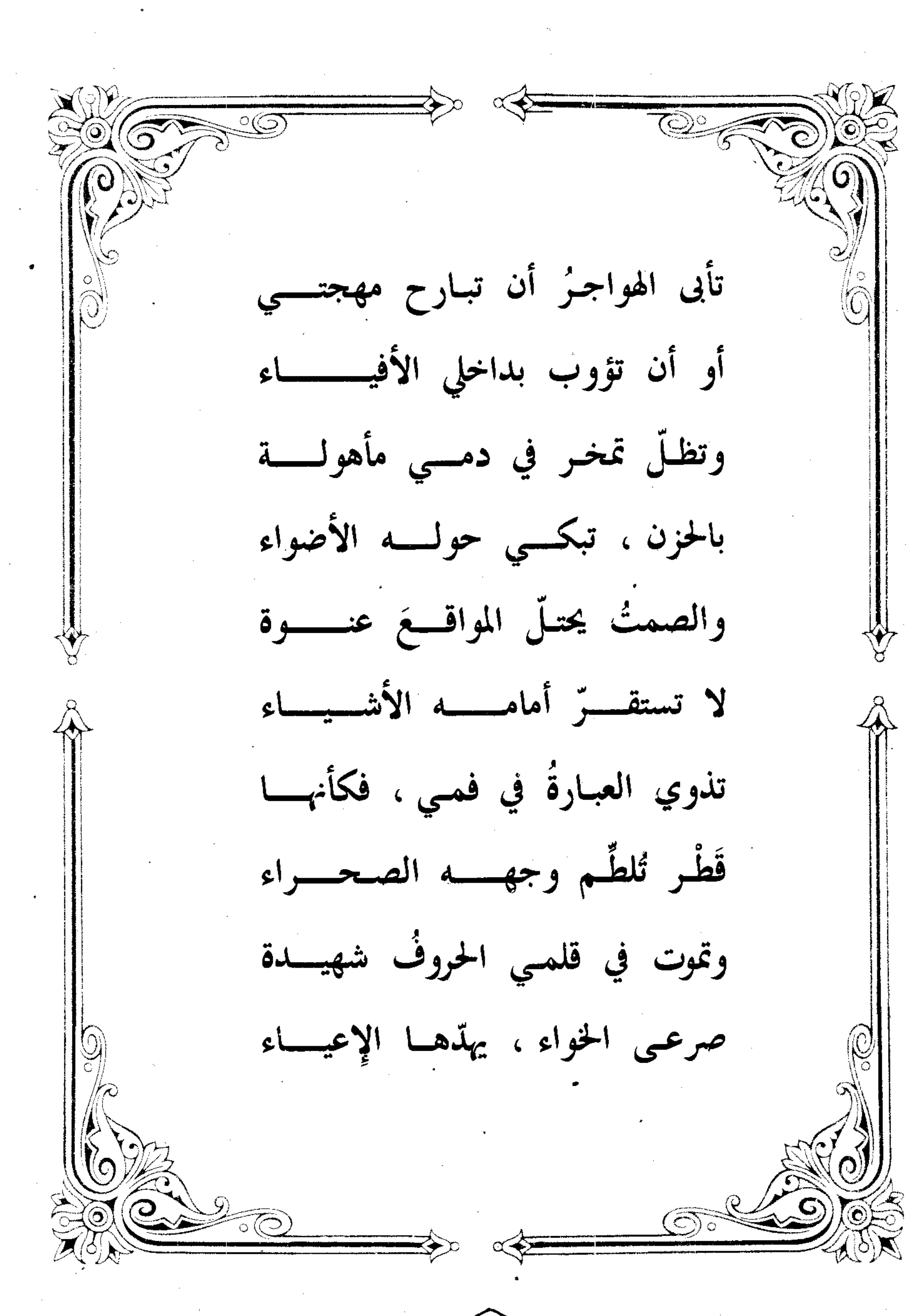
مقـرورةً ، تلهــو بهــا الأنــواء

ويضيع خطوي في الدروب ، فوِجْهتي

مذعــورةٌ ، ومعــالمي ربــداء

ويمور في نفْسي اللظــى متــوحِّشا

تهوي على شهقاتــه الأنضــاء



تأبى الهواجرُ أن تبارح مهجتي
أو أن تؤوب بداخلي الأفياء
وتظلّ تمخر في دمي مأهولة
بالحزن ، تبكي حوله الأضواء
والصمتُ يحتلّ المواقعَ عنوة
لا تستقرّ أمامه الأشياء
تذوي العبارةُ في فمي ، فكأنها
قَطْر تُلطِّم وجهه الصحراء
وتموت في قلمي الحروفُ شهيدة
صرعى الخواء ، يهدّها الإعياء

ماذا أقـــول ومنطقـــي مخنوقـــةٌ

أشجانُـــه ، ومراكبـــي أشـــــلاء

ومـــواسمي بيَـــدِ الشتـــاء سبيَّـــة

عبثتْ بها الشهـــواتُ والأهـــواء

ومواجعـي ملء الـــفصول تلوكنـــي

ويصيبنـي من وهجهـا الـــرُّحَضاء

أنّـى اتجهتُ تحيـــط بي أسوارهـــا

وتصدني نظراتُهـــــا الشـــــزْراء

ويلـوح لي شبَـحُ الكهانـة مِرْجـــلا

من دونـــه تتساقـــطُ الأسمـــاء

وحرائق الأحلام فيه مباخر

يلهو بها الأضياف والأجراء

وبمسمعي أورادهم مزرورة

لا تنتهي بمسامعي الأصداء

وعلى السراديب القديمة بسمة

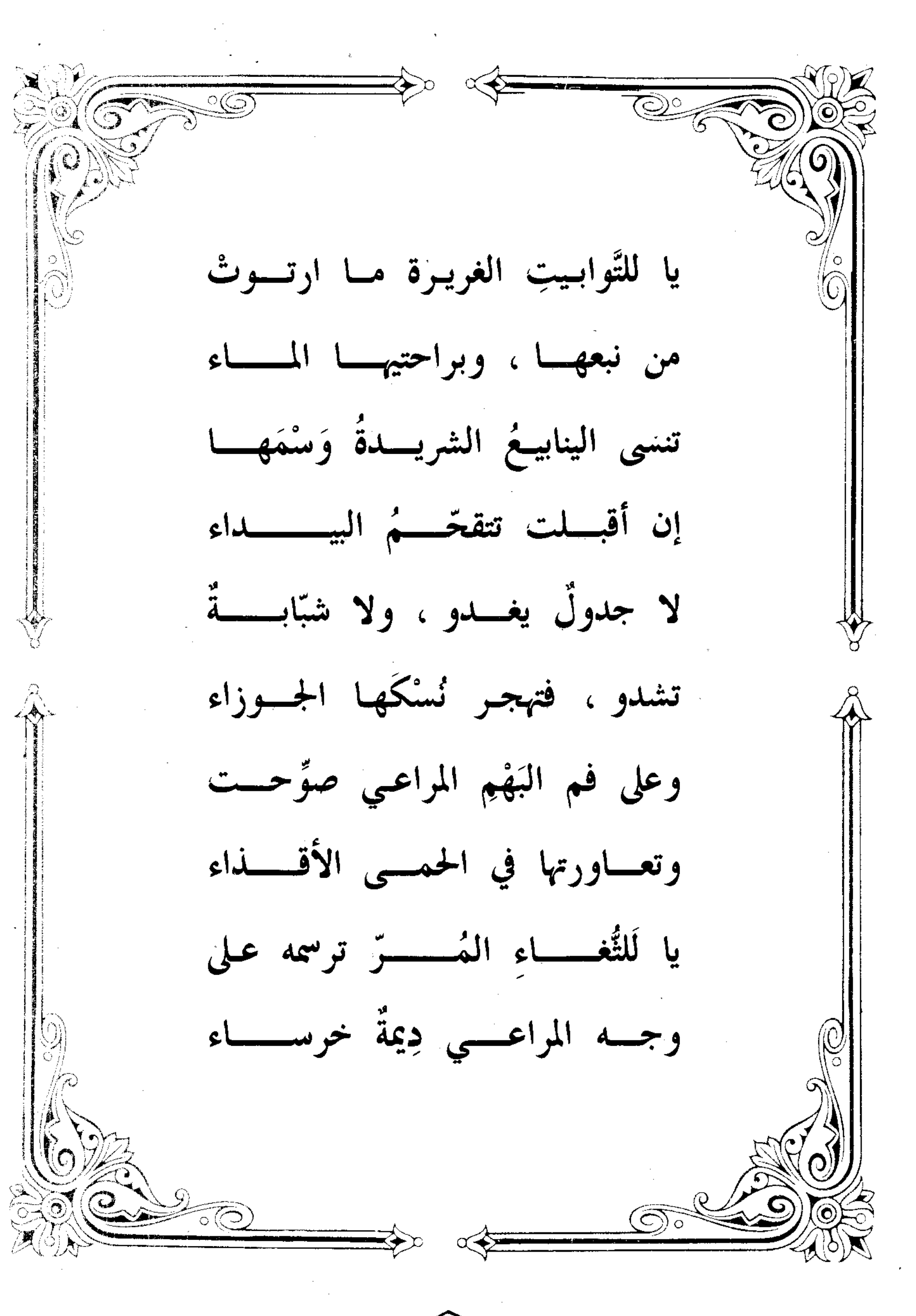
شوهاءُ ، قد لهجتْ به السفهاء

وتطاولتْ عبْر العصور ذريعةً

للعجز ، محفوفاً بها الإغراء

تُومي إلى كلَفِ المقابر بالدُّمى

وإلَى رحيل السحب حيث تشاء



يا للتَّوابيتِ الغريرة ما ارتوتْ

من نبعها ، وبراحتيها الماء

تنسى الينابيعُ الشريدةُ وَسْمَها

إن أقبلت تتقحّمُ البيداء

لا جدولٌ يغدو ، ولا شبّابةٌ

تشدو ، فتهجر نُسْكَها الجوزاء

وعلى فم البَهْمِ المراعي صوِّحت

وتعاورتها في الحمى الأقذاء

يا لَلثُّغاءِ المُرّ ترسمه على

وجه المراعي دِيمةٌ خرساء

لهفي على الزمن الذي ماتت بـه
اللحظاتُ ، واختلّت بـه الآنـاء
هذه دموعُ الفجر تسبق نـوره
وتجيء قبـل ظهـوره الأمسـاء
وتوسّدَ الليـلُ الكريـه حياتنـا
لم يَبْق في النور الحبيبِ ذمـاء
يا صاح لا تسكبْ على حجْر الدجى
أنفاسَ عُمْـرك إن تكـن أدواء
فالعمْر أغلى ما ملكتَ ، وربمـا
من أجلـه تتصارع الحكمـاء



حروف على لافتة لم تقرأ

وأمحلت السحبُ

مات بداخلها القَطرُ

ناحت بأطرافها الريحُ

صارت ركاماً

تبدَّد عبر عيون الفيافي

يلوِّح للجدبِ

يشكو الأواما

كداليةٍ في العراء

تعاني التغرُّبَ

تبتزُّ منها العواصف حتى التخيُّلَ والحلْم

تموت بمقدار ما في الكثابينِ من رملْ

تموت وتبكي الرمالُ

وتسأل عنها الظلالُ

ويجثو الزمان على ركبتيه

يواري المكانا

ويدفن حتى السؤالا

●●●

ونجمٌ شقيٌّ شريد

وراء الغيــوم

يناجي بقايا خيوط النهار

يغازلها في ذهول

يؤرقه الوجـدُ

ينكره الدربُ

يَرْحل في جنبات السماء وحيدا

وعبْر حكايا العجائز

يركض دون انتماء

وينساب في كل حرف قديم

يطلُّ على الأفق إطلالَ (حيفا) و (يافا) على (مَجْرَدة)[1]

و (زغوان)[2] والعصبةِ الباغية

---

(١) مجردة : نهر بتونس.

(٢) زغوان : ضاحية من ضواحي مدينة تونس.

ورائحةُ النزف تكسو الماء إحمرارا
وتسأل (حطِّينُ) (قرطاجةً) عن مدار (السعالي) .؟
عن (السرطان).. عن (الجدْي) .. عن (لُكْوادورَ) .؟
وهل للمسافات من عائد
يعود على المسألة .؟
وتسألها عن مسار الأفاعي
يسمِّم ماءَ السواحـل ..
.. نَبْعَ المغذِّين نحو القمر .؟
مزاودُهمْ شحنةٌ من غضبْ
وليلٌ طويلٌ كثير السغبْ

وسوطُ (أبي لهب) يلتهب

ألا شاهَ وجهاً ، وتبْ

★★★

وتمضي القوافلُ رغم العثارِ

برغـم الأوامِ

ورغم احتضارِ النجومِ

وموتِ القمـرْ



يمليخا يموت مرة ثانية

لقد جئتُكمْ ومعي ورِقٌ

أريد طعاما

أداري به سَوْرة الجوع

أرسم وجهي بباب المدينهْ

وأكتب إسمي على الطرقات احتجاجا

وأنقلُ خطوي اختلاسا

يسابقني الخوف

من عسس الليل

ينتعلون قلوب العذارى

وظلَّ محارةٍ لم تزل

تلوب بقلب الصحارى

ويصرخ في داخلي ألفُ صوت

ولكنني أتحاشى العسس

رفاقي هنــاك

أشاروا عليَّ بأن أتلطَّف

.. أن أتنكَّر خوف اللئـام

لأقتنص الشمس عند الغروب

وأودعها في حنايا الوصيدْ

وأطوي ركام السنين

وآتيهمُ بالطعام

فما الحل ؟

لا لغتي تفهمون .؟

ولا ورقي تقبلون .؟

●●●

تحيّرتُ

أجفلتُ كالحلْم عبر العيون

وكالعربيِّ المشرد خلف التّخوم

تذكّرتُ في لحظةً (دقْيُنوسَ)[1]

وقبضتُه تتخطى الجنون

---

(١) دقينوس : ملك الروم على عهد أهل الكهف.

فخارت قـوايَ

وأبصرتُ بعض دمائي

وأشـلاءَ صحبـي

تُهرْول حاسرَةً في العراء

ولعنةُ (أفْسُوس)[1] تعدو ورائي

تمزِّق أوردة الكبْرياء

بذات الزمـانِ

بذات المكـانِ

وباحفنــة الأغبيـاء

تحيّـرتُ

---

(١) أفسوس : مدينتهــم.

ماذا يقول رفاقي

إذا عدْتُ خالي الوفاض

بغير طعام .؟

فيا لَلْمُصاب .؟

يلح على الجائعين السؤال

ويبكي الجواب .؟

●●●

تجرَّزتِ الأرضُ

ناحت بأرجائها الريح

نَوْحَ المراعي على قدم الزمهرير

فلا روضةٌ تستفزُّ الرعاة

ولا حقلَ .. لا من حصيد

وأسواقُ (أفْسُوس) جفّت

وغاب الزحــام

ومـات الحمــام

وضاع بَنجْلُوسُ[1] بين الركام

وضاع الطريق إليه وغام

وأصبحتُ وحـدي

فلا من طعــام

ولا مـن صحـاب

---

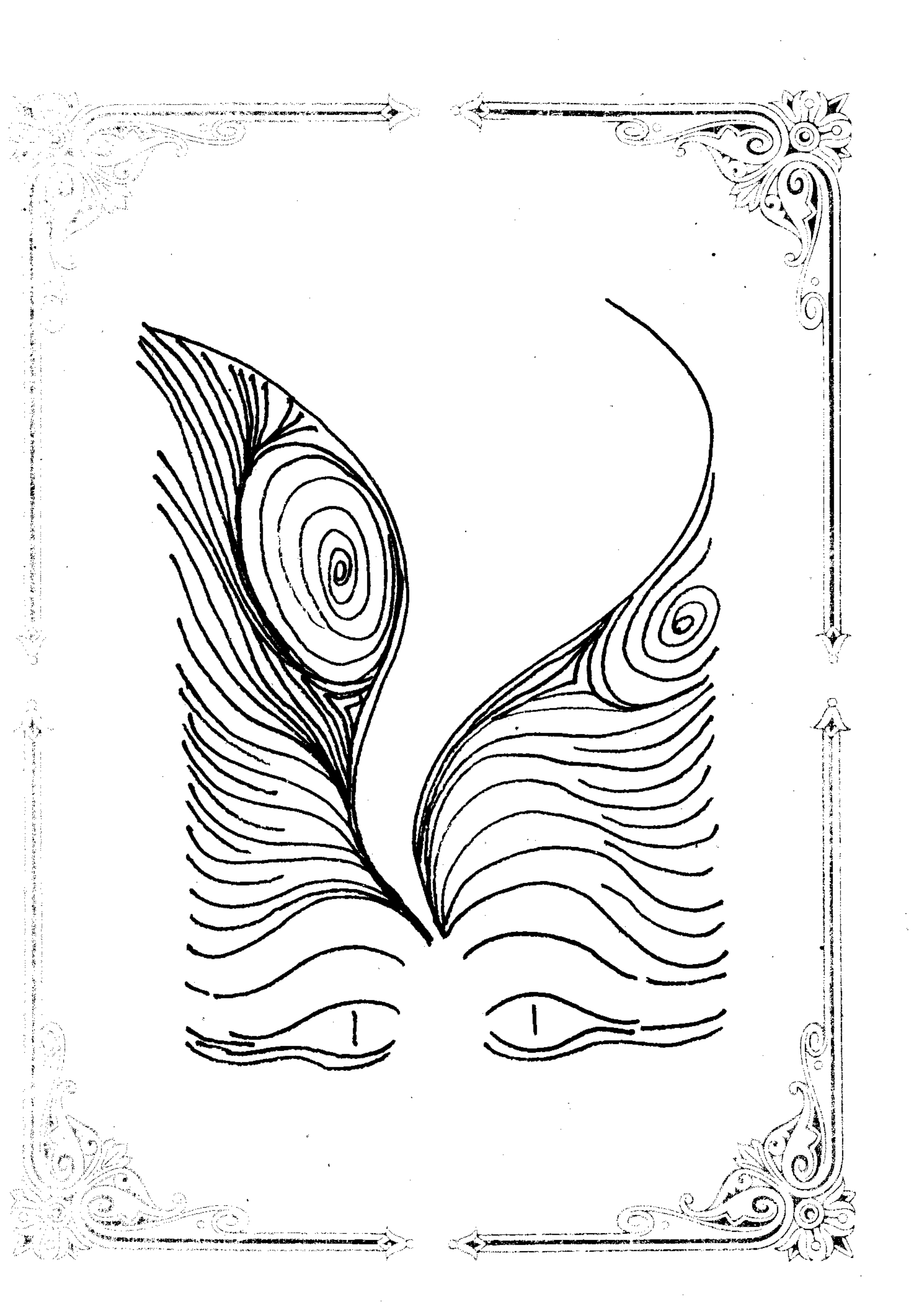
(١) بنجلوس : الجبل الذي فيه كهفهم.

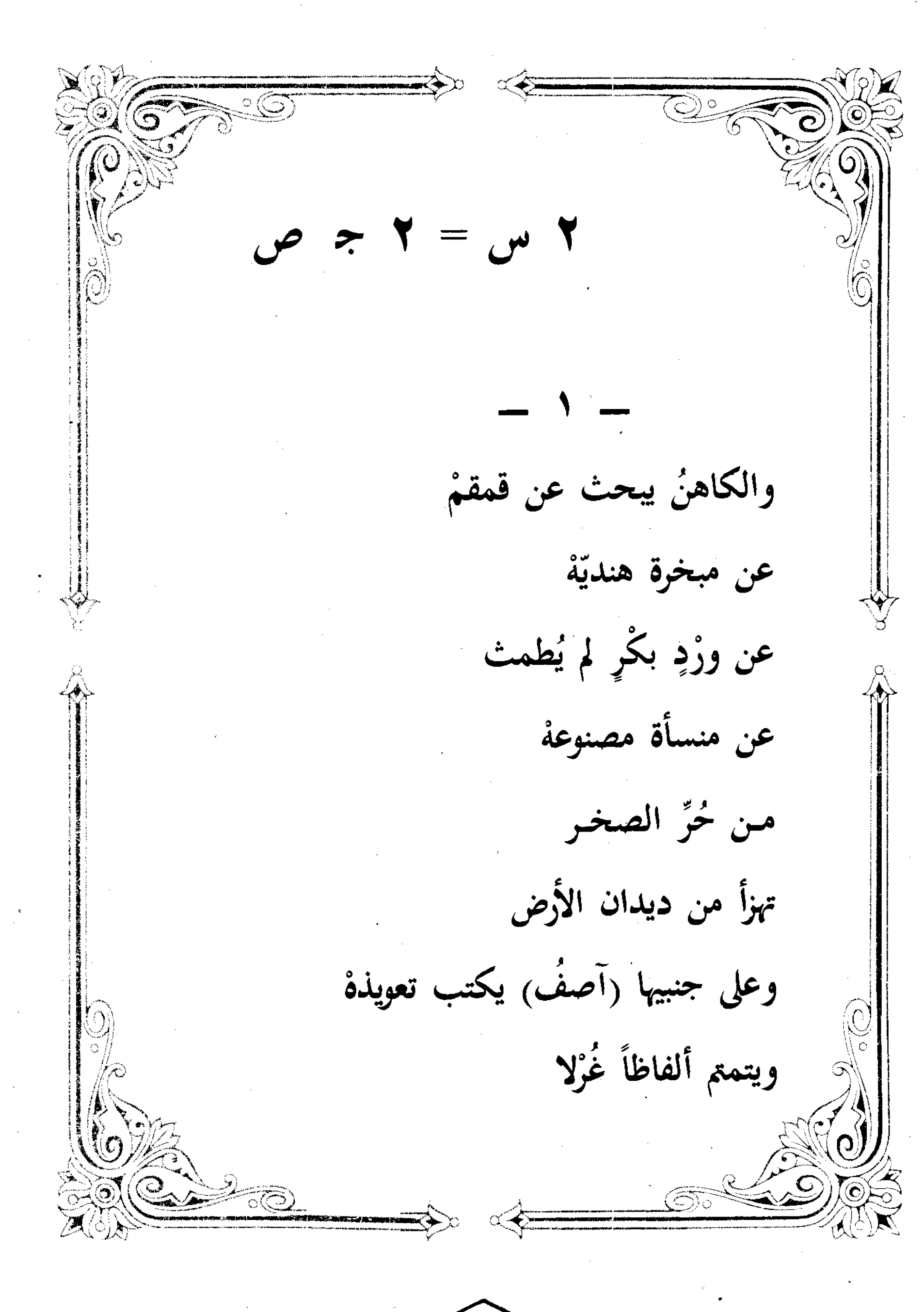
وعـزَّ الإيـابْ

وصاحتْ بِـ (يَمْليخا) بُـوم الخراب

فيا تعْسَ (يَمْليخا)

من ذا يواريه تحت التراب .؟





٢ س = ٢ ج ص

ـ ١ ـ

والكاهنُ يبحث عن قمقمْ

عن مبخرة هنديّهْ

عن وِرْدٍ بكْرٍ لم يُطمث

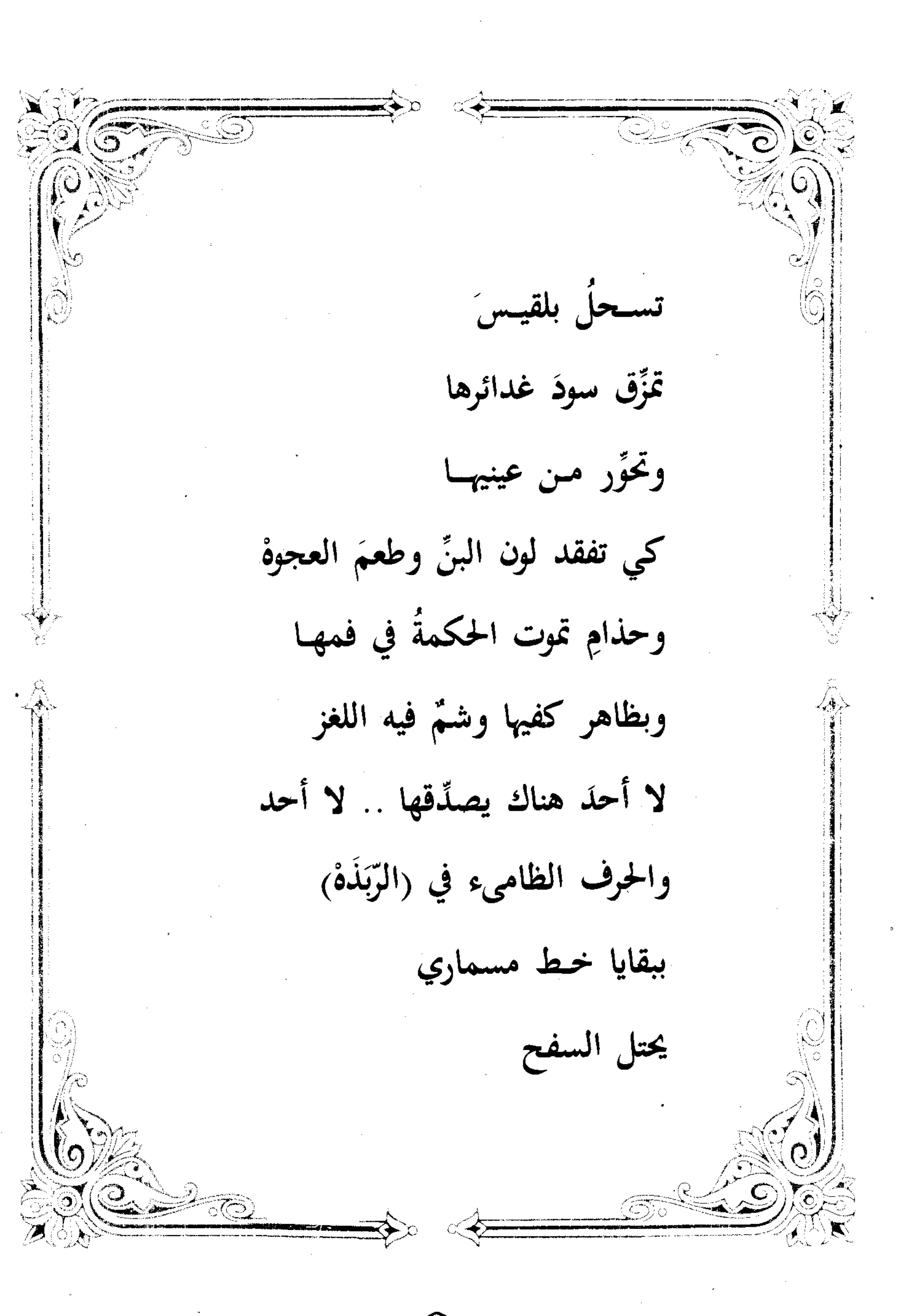
عن منسأة مصنوعهْ

مـن حُرِّ الصخـر

تهزأ من ديدان الأرض

وعلى جنبيها (آصفُ) يكتب تعويذهْ

ويتمتم ألفاظاً غُرْلا



تسحلُ بلقيسَ

تمزِّق سودَ غدائرها

وتحوِّر من عينيها

كي تفقد لون البنِّ وطعمَ العجوهْ

وحذامِ تموت الحكمةُ في فمها

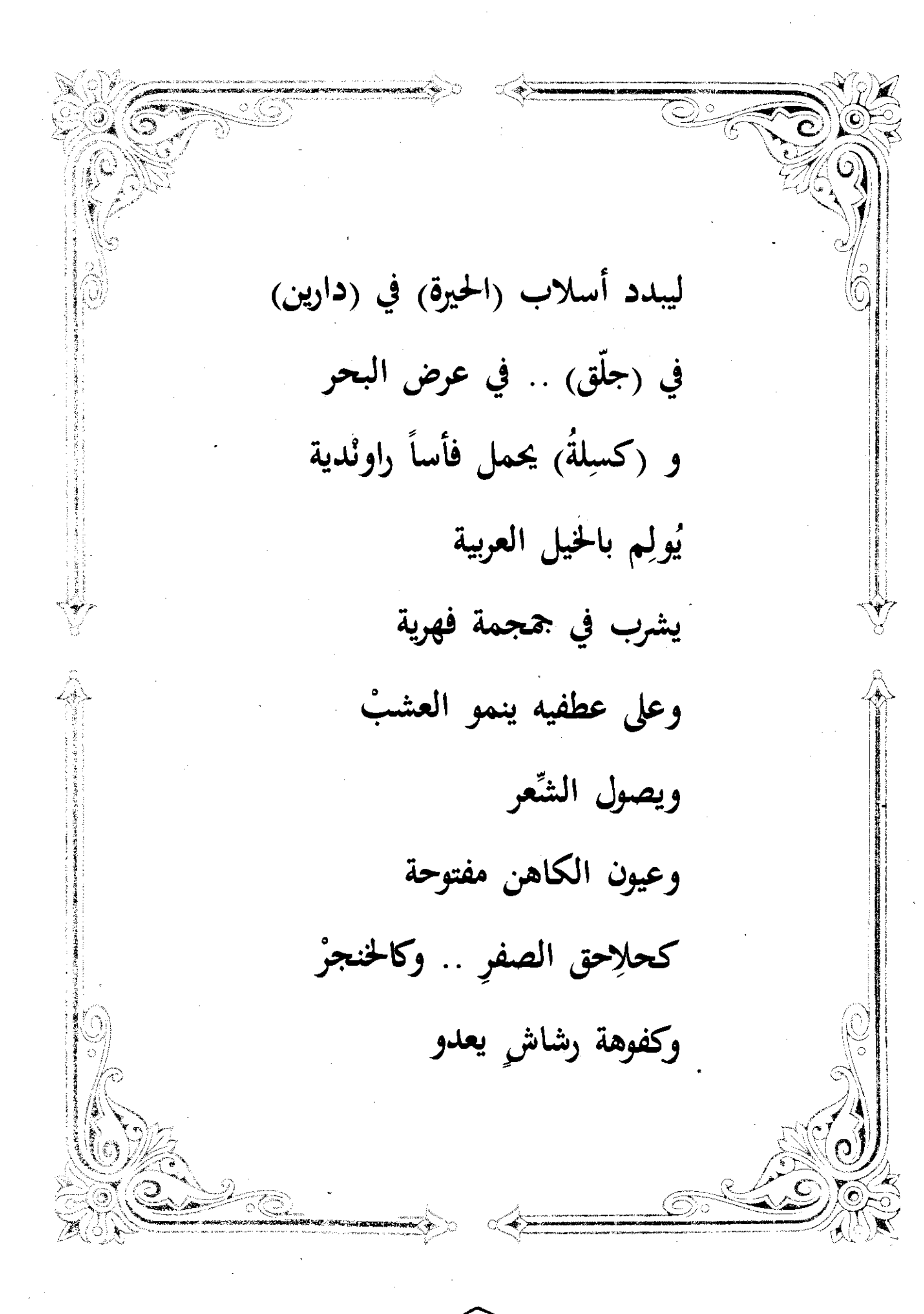
وبظاهر كفيها وشمٌ فيه اللغز

لا أحدَ هناك يصدِّقها .. لا أحد

والحرف الظامىء في (الرَّبَذَهْ)

ببقايا خط مسماري

يحتل السفح



ليبدد أسلاب (الحيرة) في (دارين)

في (جلّق) .. في عرض البحر

و (كسِلةُ) يحمل فأساً راونْدية

يُولِم بالخَيل العربية

يشرب في جمجمة فهرية

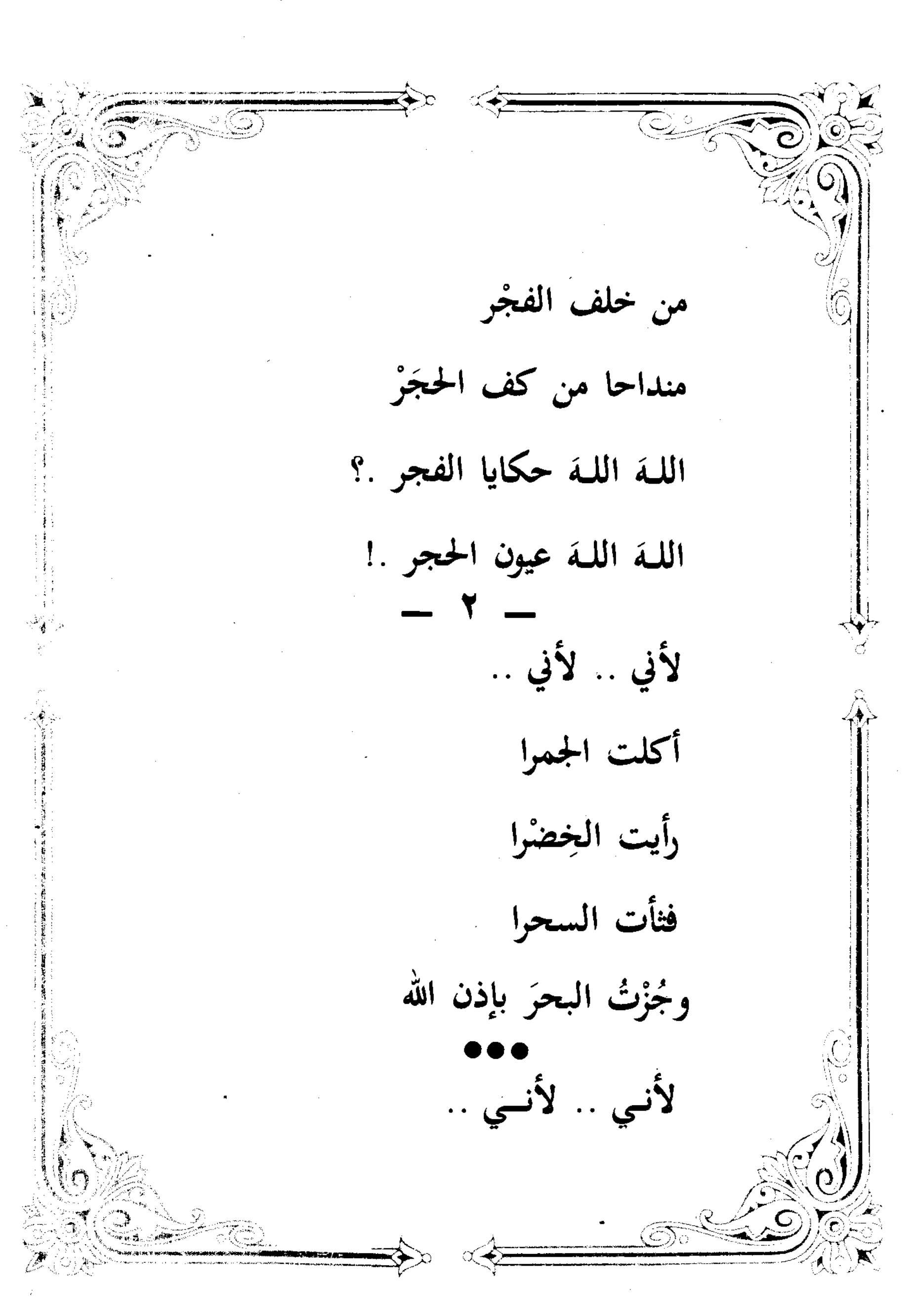
وعلى عطفيه ينمو العشبْ

ويصول الشِّعر

وعيون الكاهن مفتوحة

كحلاِحق الصفرِ .. وكالخنجرْ

وكفوهة رشاشٍ يعدو



من خلفَ الفجْر

منداحا من كف الحجَرْ

اللـهَ اللـهَ حكايا الفجر .؟

اللـهَ اللـهَ عيون الحجر .!

ـ ٢ ـ

لأني .. لأني ..

أكلت الجمرا

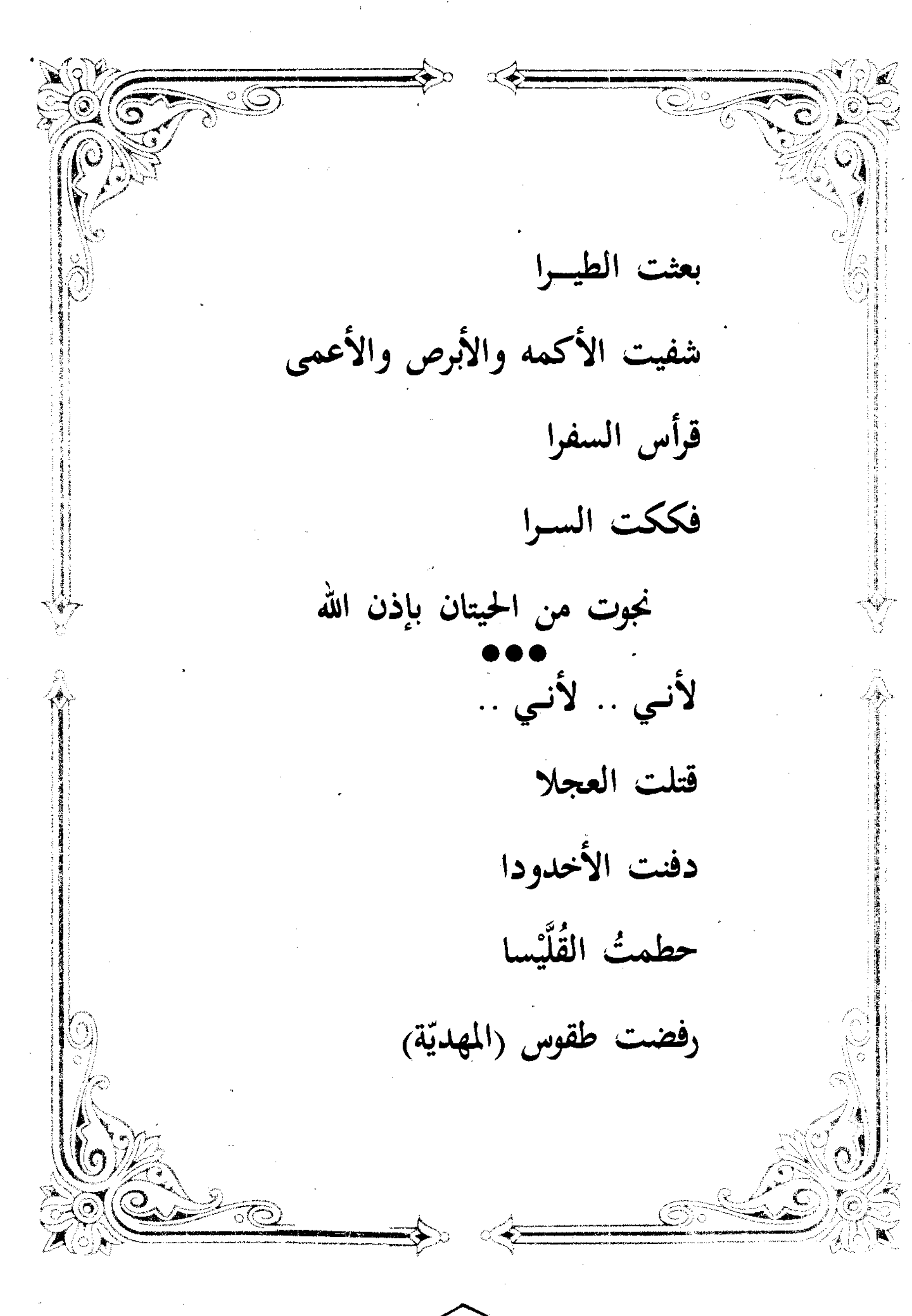
رأيت الخِضْرا

فثأت السحرا

وجُزْتُ البحرَ بإذن الله

●●●

لأنـي .. لأنـي ..



بعثت الطيــرا

شفيت الأكمه والأبرص والأعمى

قرأس السفرا

فككت الســرا

نجوت من الحيتان بإذن الله

●●●

لأنــي .. لأنــي ..

قتلت العجلا

دفنت الأخدودا

حطمتُ القُلَّيْسا

رفضت طقوس (المهديّة)

وسمعتُ النشرة

عرفت الشِّفرة

وقرأت وثائق (تموزٍ)

ورموزَ النكبــة

شاهدت كتائب حطين تشنق في المسجد

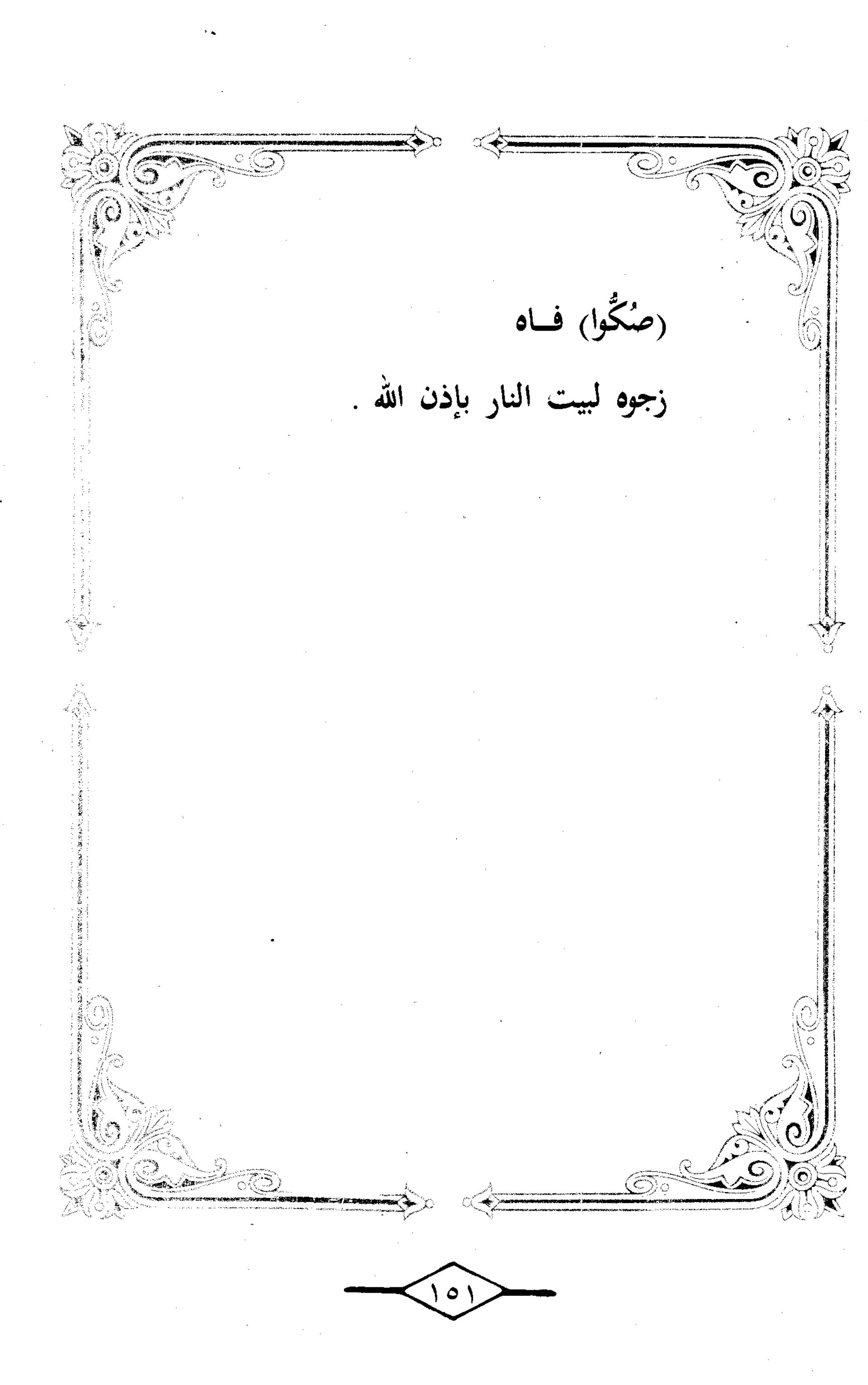
ويتاجر في حقْوَيْها الموعد

ودعوت لكسر قرون (الشيطان)

وهدْمِ بيوت النار

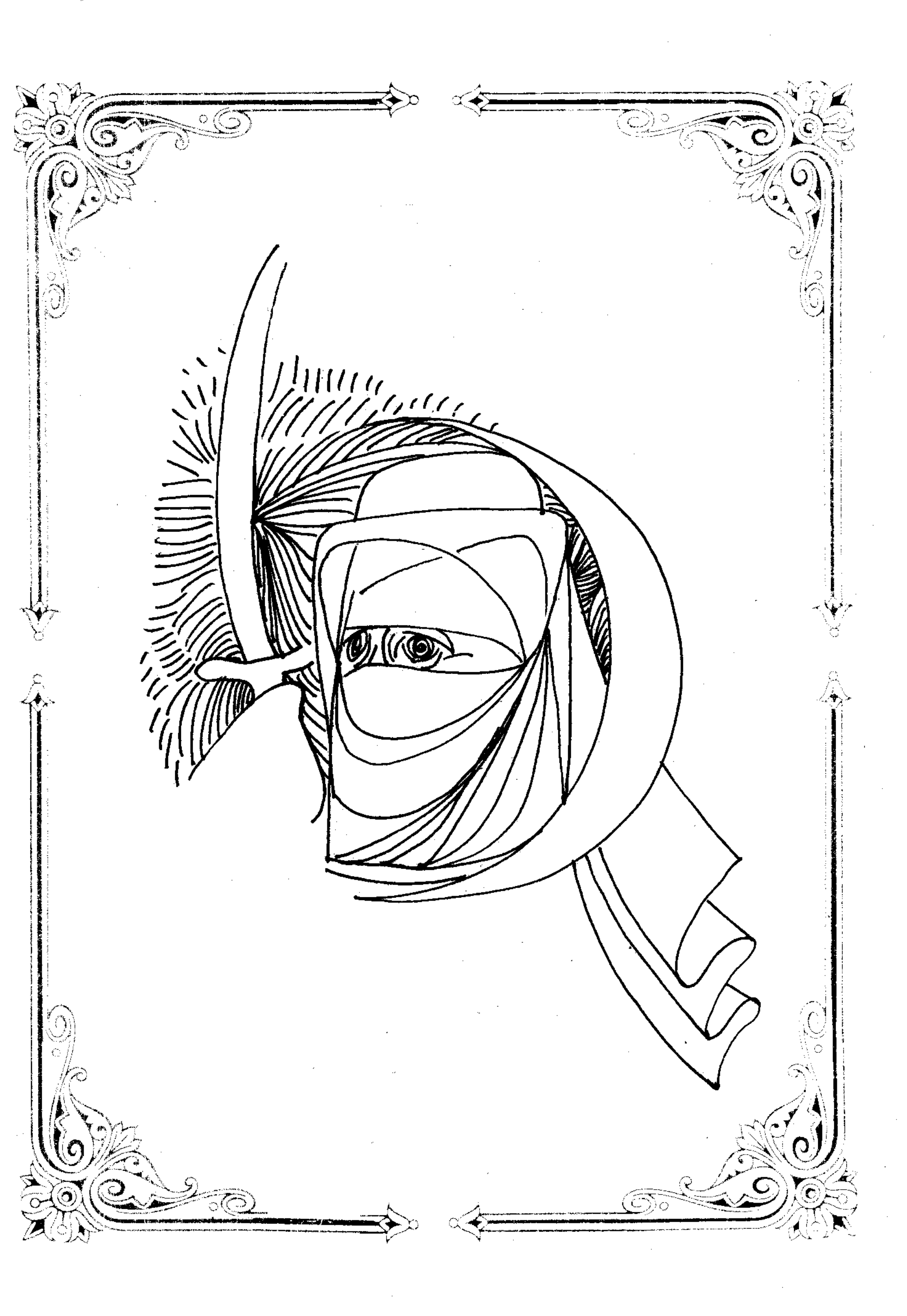
وشنْقِ الفاجر (ماني)

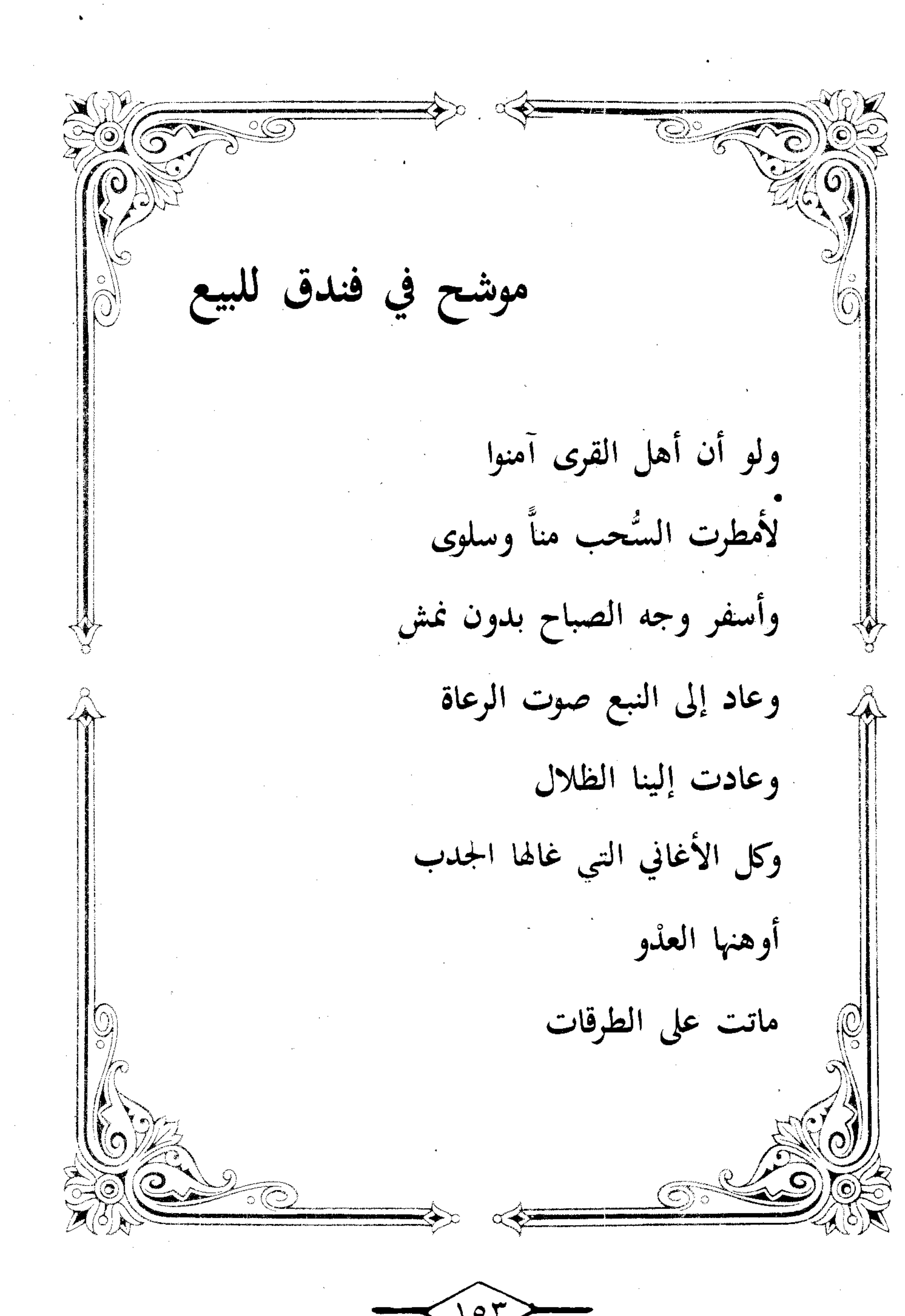
قال الكاهن : هذا صابئ



(صُكُّوا) فـاه

زجوه لبيت النار بإذن الله .





موشح في فندق للبيع

ولو أن أهل القرى آمنوا
لأمطرت السُّحب مناً وسلوى
وأسفر وجه الصباح بدون نمش
وعاد إلى النبع صوت الرعاة
وعادت إلينا الظلال
وكل الأغاني التي غالها الجدب
أوهنها العذْو
ماتت على الطرقات

كنبض الحروف بقلب الحبارَى

غابت كما القطر في ظمإ الرمل

أفضت للا شئي عبر الفضاء

●●●

ولو آمنوا لاستقر اختلاج الصحارى وخفق الجبال

وفَوْر البحار وهَجْس الشجر

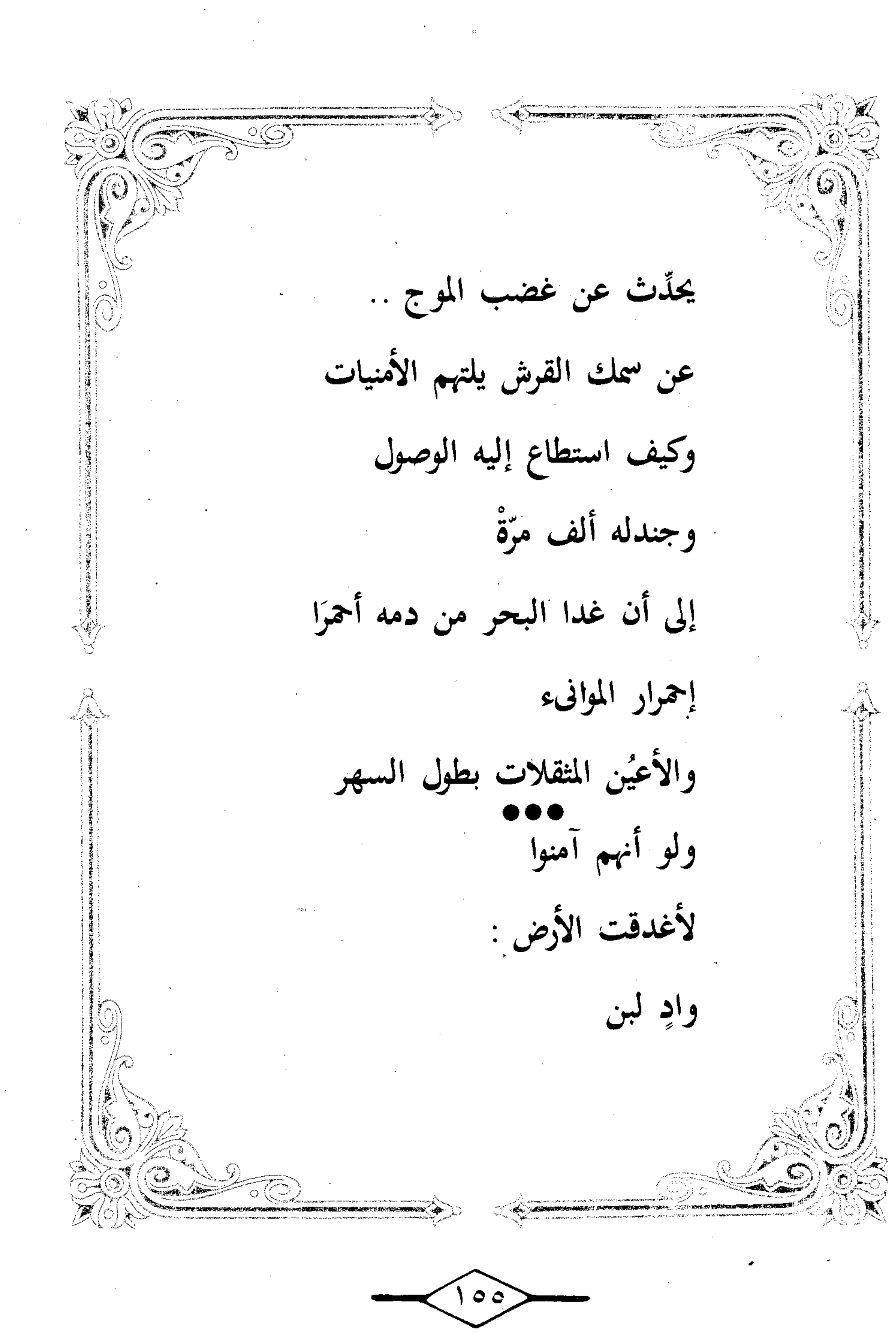
وحنّت إلى الجذع أثماره

وتاقت إلى الطير أوكاره

وهبّت (حذام) تناجي القبيلة

وترفدها بالمراود مصبوغة إثمداً

وعاد (ابن ماجدَ) من رحلتِهْ



يحدِّث عن غضب الموج ..

عن سمك القرش يلتهم الأمنيات

وكيف استطاع إليه الوصول

وجندله ألف مرّةْ

إلى أن غدا البحر من دمه أحمرًا

إحمرار الموانىء

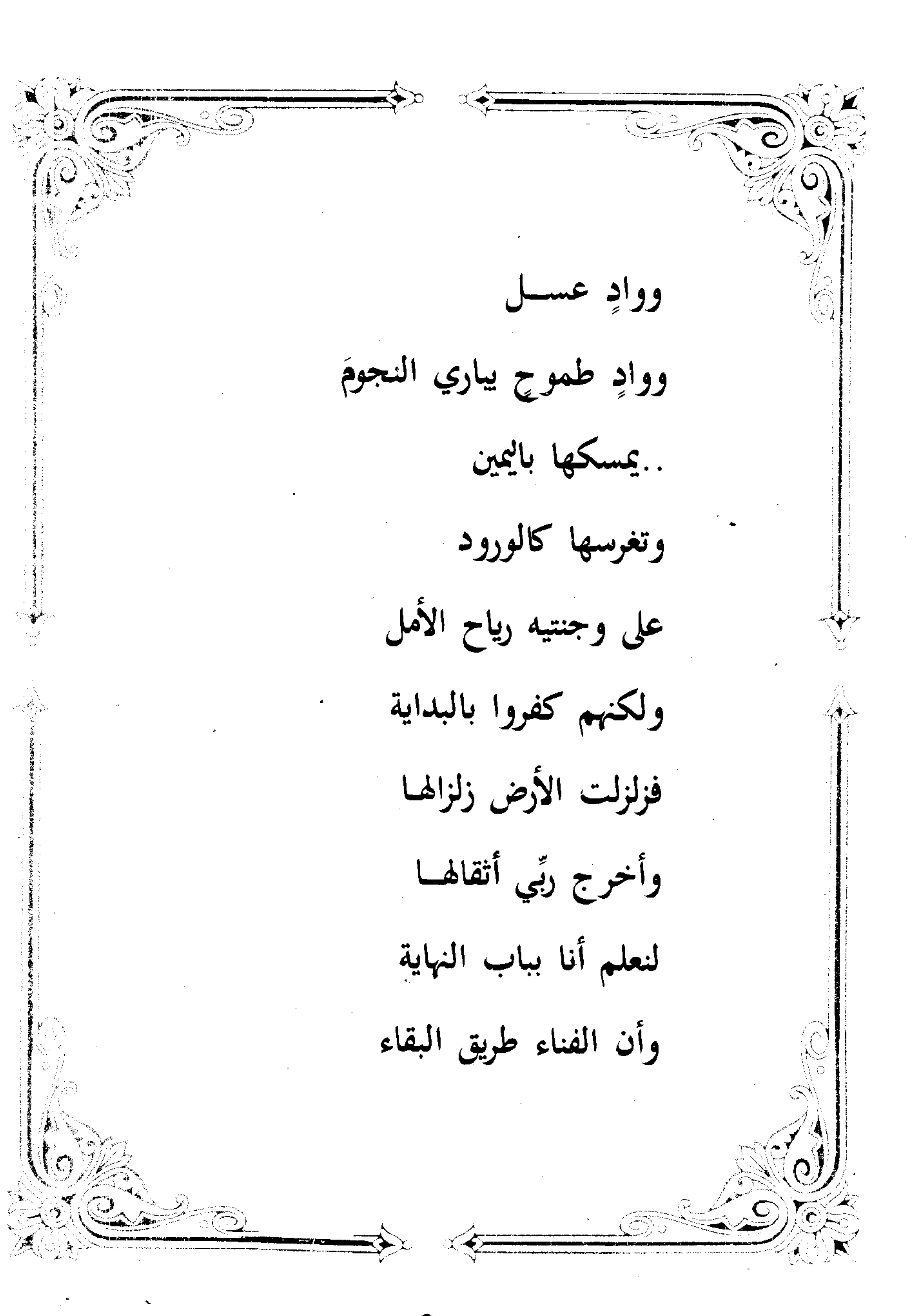
والأعيُن المثقلات بطول السهر

●●●

ولو أنهم آمنوا

لأغدقت الأرض :

وادٍ لبن



ووادٍ عســل

ووادٍ طموحٍ يباري النجومَ

..يمسكها باليمين

وتغرسها كالورود

على وجنتيه رياح الأمل

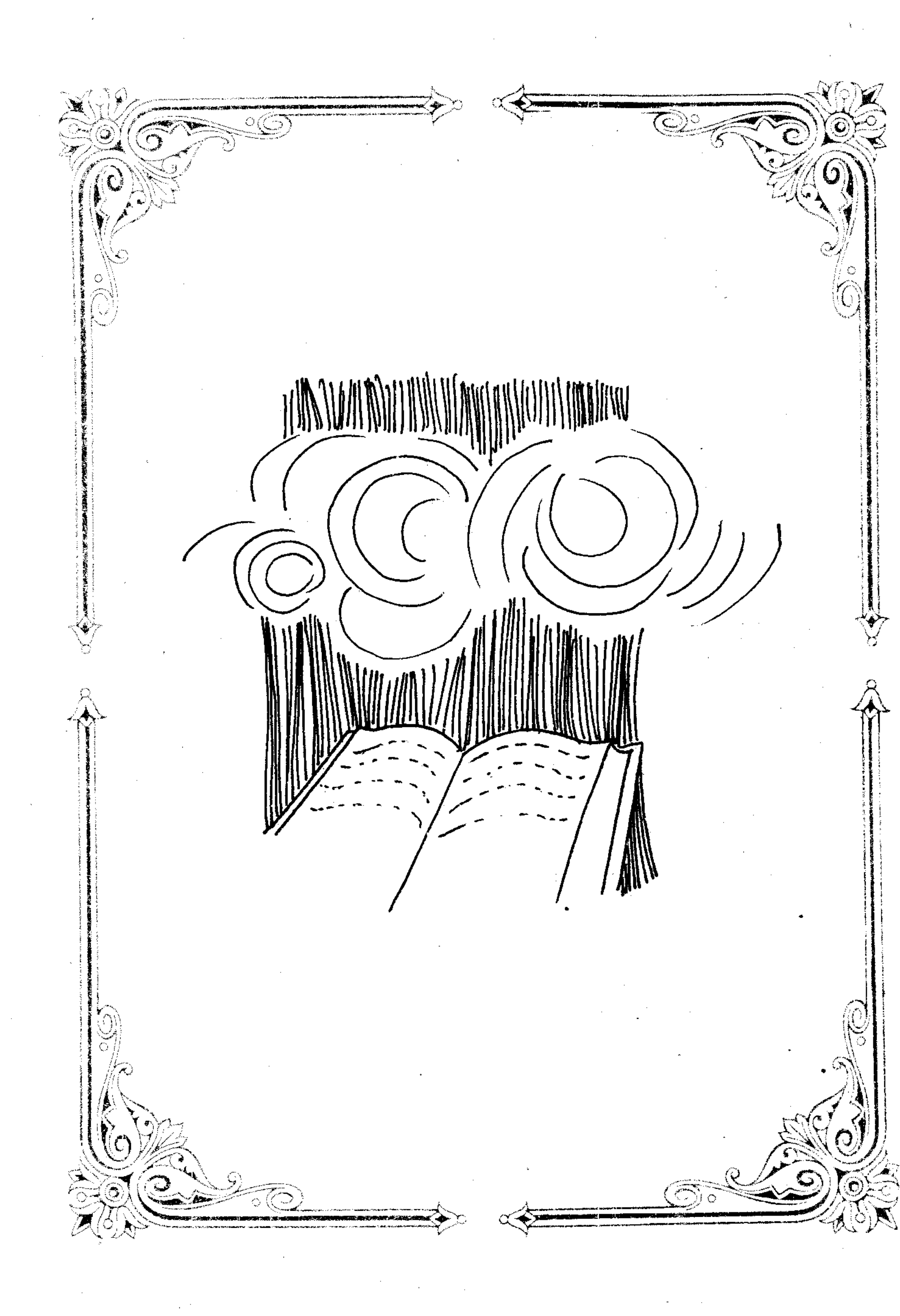
ولكنهم كفروا بالبداية

فزلزلت الأرض زلزالها

وأخرج ربِّي أثقالهـا

لنعلم أنا بباب النهاية

وأن الفناء طريق البقاء



استطراد في جملة معترضة

وحين يكفهرّ الجو تكثر الأنواء

فأدفن الصباح في فمي

وأحمل الرمضاء

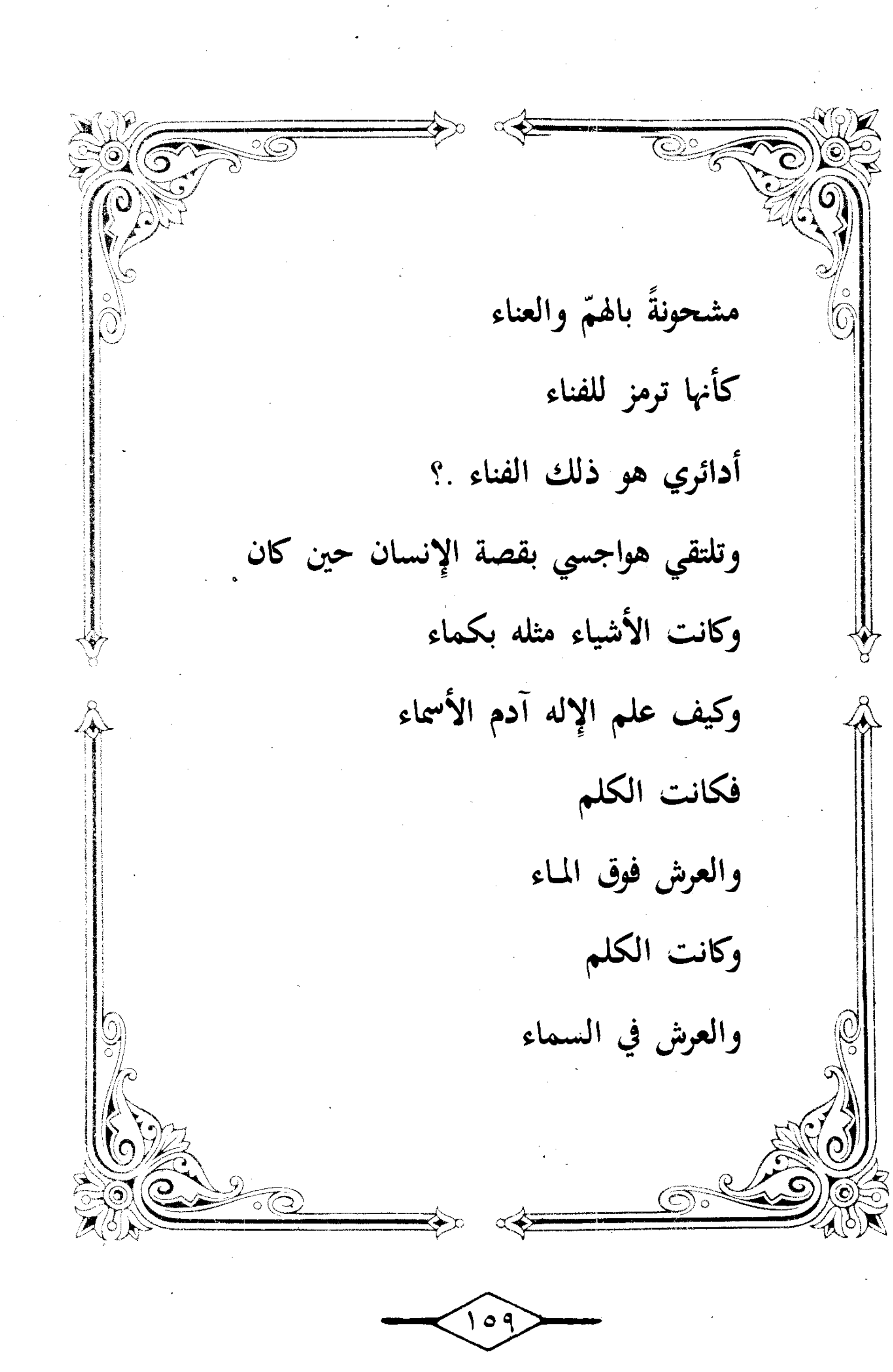
براحتي كالزِّر في الهواء

وجئتي أزرعها في خيمة المساء

قصائداً وأشرطة

على صعيدها يزدحم الغناء

وحفنة من الدخان تستوي دوائراً



مشحونةً بالهمّ والعناء

كأنها ترمز للفناء

أدائري هو ذلك الفناء .؟

وتلتقي هواجسي بقصة الإنسان حين كان

وكانت الأشياء مثله بكماء

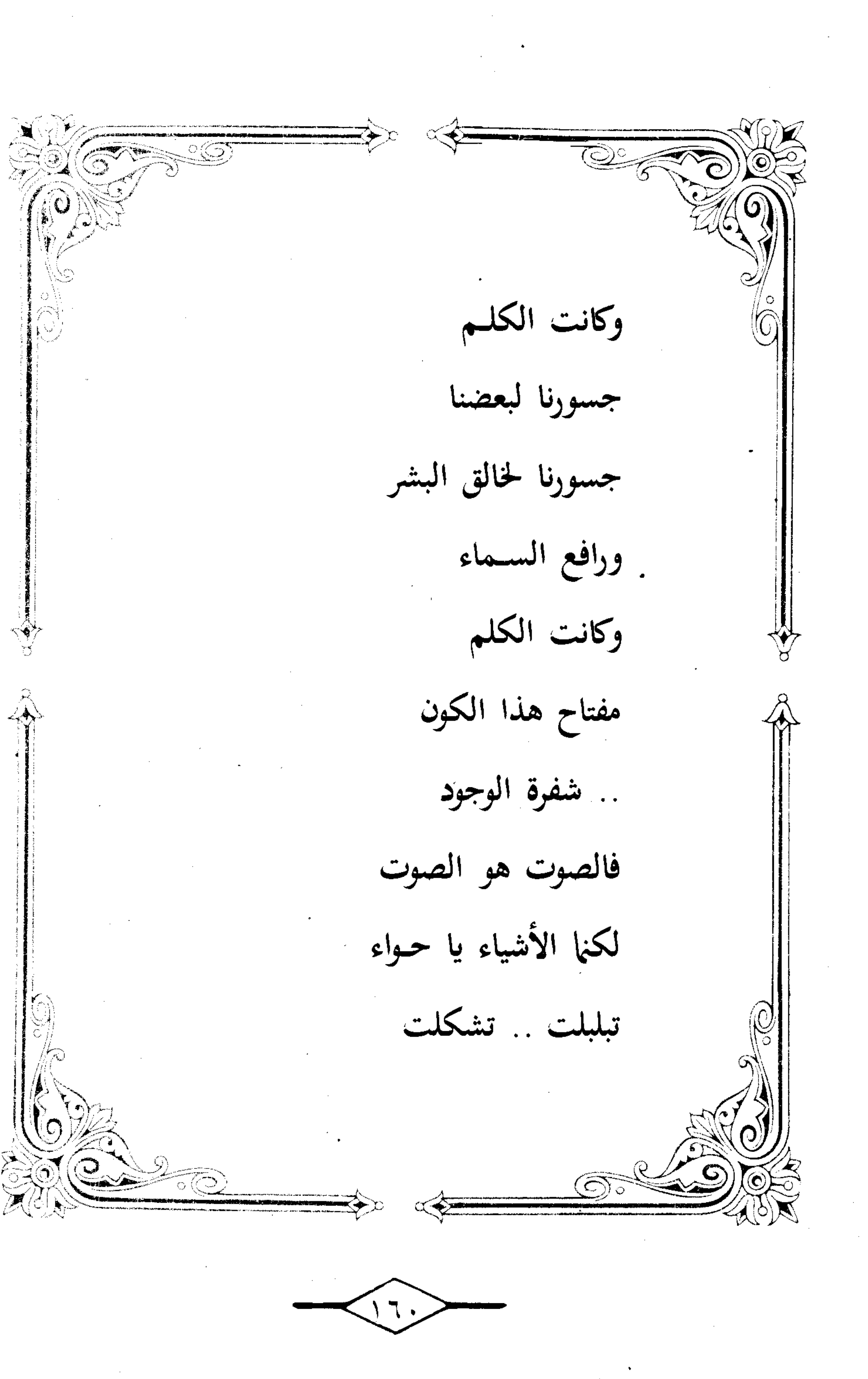
وكيف علم الإله آدم الأسماء

فكانت الكلم

والعرش فوق الماء

وكانت الكلم

والعرش في السماء



وكانت الكلـم

جسورنا لبعضنا

جسورنا لخالق البشر

ورافع السـماء

وكانت الكلم

مفتاح هذا الكون

.. شفرة الوجود

فالصوت هو الصوت

لكنما الأشياء يا حـواء

تبلبلت .. تشكلت

تبعثرت قبائلا .. تباعدت أهواء

من زمن المرو إلى محطة الفضاء

تجددت أشياء

أهمها كتابة الهجاء

قرأت في قنينة بحثاً عن الآباء

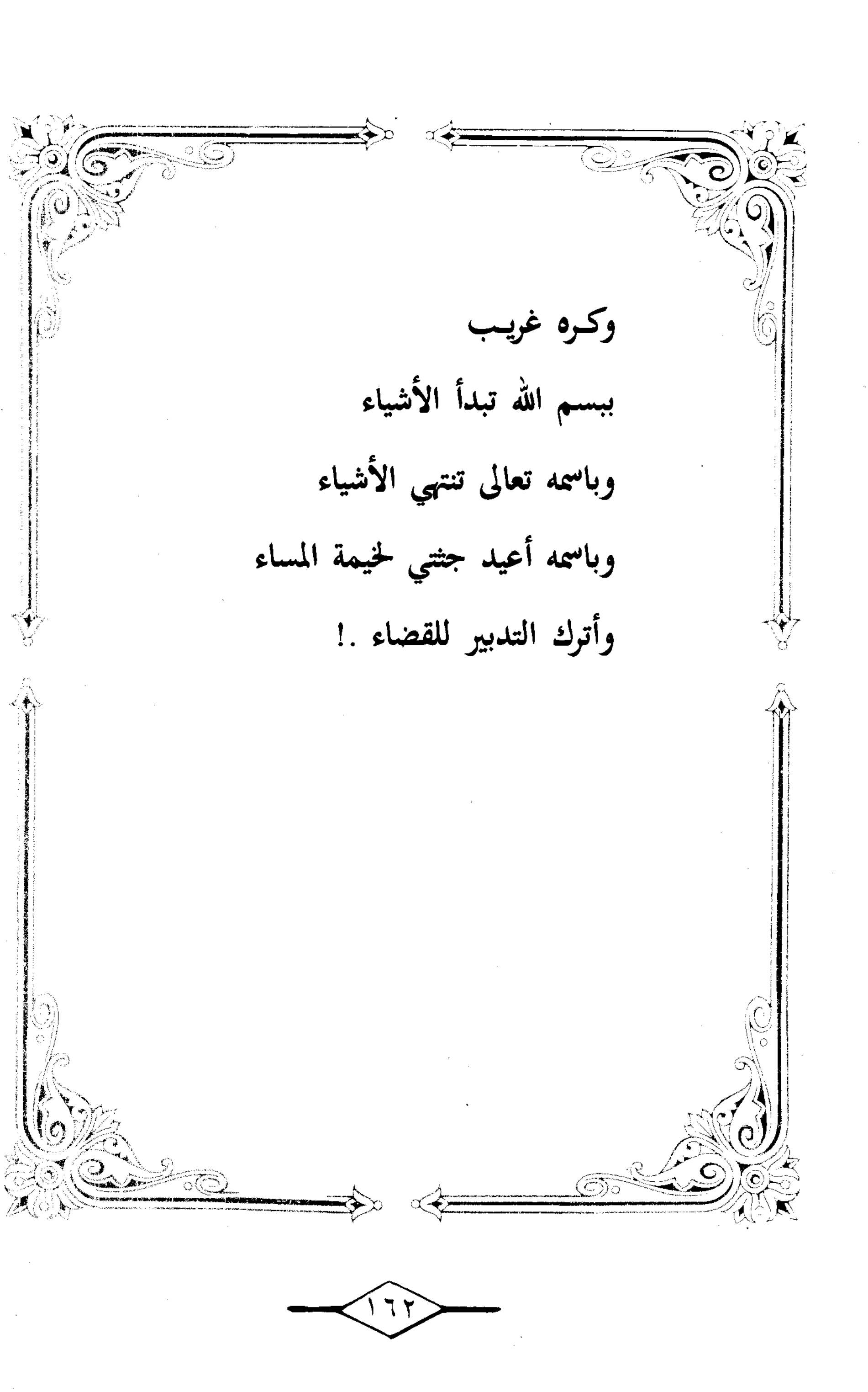
وجدتهم .. وجدتهم .. لكنهم هباء

ألم يكونوا ضمن عالم الأحياء .؟

لكنني قرأت ذات مرة على رَقٍّ غزال

بأنهم كانوا وكانوا في كتاب الكون جملة بيضاء

كانوا كما الطلَّسم أمره عجيب



وكـره غريـب

ببسم الله تبدأ الأشياء

وباسمه تعالى تنتهي الأشياء

وباسمه أعيد جثتي لخيمة المساء

وأترك التدبير للقضاء .!



شيء عن الطقس

وقفت حاسراً على مشارف الرمضاء

وفي يدي خارطة للطقس

خطوطها خواطرٌ مشوّشة

أسئلة ملحة ليس لها جواب

يقال : إن (الجدي) جائع

وإن أمه (العذراء)

شائلة (كالعقرب) السوداء

يقال : إن البيت كله نوافذ مطلة على البحار

يستقْبل التجار والقراصنة

وبائعي الأشعار والمحار

قرأت ألف ليلة وليلة

قرأت جملة مكتوبة بظاهر الجدار

وصورة مرسومة على جبال النار

مسحتُ أرض الخارطة

وجدت في خطوطها التـواء

وجدت أن الريح موسمية

تغطّ في الجبال والبحار

لتنشر السحاب

فصائلا عـزلاء

مهجورة ليست بذات مـاء

من الذي يرسم لي خارطة قريبة الأرجاء

واضحة الخطوط والحروف والأسماء .؟

سألت ذات ليلة قمراء

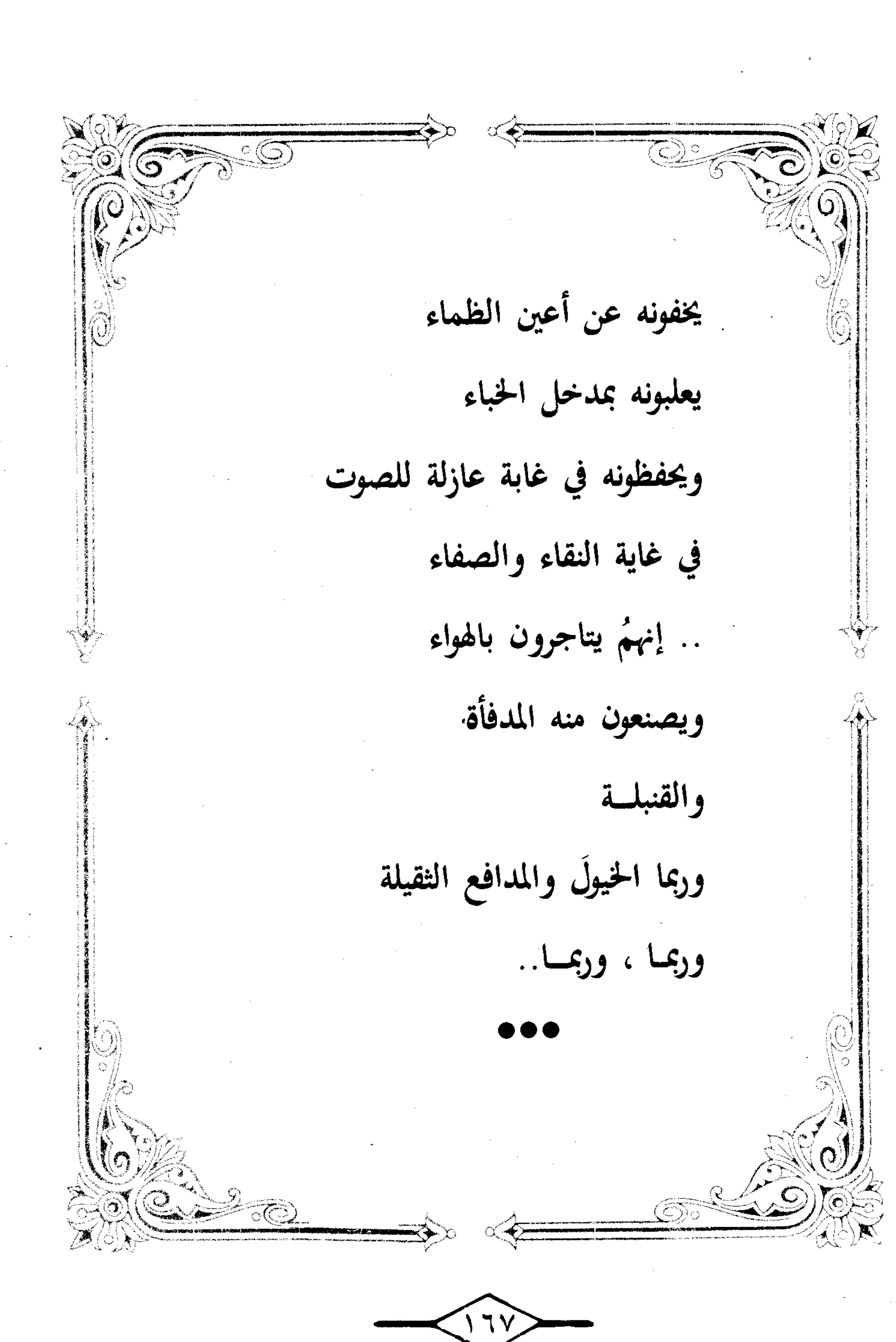
في رحلة علمية مشبوهة كثيرة الألغاز

: عن سرّ شحّ الماء والهواء

؟؟ في الجنة الخضراء

قالوا بهمس خافتٍ يمشي على استحياء :

إنهمُ يختزنون الماء في كهوف الموت



يخفونه عن أعين الظماء

يعلبونه بمدخل الخباء

ويحفظونه في غابة عازلة للصوت

في غاية النقاء والصفاء

.. إنهمُ يتاجرون بالهواء

ويصنعون منه المدفأة،

والقنبلـة

وربما الخيولَ والمدافع الثقيلة

وربمـا ، وربمـا..

●●●

وحينما عرفت السرّ قلت : ليتني الهواء .!

وليتني جريعة من ماء .!

لكنني والخيمةُ العجفاء

تزرعني هبـاء

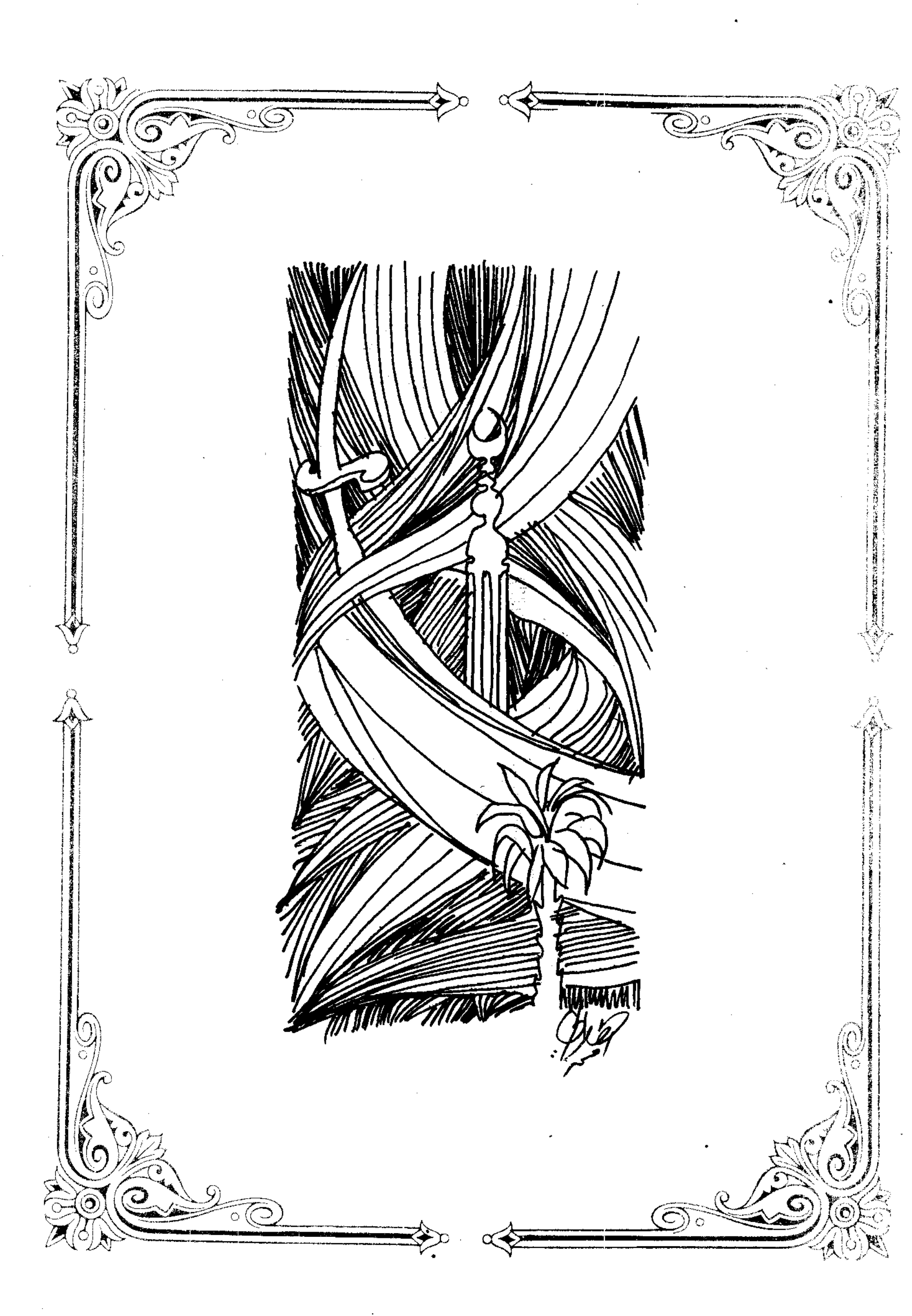
في رحم الفضــاء

علمت أنني خُلقت من هباء

وعدت للهبـاء

وأن شأن الماء والهواء

يختص بالأحيـاء



خيمة الحب

أتيت متّشحاً عشقي ، يسابقني

خطوي إليكِ ، حفياتٍ بيَ الصور

تحدو ركابيَ آمالٌ معطّرةٌ

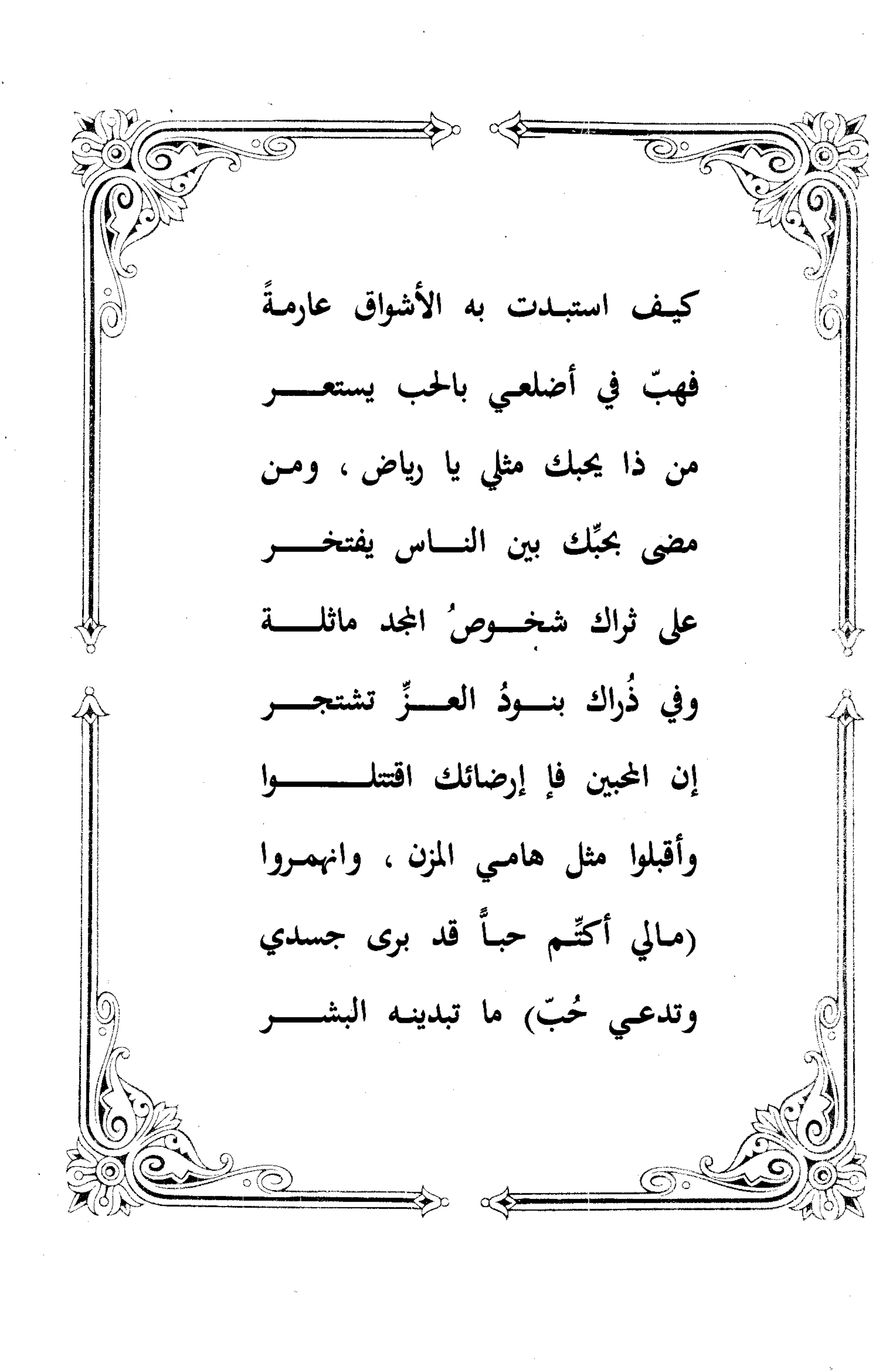
يطيب للركب في أرجائها السفر

على يمينيَ يسعى المجد في صيَدٍ

وفي جواريَ روح العز تعتمر

أسائل الناس عن قلبي الذي ذهبت

رؤى الجمال به ، واجتاله السهر



كيف استبدت به الأشواق عارمةً
فهبّ في أضلعي بالحب يستعر
من ذا يحبك مثلي يا رياض ، ومن
مضى بحبِّك بين الناس يفتخر
على ثراك شخوصُ المجد ماثلة
وفي ذُراك بنودُ العزِّ تشتجر
إن المحبين فإ إرضائك اقتتلوا
وأقبلوا مثل هامي المزن ، وانهمروا
(مالي أكتِّم حباً قد برى جسدي
وتدعي حُبّ) ما تبدينه البشر

أودعتُ حبّك شعري ، ثم تهتُ به

عليهمُ ، لا أبالي بالـــذي شعـــروا

لي فيك يا فتنتي ذكرى لو انبعثت

لذابت النفس حباً ، وازدهى العمر

وقطعـــةٌ من شبـــابٍ جدُّ غاليـــةٍ

بمثلهـــا تجمـــلُ الأيـــام والذِّكـــر

●●●

أنت الرياض ، فلا ندٌّ يضارعهـــا

ولا مثيـــلَ لها في الكـــون يُعـــتَبر

ماضٍ أشمُّ به التـــاريخ مزدهـــر

وحاضرٌ شامخ مخصوصبٌ ، نضِر

جثَتْ على ضفَّتيْها البيدُ صاغرةٌ

والبحرُ جاء برغم البعد يعتذر

تأوي النجوم إلى ساحاتها زُمراً

ويستريح على أعطافها القمر

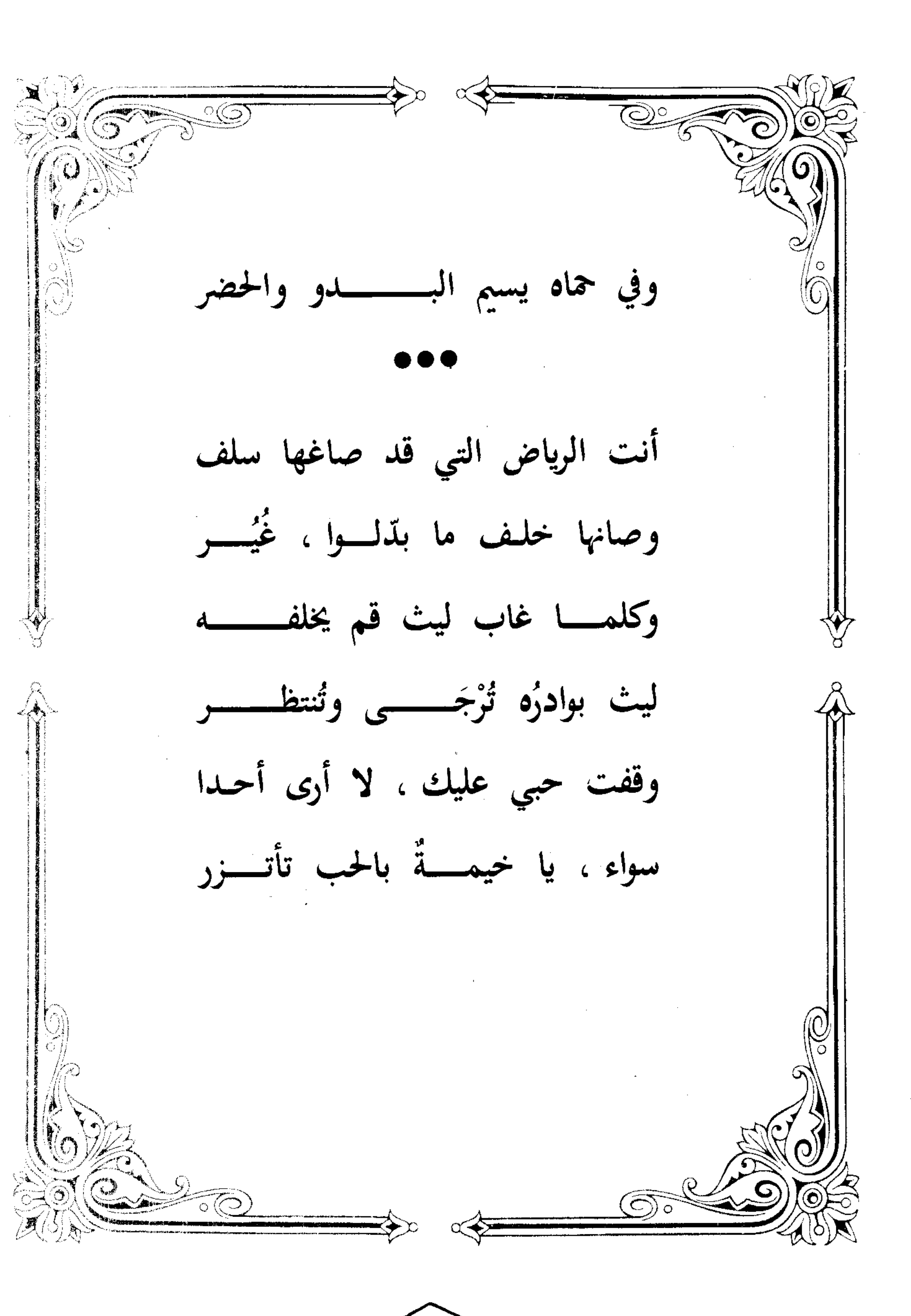
وتبتني الشمس في داراتها وطناً

على مناكبه قد أورق الحجر

وأشرقت بجنابيه المنى فعلى

مفارقه يستوطن المطر

تمضي الحياة به نشوى مباهية



وفي حماه يسيم البـــــدو والحضر

●●●

أنت الرياض التي قد صاغها سلف

وصانها خلف ما بدّلــوا ، غُيُــر

وكلمــا غاب ليث قم يخلفــــه

ليث بوادرُه تُرْجَـــى وتُنتظـــر

وقفت حبي عليك ، لا أرى أحـدا

سواء ، يا خيمـــةٌ بالحب تأتـــزر

أبو لؤلؤة وشركاؤه

[في أحداث حج ١٤٠٩ هـ]

تقــدَّم قليــلا أبــا لؤلــؤه !

فقـد دخــل المسجــد السابلــه

وأخلــوْا طريــقك نحـــو الأذان

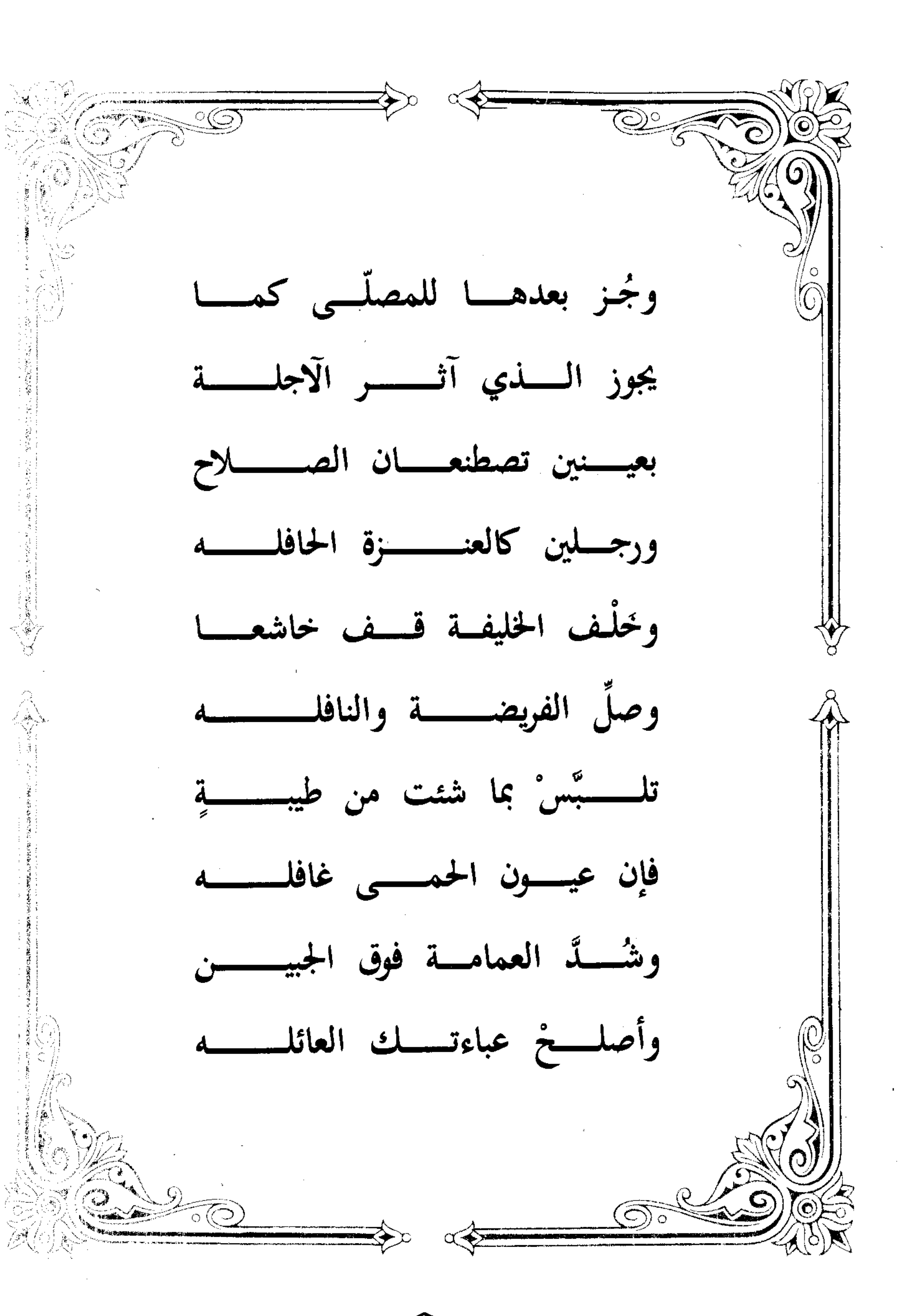
فلا تخش أصـــداءه الآفلـــة

وقـــرِّب إلى النـــار ما تشتهي

دهاقنــةُ الطّغمـــة السافلـــه

وخبِّـــيء بخنجــرك المــوت يــا

سليــل المجــوس .. أقــم عاملــه



وجُز بعدها للمصلّى كما

يجوز الذي آثر الآجلة

بعينين تصطنعان الصلاح

ورجلين كالعنزة الحافله

وخَلْف الخليفة قف خاشعا

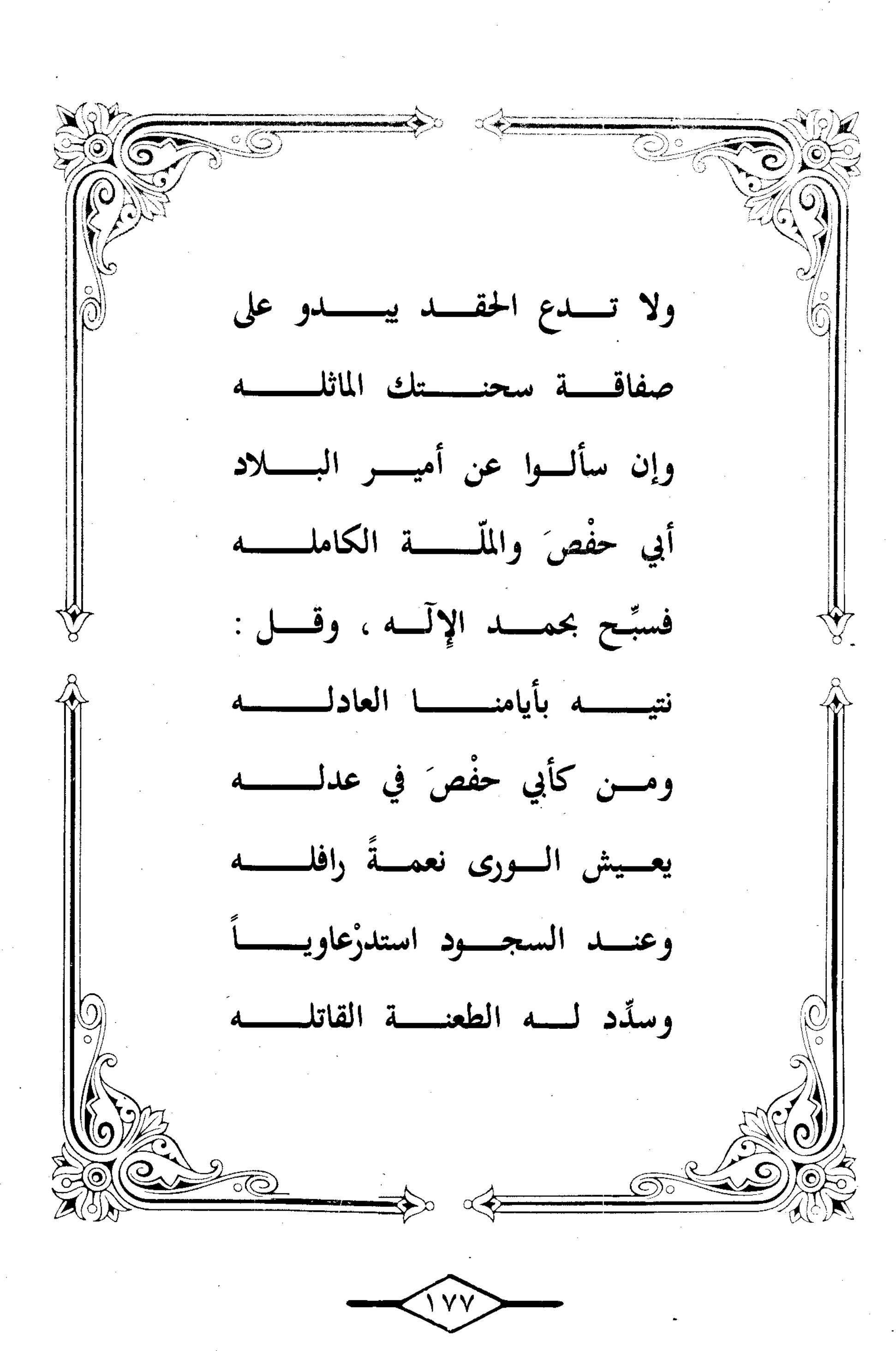
وصلِّ الفريضة والنافله

تلبَّسْ بما شئت من طيبةٍ

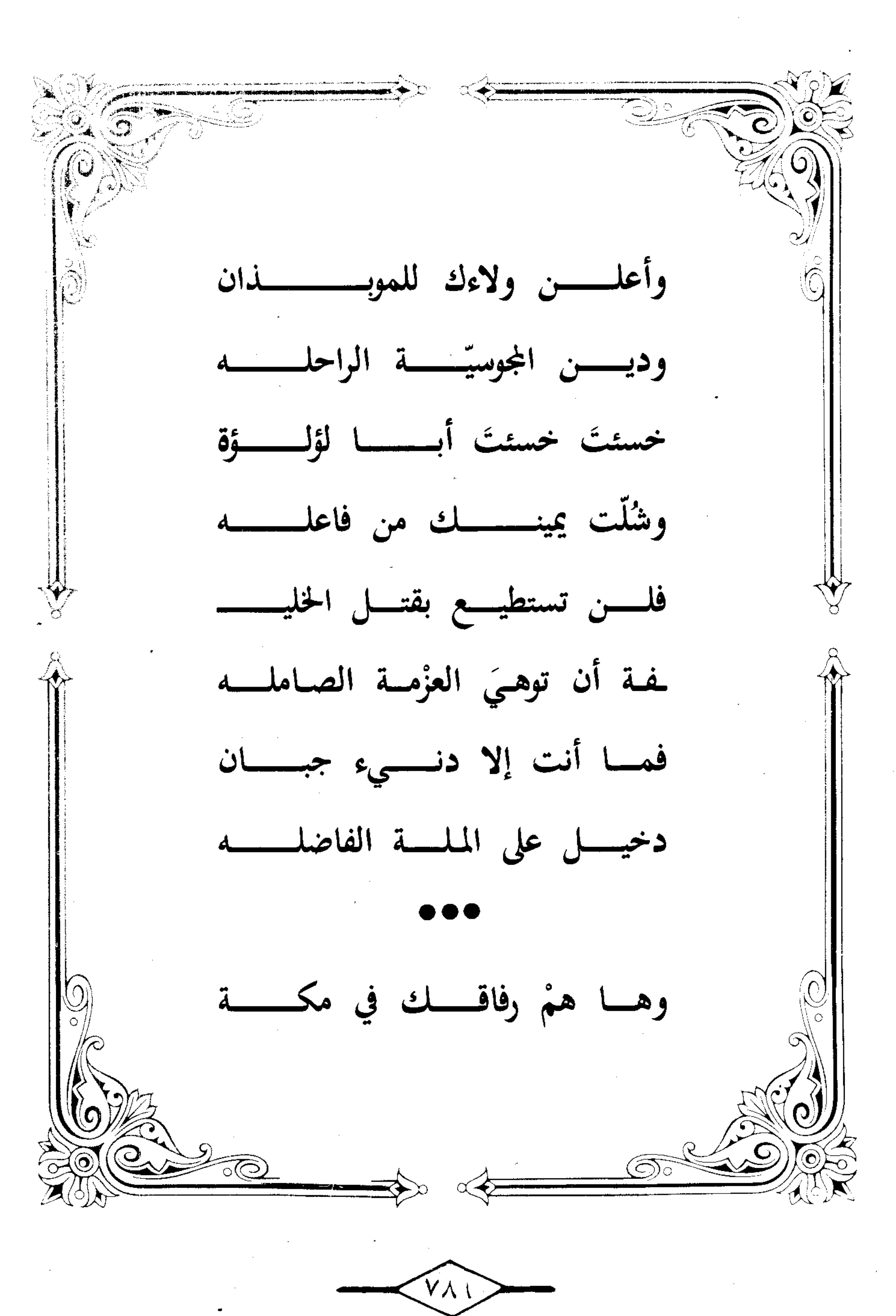
فإن عيون الحمى غافله

وشُدَّ العمامة فوق الجبين

وأصلحْ عباءتك العائله



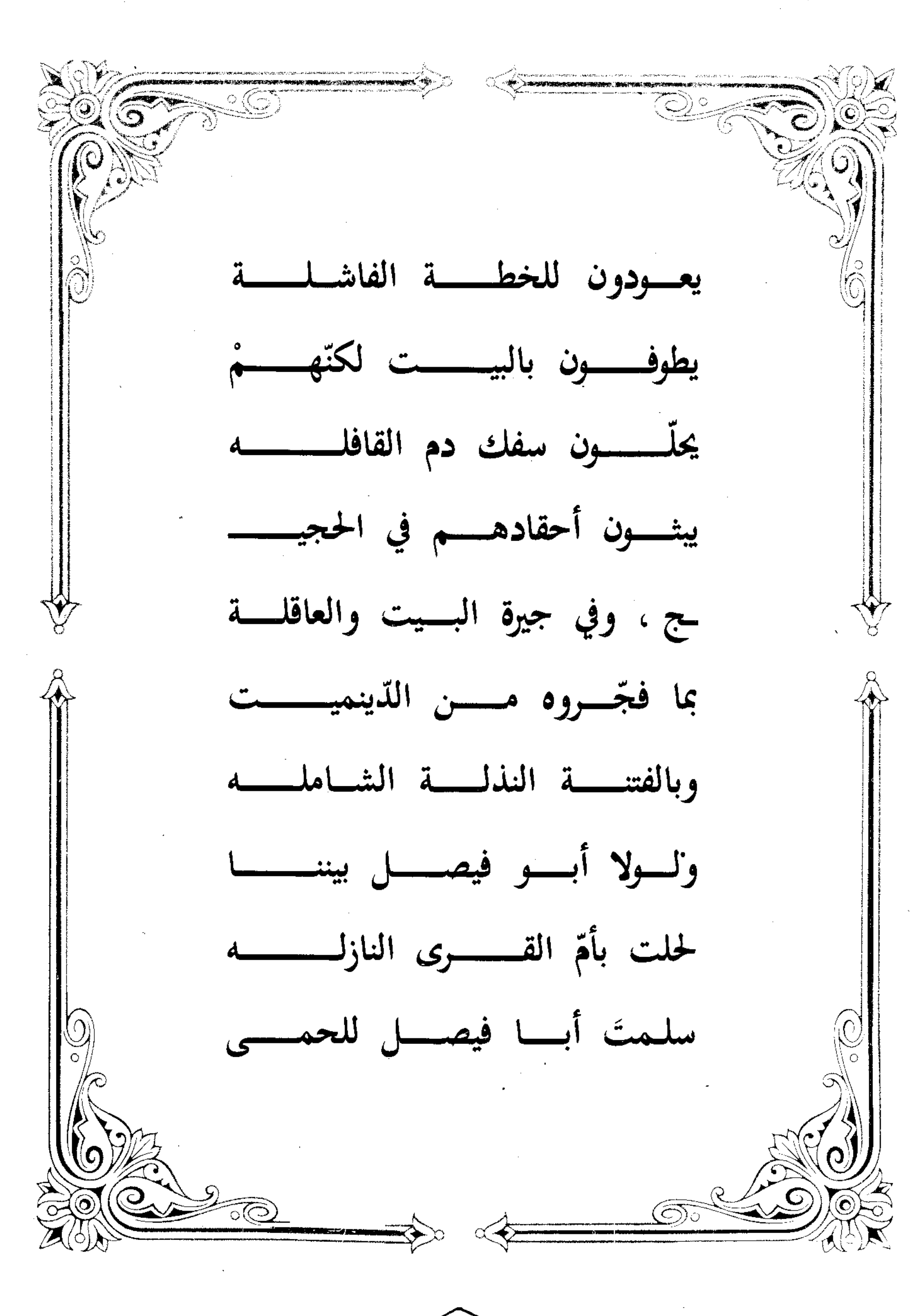
ولا تــدع الحقــد يــدو على
صفاقــة سحنـــتك الماثلـــه
وإن سألــوا عن أميــر البــلاد
أبي حفْصَ والملّـــة الكاملـــه
فسبِّح بحمــد الإلَــه ، وقــل :
نتيـــه بأيامنـــا العادلـــه
ومــن كأبي حفْصَ في عدلـــه
يعــيش الــورى نعمــةً رافلـــه
وعنــد السجــود استدْعاويـــاً
وسدِّد لــه الطعنــة القاتلـــه



وأعلـــن ولاءك للموبـــــذان
وديـــن المجوسيّـــة الراحلـــه
خسئتَ خسئتَ أبـــا لؤلـــؤة
وشُلّت يمينـــك من فاعلـــه
فلـــن تستطيـــع بقتـــل الخليـــ
ـفـة أن توهـيَ العزْمـة الصـاملـه
فمـــا أنت إلا دنـــيء جبـــان
دخيـــل على الملـــة الفاضلـــه

●●●

وهـــا همْ رفاقـــك في مكـــة



يعـــودون للخطــــة الفاشـلــــة

يطوفـــــون بالبيــــــت لكنّهـــمْ

يحلّــــــون سفك دم القافلــــــه

يبثـــون أحقادهـــم في الحجيــــ

ـج ، وفي جيرة البــيت والعاقلــة

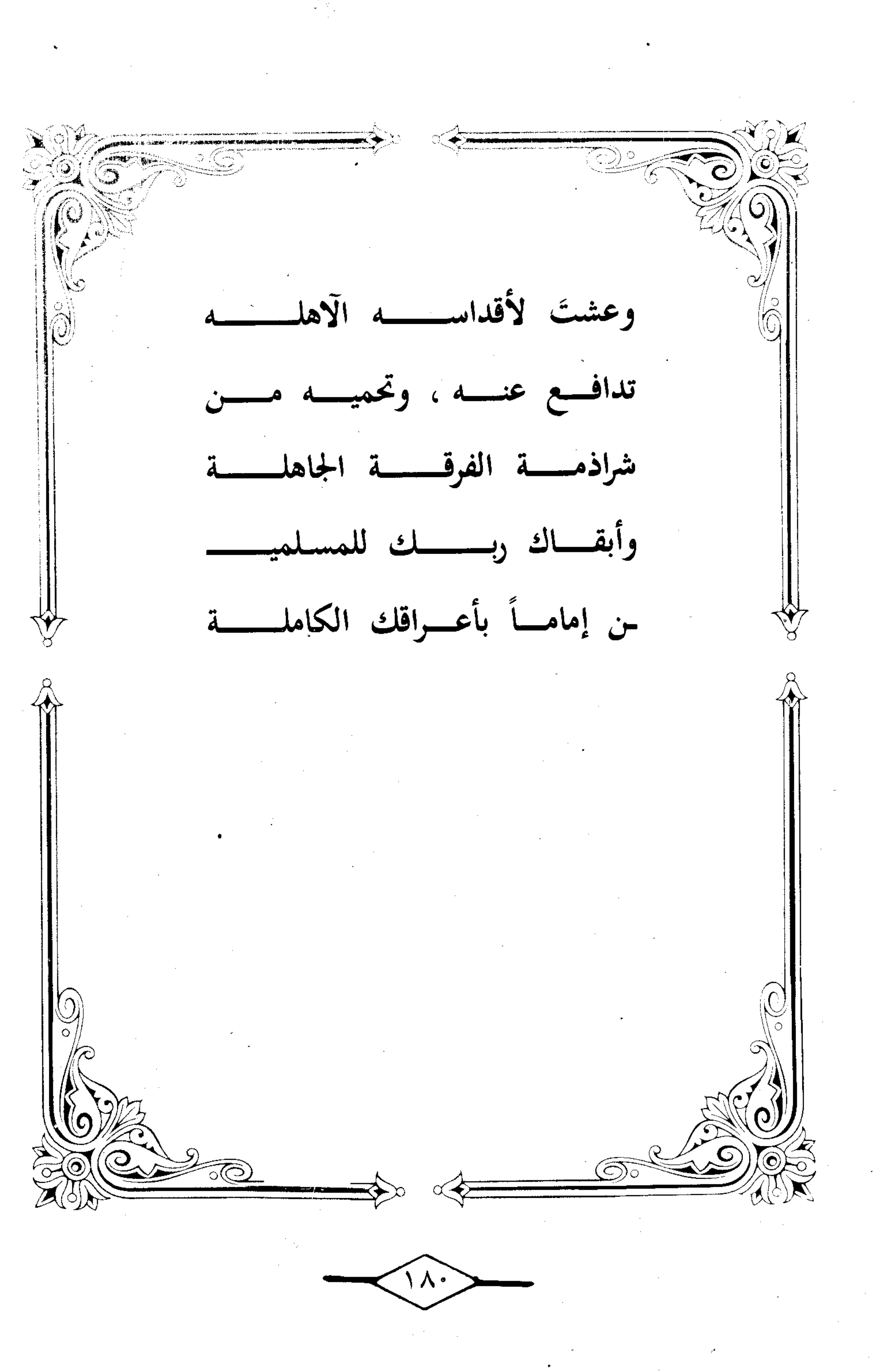
بما فجّــروه مـــن الدّيناميـــــت

وبالفتنــــة النذلـــة الشـاملـــه

ولـــولا أبـــو فيصـــل بيننـــا

لحلت بأمّ القـــرى النازلـــــه

سلمتَ أبــا فيصـــل للحمـــى



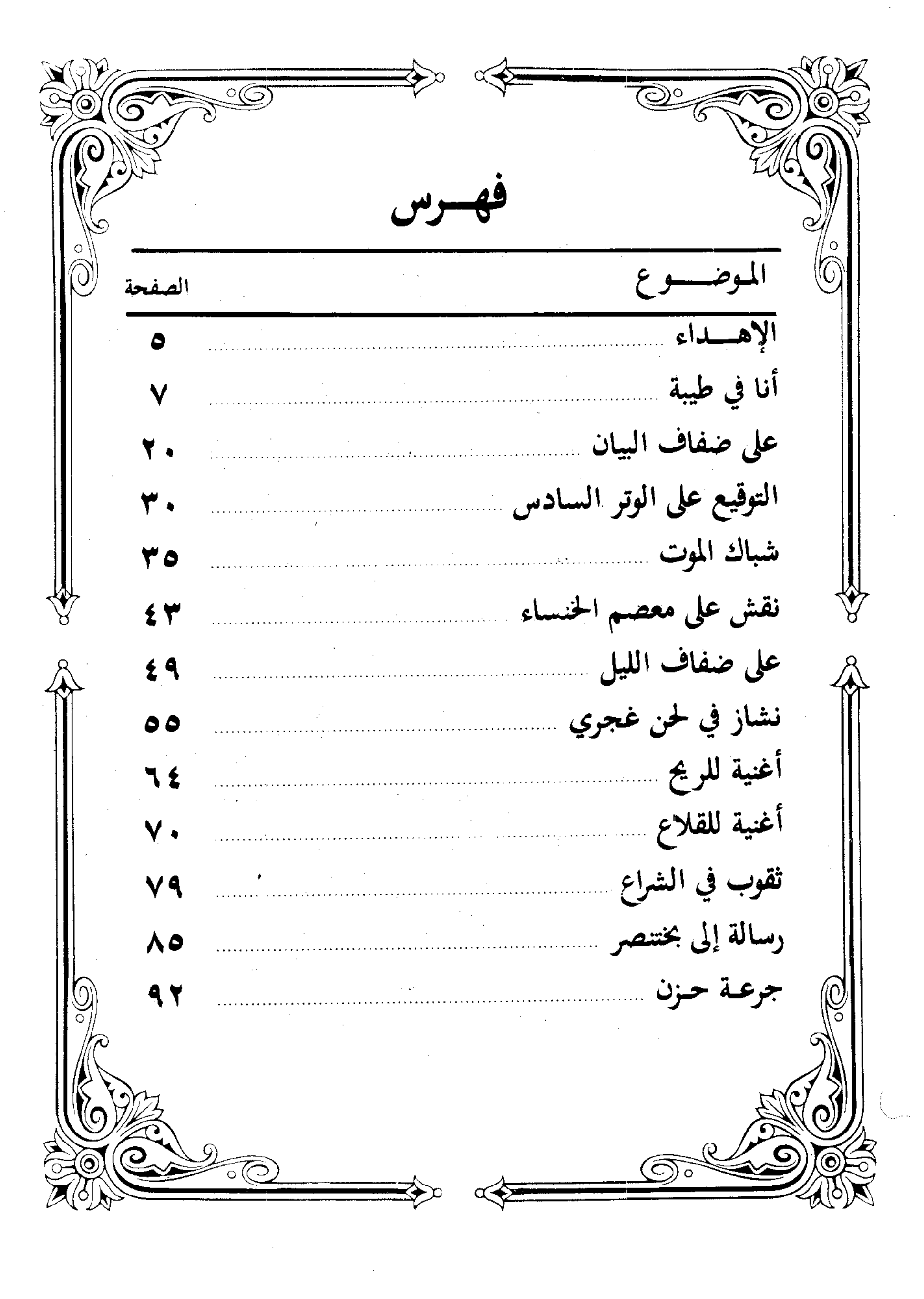
وعشتَ لأقداســـه الآهلـــه

تدافـــع عنـــه ، وتحميـــه مـــن

شراذمـــة الفرقـــة الجاهلـــة

وأبقـــاك ربـــك للمسلميـــ

ـن إمامـــاً بأعـــراقك الكاملـــة



فهـــرس





تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٧	١	عُوْد	عَوْد
٢٨	٥	شِيْشع	شعشع
٤٦	٣	معفَّرةٌ	معفَّرةً
٤٧	١٠	صفو	صنو
٥٦	٦	ونوْحُ	ونوْح
٧٦	٦	أو في	أوفى
١٣٤	١	الماء	المياه
١٤٧	٣	و (كسِلة)	و (كسيْلة)
١٤٧	٩	كحِلاحق	كحِلاق
١٤٩	٣	قرأس	قرأت
١٥٤	٥	وقوْر	وموْر
١٥٦	٢	طموحٍ	طموحٌ
١٥٨	٤	كالزّر	كالذّر
١٦٢	١	وكره	وسرُّه
١٧١	٧	فإ	في
١٧٣	٢	صاغرة	صاغرةً
١٧٤	٤	قم	قام
١٧٤	٧	سواء	سواك

